

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد الخامس السنة السادسة
رمضان 1382 - فبراير 1963
ثمن العدد ١٥٠ درهم

مجلة تصدرها وزارة عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد الخامس
السنة السادسة
رمضان 1382 ﻫ
فبراير 1963 م
ثمن العدد 1،50 درهم

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



صاحب الجلالة
الملك الحسن الثاني
أيده الله

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 15 درهما ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

شعبي العزيز :

هذه هي المرة الثالثة التي نخاطبك فيها من أعلا هذه المنصة بعد ان القى الله الينا مقاليد امورك ، واناط بنا عهدة تدبير شؤونك ، اقتفاء لاثر والدنا طيب الله ثراه وجريا على سنته الحميدة ، ووفاء لرسمه السديد، واقتناعا منا بوجوب احاطتك علما بما انجزناه خلال عام اقتناعه رضي الله عنه بضرورة اخبارك وابلاغك ما كان يبذله من جهود ، ويحقق من عمل منشود .

وانا لنغتنم هذه المناسبة لنحمد الله جل جلاله على ما وفقنا اليه من خير وهدانا اليه من صواب ، ويسر لنا من اداء واجب السهر عليك ، ومتواصل النظر لصالحك نظرا نساله تعالى ان يتم به عليك سوابغ نعمه ، وعوارف اياديه ، كما نحمده تعالى على تمتين الروابط التي تربطنا واياك ، واعزاز الاواصر التي تصل عرشنا بك ، وتمكين ما بيننا من وفاء وانسجام .

التجاوب بين الشعب والعرش ضمن استمرار المغرب كدولة

لقد كانت هذه الرابطة بين الملك وشعبه اكبر عامل في صنع تاريخنا المديد فهي التي كفلت استمرار المغرب طيلة قرون تحت سلطة اسلافنا المقدسين كدولة لها كيان محفوظ وحوزة منيعة ، ومقومات محترمة ، وبفضل ذلك التجاوب بين من تعاقبوا على عرش هذه الدولة وبين شعب هذه البلاد ، امكن تذليل الصعاب ، والسير بالمملكة الى ساحل النجاة ، ولم يلبث ذلك التجاوب ـ بعد ما عرف المغرب تلك الفترة التي عز فيها الولي ، وقل النصير الوفي ، وحفت بالبلاد المكاره والاخطار ، وترامت اليها المطامع وامتدت الايدي ـ ان بدد المخاوف وأزاح العراقيل وفتح الطريق اللاحب ، فكانت تلك الانتفاضة التي استرجعت بها البلاد عزها المفقود وحريتها السليبة ، واستقلالها المنشود . ولولا ذلك التساند والتكاتف والتعاطف لما امكن ان يوصل الحاضر بالماضي ، ولما تيسر ان تستانف البلاد سيرها في ركب الامم العاملة النشيطة . ولقد بذل والدنا رضوان الله عليه ـ بعد ان عمل العمل الدائب المستميت لفك الاغلال وتحرير البلاد الجهود التي تعلمونها في البناء والتشييد والتقويم والتجديد في نطاق القيم التي نقدسها كشعب عربي مسلم ، واسعدنا الحظ ان كنا بجانبه في احوال الشدة والرخاء ، والسراء والضراء نشد ازره ونشاطر اهتمامه بشؤون شعبه وعنايته بكل امر يعود عليه بالفائدة الحسنة ، ورعايته لكل حق من حقوقه . فلما التحق بالرفيق الاعلى واناطت بنا تلك الغالية مقاليد امورك ، اكدنا عزمنا الوطيد على ترسم خطاه والاهتداء بهديه وانتهاج السبيل القويم الذي كان ينهجه ، وكان من اسنادك لنا، وتعزيزك لجانبنا ، ماجعلنا نسير في المحجة البيضاء ،

والسبيل الواضح بخطى ثابتة ، وعزيمة لا يصيبها كلل ولا وهن ، وسيظل التجاوب الذي كتب الله ان يكون بيننا وبينك المع نبراس ينير لنا الطريق ، ويقود الخطى الى الهدف الذي ترمي اليه جهودنا المتضافرة ومساعينا المتكاتفة ، الا وهو تحقيق الازدهار ونشره بهذه البلاد . ولن يترك الله عمل امة سعى ملكها وشعبها متضامنين متحالفين لدرء المفاسد وجلب المنافع وتحقيق العزة والرفاهية .

حققنا بالدستور هدفا كافحنا جميعا فى سبيله

شعبي العزيز :

انـا لنشعر بطمانينة مالها من مثيل فى هذه الذكرى الثانية لجلوسنا على عرش اجدادنا المنعمين وقد ادركنا هدفا من اهدافنا العظيمة ، وحققنا املا من آمالنا الغالية . فقد وفقنا الله الى انشاء نظام ملكية دستورية فى الموعد الذي حدده والدنا المرحوم . ولم يكن انشاء هذا النظام لمجرد الوفاء بوعود والتزامات والدنا وسلفنا التي نعتبر نفسنا مسؤولين عن الوفاء بها بصفتنا ابنه وخلفه . ولكننا انشأناه اقتناعا منا بصلاحيته وضرورة انشائه ، اذ ما كان لدولة متحضرة ان تبقى فى النصف الثاني من القرن العشرين بدون قانون اساسي يبين الحقوق والواجبات ويحدد السلط وينظمها ، ويعين ما للحاكمين من حق التسيير والتدبير ، وما للمحكومين من حق المراقبة والتعقيب .

وما زلنا نذكر النضال المرير الذي خاضه الشعب المغربي بملكه وولي عهده ومنظماته الوطنية فى سبيل انشاء نظام ديمقراطي يقوم على الحرية والعدل والتساوي فى الحقوق والواجبات حتى اذا تم لنا من استقلالنا ماكنا نطمح اليه ونتوق اخذنا جميعا فى دعم هذا الاستقلال وبناء صرحه ، واخذ ملكك الراحل العادل الذي كان يؤمن بالديمقراطية يغتنم كل فرصة لاقرار مبدا من مبادئها وتحقيق جانب من الجوانب التي تتضمنها الدساتير . فمن استقلال للقضاء مجالس تمثيلية على الصعيد المحلي وفى المجال المهني . ثم لما توفى والدنا كان فى طليعة مشاغلنا تحقيق دستور للمملكة . فبعد اعلان القانون الاساسي يوم 2 يونيو 1961 والتصريح التأكيدي يوم 11 يناير 1962 اعلنا لشعبنا مشروع دستور المملكة يوم 18 نونبر ، ودعوناه للاقتراع عليه يوم 7 دجنبر .

الدستور يؤكد مبدا فصل السلط ويضمن التوازن بينها

لقد اعددنا مشروع الدستور بكل عناية واهتمام، واستوحينا مبادئه واهدافه واحكامه من الدين الذي نعتنقه ، والتقاليد السليمة التي نستمسك بها ، والواقع الذي نحياه ، ومن احتياجاتنا الملحة وضرورات العصر . وكنا حريصين على ان تؤكد بقوة مبدا فصل السلط ورقابة الامة ، وان يضمن الى جانب ذلك توازنا بين مختلف السلطات . لان هذا التوازن من الشروط الاساسية لوجود استقرار لايمكن بدونه انجاز عمل مفيد ، ولا تخطيط برامج ذات امد طويل .

لم نشك فى حسن تبصر شعبنا

لقد عرض عليك مشروع الدستور لتقول فيه كلمتك بكامل الحرية ، ومنحت المنظمات السياسية كل الضمانات لتناقش ابوابه وفصوله ، ودل الحوار الذي دار حوله مدة عشرين يوما على مبلغ ما تتشبع به من نضج ووعى ، كما دلت الحكمة التي سادت البلاد خلال يوم الاستفتاء وروح التبصر التي عمت اثناء ايام الحملة التصويتية على تقديرك للمسؤوليات ، وادراكك العميق للواجبات ولم تكن لنستغرب نتائج الاستفتاء لاننا لم نشك قط فى حسن تبصر شعبنا وتمييزه بين ما هو خير وما هو شر ، وما هو ضار ، وما هو نافع .

سيمارس الشعب حقوقه الدستورية خلال شهور

ونحن منكبون الآن على اعداد النصوص القانونية والوسائل المادية لتنفيذ الدستور واقامة المؤسسات التي نص عليها ، ستدعى ايها الشعب العزيز خلال الشهور المقبلة الى انتخاب نوابك ومستشاريك بمجلس البرلمان ، وتبدا فى ممارسة حقوقك الدستورية . وستجد ملكك كما عهدته من قبل فى كل آونة وحين الراعي الامين لحقوقك وحرياتك ، الساهر على دستورك ، الحامي لحمى قيمك العليا ودينك الحنيف ، الضامن لاستقلالك ووحدتك .

استقلال الجزائر

يمهد السبيل لتشييد وحدة المغرب العربي

وان ابتهاجنا فى هذا العيد برؤية مملكتنا منظمة وفق احكام قانون اساسي ليتضاعف برؤية اختنا الشقيقة وجارتنا القريبة الامة الجزائرية المجيدة متمتعة فيه بالحرية الكاملة والاستقلال التام فقد وضع حد لازهاق الارواح واراقة الدماء ، وانقشعت السحب الكثيفة التي كانت تلبد اجواء الشمال الافريقي وتجعل الامن والسلم فى ارجائه مضعضعا واذا كان من حق جميع الشعوب والافراد المناصرين للحق والمدافعين عن الحرية والسلم ان يبتهجوا بارتقاء الجزائر الى مصاف الشعوب الحرة السيدة فجدير بنا نحن المغاربة ان يكون ابتهاجنا اشد واعظم لان فى تحرير الجزائر من ربقة السيطرة الاجنبية تحقيقا لهدف من اهدافنا ، وتلبية لرغبة من رغائبنا الاكيدة ، ودعما – بالاضافة الى ذلك – لاستقلالنا وفسحا لمجال التعاون المثمر بيننا وبين اشقائنا . ومن فوق هذا المنبر وفى غمرة ابتهاجنا بالعيد القومي نبعث تحيات اخوية خالصة الى شقيقتنا الامة الجزائرية ونعيد تهنئتها بما احرزت من مكاسب وما كلل به جهادها من ظفر ، ونجدد لها متمنياتنا بالتوفيق فى عهدها الجديد ، والقدرة على النهوض والاضطلاع كاحسن مايكون الاضطلاع باعبائها الثقيلة .

اننا لننظر بمنتهى التفاؤل والاستبشار الى قيام دولة جزائرية مستقلة اعتقادا منا ان استقلال الجزائر ازاح من الطريق جميع العراقل التي كانت تحول دون تحقيق هدفنا المشترك الا وهو تشييد وحدة المغرب العربي . وان الاتصالات التي قام بها وفدان مغربيان بكل من ليبيا وتونس والجزائر ، والزيارة التي قام بها وفد ليبي الى المغرب ثم الاجتماع الذي عقده وزراء خارجية تونس والجزائر والمغرب بالرباط بعد ذلك لتؤكد اننا آخذون باسباب تحقيق هذه الوحدة ، كما دلت هذه الاتصالات والروح التي سادتها على ارادتنا المشتركة وعزمنا القوي على التعجيل بالوصول الى هذا الهدف المنشود .

مباديء سياستنا الخارجية لم تتغير

اما فى الميدان الخارجي فان سياستنا فيه ما زالت تسير وفق الخطط والتوجيهات التي رسمها لها فى حياته جلالة والدنا المرحوم . فهي سياسة تقوم على مبدا عدم التبعية وقد شرحنا فى مناسبات عديدة ان هذا المبدا لا يعني ان المغرب ينظر الى المشاكل الدولية بعدم اكتراث ويقف موقفا سلبيا من جميع ما يجري فى العالم من وقائع واحداث كما لا يستلزم هذا المبدا رفض جميع الافكار الرشيدة والحلول الناجعة لا لسبب الا انها صادرة عن الغرب او الشرق ، فالمجموعة الدولية تشكل اليوم اسرة واحدة يؤثر افرادها فى بعضهم تاثيرا قويا بفعل الاتصالات السريعة ، وتزايد المبادلات واتساع نطاق التطور الحضاري . بل يعني هذا المبدا فقط ان لا نسير فى ركاب الغير على غير هدى ، وان لا نصدر فيما نتخذ من قرارات تتعلق بالسياسة الدولية الا عما يلائم مصالحنا ويرضى ضمائرنا ، فقد نقف فى يوم من الايام موقفا معينا يتلاقى على غير ميعاد مع موقف دولة او كتلة من الدول . ولكنه يكون اذ ذاك موقفا منبعثا عن ايماننا واقتناعنا لا عن ضغط او ملق .

سيدافع المغرب فى مجلس الامن عن القيم التي يقدمها

ونحن نرى ان ميثاق الامم المتحدة – مع تطبيقه بنزاهة – كفيل بتحقيق ما تصبو اليه الانسانية من حرية وكرامة وتقدم وازدهار . وان المغرب الذي انتخب عضوا فى مجلس الامن ثقة من الدول بصفاء مبادئه لن يتوانى فى الدفاع عن القيم التي يقدسها .

نتشبث بالجامعة العربية وميثاق الدار البيضاء

ونعرب عن تشبثنا بالجامعة العربية آملين أن تساعدها الظروف على تحقيق الاهداف التي اسست من اجلها تلبية لمطامح الشعوب العربية كما نعرب عن تشبثنا بميثاق الدار البيضاء الذي نستوحي منه سياستنا الافريقية الرامية الى تحرير سائر الشعوب المستعبدة فى افريقيا ، وتقوية تعاون دولها الحرة للقضاء على التخلف والميز العنصري وكل شكل من اشكال الاستعمار .

ولقد حضرنا فى يونيو الماضي بالقاهرة اجتماع اللجنة السياسية لدول هذا الميثاق قصد المصادقة على الاتفاقيات المختلفة التي اقرتها اللجان المختصة ، والنظر فى مشاكل الساعة بافريقيا وما تتطلبه من توحيد الخطط ومضاعفة الجهود لتحقيق الوحدة المنشودة ، كما اجتمعت بطنجة فى الصيف الماضي اللجنة الاقتصادية لدول الميثاق ، وكان من المقرر ان

ينعقد في الخريف الماضي اجتماع اللجنة السياسية بمراكش لولا ان حالت دون عقده اسباب ترجع الى التزامات بعض رؤساء دول الميثاق واننا لنؤمل ان يسفر اجتماعهم المقبل خلال شهر مايو بمراكش عن اتخاذ قرارات ايجابية لصالح تحرر قارتنا الافريقية ووحدتها .

وان مبادىء ميثاق الدار البيضاء لا تهم دول مجموعته وحدها ، بل هي مبادىء عامة صالحة لان تجمع حولها سائر الدول المتحررة في افريقيا .

سنلبي خلال هذه السنة دعوات بعض رؤساء الدول

ونظرا لما للاتصالات الودية والمباحثات المباشرة من آثار فعالة في حل المشاكل وتقوية اواصر التفاهم والتعادل بين الدول والشعوب فقد ابينا الا ان نلبي خلال هذه السنة رغم مشاغلنا العديدة الدعوات الكريمة التي تلقيناها من فخامة الرئيس احمد بن بلة ، والرئيس كيندي ، والرئيس شارل دوكول لزيارة الجزائر والولايات المتحدة وفرنسا . وسيكون من بواعث مسرتنا ان نستقبل بعد ثلاثة ايام فخامة السيد سيكني رئيس الجمهورية الايطالية ، وان المغرب ملكا وشعبا وحكومة ليرحب سلفا بمقدمه ويعتبر زيارته دليلا على طابع المودة التي تتسم به العلاقات بين المغرب وايطاليا .

باستقلال الجزائر

عادت العلاقات بيننا وبين فرنسا الى حالتها العادية

اما فيما يخص علاقاتنا مع فرنسا فباستقلال الجزائر عادت هذه العلاقات الى حالتها العادية ، وقد قمنا في شهر مايو الماضي بزيارة خاصة لفخامة رئيس الجمهورية الفرنسية الجنرال دوكول فاغتنمنا هذه الفرصة للمحادثة في شأن المشاكل المغربية الفرنسية، والتعاون بين بلدينا .

خطوات لتصفية مخلفات الماضي مع اسبانيا

وامتازت السنة المنصرمة بخلق اجواء ملائمة لتحسين علاقاتنا باسبانيا تمهيدا لحل المشاكل القائمة ، واوفدنا ممثلنا الشخصي وزير خارجيتنا الى الديار الاسبانية خلال شهر اكتوبر ، واستقبل من طرف فخامة الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية والمسؤولين في حكومته استقبالا وديا ، ويتمثل هذا التحسن ايضا في الزيارة التي قام بها نائب رئيس الدولة الاسبانية الجنرال منيوس كرانديس الى المغرب . وهذا جميعه يعتبر خطوات مشجعة في سبيل تصفية مخلفات الماضي واقامة علاقات المغرب واسبانيا على اسس جديدة .

سياستنا الداخلية تستهدف الحق والرفاهية

شعبي العزيز

ان سياستنا في الميدان الداخلي ما زالت تستهدف كذي قبل توفير مجالات العمل للمواطنين ، وتمهيد سبل العيش الرغيد لهم وحياطتهم بسياج الامن والعدل ، والسهر المتواصل على مالهم من حريات وحقوق .

القوات المسلحة الملكية مبعث فخر واعتزاز

ومن البديهي ان الاعمال البناءة لا يمكن القيام بها الا في بلد محمي الحوزة منيع الجانب ، يشعر اهله انهم يعيشون في طمأنينة واستقرار ومأمن من كل تهديد . وهذا ما تضطلع به قواتنا المسلحة التي تواصل نشاطها في الميدان العسكري مستهدفة الدفاع عن حمى الوطن ، وتساهم الى جانب ذلك في الاعمال العمرانية والاجتماعية .

وان القوات المسلحة الملكية لهي اليوم مبعث فخر واعتزاز لكل مغربي سواء بحسن تنظيمها او جودة تسلحها ومن المواطنين والاجانب الذين حضروا عرضها بمراكش يوم 17 نونبر الماضي لم تثر فخره واعجابه وهم يشاهدون جنودها تلوح عليهم مخايل الرجولة والبطولة والعزة القومية .

ان هذه القوات كانت وستظل محل عنايتنا ونحن نعمل على ان تتطور وحداتنا البرية والبحرية والجوية وتعظم طاقتها الدفاعية .

ويجري الآن المرة الاولى تزويد قواتنا البحرية بعدد من الوحدات المهمة وتكوين مئات من جنودها وضباطها الكفاة ، كما يتابع بنشاط تكوين ربابنة جويين يتعزز بهم جانب اخوانهم الذين يعملون حاليا في سلاحنا الجوي اولئك الذين برهنوا على مهارة فائقة .

وقد ساعد تنوع مهام قواتنا البرية وتمركز وحداتنا في النواحي العسكرية المحدثة اخيرا على تحقيق لا مركزيتها الادارية ، وهذه اللامركزية التي تستجيب للاحتياجات المعقدة للاقاليم تستدعي تقوية الاطر وتكوينها في مؤسسات خاصة بها . ولهذا قررنا تأسيس مدرسة وطنية لاركان الحرب يتلقى فيها ضباطنا تكوينا عسكريا واداريا يسد النقص الذي نشعر به في الساعة الراهنة . على ان تكوين اطاراتنا العسكرية يتابع بمنتهى النشاط في كلياتنا ومدارسنا الداخلية او بالكليات والمدارس العسكرية بالخارج . وسيوفر ذلك القوات المسلحة الملكية ما تحتاج اليه من مهندسين واطباء ومدربين .

ولا يفوتنا ان ننوه بالمجهود الجبار الذي بذلته القوات المسلحة الملكية طيلة الشهرين الماضيين لانقاذ واسعاف منكوبي الفيضانات التي اجتاحت بعض جهات مملكتنا ، كما ننوه برجال قواتنا الاحتياطية ودركنا الملكي وشرطتنا الذين يقومون ايضا باعمال مزدوجة لخير الشعب والوطن .

توحيد القضاء هدفنا

شعبي العزيز :

ما زال ولا يزال العدل يستأثر باهتمامنا وينال حظا وافرا من عنايتنا ، لا لانه اساس الملك فحسب . بل لانه حق مقدس يجب ان يتمتع به كافة الافراد والجماعات . لذلك واصلت وزارة العدل الجهود التي بذلت منذ نشأتها لاصلاح وتحسين مرافقه ، وانصرفت العناية خلال السنة المنصرمة بوجه خاص الى تحقيق وحدة القضاء بتوحيد المحاكم العادية والمحاكم العصرية .

وليس ذلك بالامر الهين الذي يمكن انجازه في فترة وجيزة ، اذ التوحيد الحقيقي ينبني على توحيد التشريع والاختصاص واللغة والاطر ، وينطوي تحت كل فرع من فروع التوحيد عدة مشاكل وعدة عقبات يجب التغلب عليها بالحصول على الوسائل الناجعة ، ومن اهمها اعداد القضاة الكفاة ولهذا الغرض انشأنا بالرباط معهد الدراسات القضائية لتدريب المتخرجين من كلية الحقوق وتوسيع معلوماتهم من الوجهة النظرية حتى يصيروا صالحين للقيام بمهمتهم الدقيقة في جميع محاكم المملكة .

والى جانب هذا تابعنا جهودنا لتوحيد التشريع فوضعنا طابعنا الشريف على قانون العقوبات الذي سيجري به العمل قريبا في جميع محاكمنا الجنائية ، وانها لخطوة مهمة في باب التوحيد جاءت معززة للخطوة الاولى التي اسفرت عن اصدار قانون المسطرة الجنائية الذي عم تطبيقه في جميع محاكمنا ، وبفضل التعديل الذي ادخل اخيرا عليه ، والذي اسند بمقتضاه النظر في جميع القضايا الجنائية الى المحاكم الاقليمية تم توحيد النظر في جميع القضايا بعد ان كان موزعا بين المحاكم العادية والمحاكم العصرية . وباشرت وزارة العدل اعداد مشروع قانون للمسطرة المدنية روعي في انشائه صلاحية تطبيقية لدى جميع المحاكم ، وتيسير اجراءاته رفقا بالمتقاضين وستدرس حكومتنا قريبا هذا المشروع قصد الملاحظة عليه ورفعه في صيغته النهائية الى جانبنا للمصادقة عليه ، كما يدرس الآن مشروعان يتعلقان باحكام العقود والالتزامات وقانون التجارة لتعميم تطبيقهما — بعد المصادقة عليهما — في جميع المحاكم .

ولجعل القضاء قريبا من المتقاضين انشأت محكمة اقليمية بتازة ، ومجلس للاستئناف بفاس يضم في منطقة نفوذه المحاكم الاقليمية والعصرية بفاس ومكناس ووجدة ، والمحاكم الاقليمية بقصر السوق وتازة ، ونحن عازمون على تأسيس محكمتين اقليميتين احداهما بالجديدة والاخرى بورزازات وتكثير محاكم السدد .

وستظل جهودنا مبذولة في هذا الميدان مستهدفة تحقيق العدالة واقامتها على قواعد متينة ، رامية الى توحيد جميع انواع التشريع وتطبيقه في محاكم واحدة ، كما سنواصل العمل الذي بدأناه لتكوين القضاة والتكثير من عدد المحاكم في جميع الاقاليم تيسيرا على الناس واداء للامانة التي طوق الله بها عنقها .

أعطيت الاسبقية للميدانين الاقتصادي والاجتماعي

شعبي العزيز :

لقد حبتنا العناية الالهية بوطن مبارك خصب التربة طيب المناخ ذي امكانيات واسعة قمينة ان توفر لاهله حياة رغيدة وعيشا كريما ، ولكن سياسة الاهمال التي طبقت في حقهم قرابة خمسين سنة حالت بينهم وبين الاستفادة من هذه الامكانيات ، كما حرمتهم

من استعمال الاساليب والمخترعات التقنية الحديثة في استثمار ميادين النشاط التي يكسبون منها قوت عيالهم فوقعوا بسبب ذلك في تخلف شديد .

وكان لزاما علينا منذ استعادتنا لاستقلالنا السليب ان نولي فائق الاهتمام لاكثر الميادين لصوقا بالحياة اليومية للامة ونعطى الاسبقية لاشد المرافق استئثارا بتفكير افرادها دون اهمال للمرافق الاخرى؛ وبالطبع كان الميدان الاقتصادي والاجتماعي اكثر الميادين التي تلفت النظر وتسترعي الاهتمام .

وبالنظر في ميزانيات التسيير والتجهيز التي وضعت منذ سنة 1956 يظهر بوضوح مدى الجهود المبذولة في هذا السبيل ، وازدياد النفقات المخصصة له سنة بعد اخرى . وبمراجعة يسيرة لميزانية السنة الحالية يتجلى ان الاسبقية ما زالت تعطى لتجهيز البلاد وللمرافق الحيوية التي تكفل العناية الفائقة بها قضاء مبرما على التخلف المادي والمعنوي الذي نعاني منه الامرين .

السياسة الاقتصادية تتسم بالحيوية والمطابقة لواقع المشاكل

وان السياسة الاقتصادية التي ننهجها لتتسم بطابعين اثنين : طابع الحركة الدائبة لاتعرف الفتور ، وطابع مطابقتها لواقع المشاكل التي نرى لزاما علينا ان نوجد لها الحلول .

تدخل الدولة عند الضرورة

ونحن اوفياء للسياسة الاقتصادية التي سلكناها باستمرار منذ الاستقلال ، ذلك فاننا نرى ان يكون الاقتصاد بالمغرب اقتصادا مغربيا ، وان تتوفر لدى المواطنين الوسائل لاخضاع هذا الاقتصاد لمراقبتهم ، كما نرى الى جانب هذا ان يكون بامكان الدولة ان تتدخل في الحياة الاقتصادية متى دعت المصلحة الى ذلك ليتأتى لها ان تشعر بما لها من تاثير ، ولتكون في الوقت المرغوب فيه المحرك الضروري والباعث الذي لاغنى عنه للنمو والازدهار .

تاميم السكك الحديدية والطاقة الكهربائية

وفي هذا الصدد سيتيح للدولة استرجاعها للامتيازين الخاصين بالطاقة الكهربائية والسكك الحديدية ان تتولى توجيه هذين القطاعين الاساسيين توجيها كفيلا بتسيير اسباب نمو البلاد الاقتصادي.

النمو الاقتصادي يعتمد على التجديد الزراعي

ويعتمد هذا النمو قبل كل شيء على تجديد اقتصادنا الزراعي تجديدا يتلاءم مع مقتضيات العصر، كما يعتمد على تكثير الانتاج في هذا المضمار ، وهدفنا من وراء ذلك هو سد حاجاتنا الاساسية الى منتوجات الزراعة ، ومواصلة التصدير ، ليقع التعادل المنشود في ميزاننا التجاري من جهة ، وخلق سوق داخلية حقة وانماؤها من جهة اخرى ، لانها ستكون بعد امد بعيد اساسا للازدهار .

سياسة واقعية للتصنيع

وهذه السوق هي التي ستكون دعامة لسياسة تصنيع واقعية تتكتل بفضلها بعض جهودنا قصد انشاء الوحدات الصناعية الثقيلة التي هي ضمان مستقبلنا ، وتتجه بالاسبقية نحو ايجاد صناعات تحويلية عديدة تستطيع في سائر انحاء مملكتنا استيعاب يد عاملة كثيرة .

وتقتضي سياسة التنمية والتوسع الاقتصادي هذه تنسيق جهود الدولة والقطاع الخاص وانسجاما ضروريا بين وجوه نشاطهما في مختلف الميادين .

واذا كان على الدولة ان تقوم في دائرة مخطط متسم بالمرونة بدور الدلالة والتوجيه وتختص بالقطاعات الاقتصادية الاساسية كالصناعات الثقيلة والنقل والطاقة الكهربائية فان على القطاع الخاص ان يتجه من الآن فصاعدا نحو التوظيف المثمر ، ويعدل عن استعمال رؤوس امواله في المضاربات العقيمة العقارية منها والتجارية ؛ وبالاضافة الى هذا كله فان ضروبا من نشاط الدولة ستباشر داخل لامركزية واسعة ، من ذلك ان مخططات للنمو الجهوي ستدخل في حيز التنفيذ واننا لننتظر الشيء الكثير مما ستبذله المجالس الاقليمية من جهود قصد اعطاء هذه المخططات الحيوية والمتوخاة تلك المجالس التي سيقع تنصيبها في الاشهر المقبلة وفق ماتفرضه مقتضيات الدستور .

بيد ان هذه الجهود كلها لن تكون لها جدوى الا في اطار مجموعة اقتصادية ، ولذلك فان المساعي التي نبذلها منذ الآن لانقوم بها الا باعتبار لوحدة المغرب العربي ، ولن ندخر وسعا حتى تتحقق هذه الوحدة في اقرب الآجال .

وسيكون بامكاننا انذاك ان نتفاوض على قدم المساواة مع مجموعات اقتصادية دولية قصد المحافظة على علاقاتنا بها وتوسيع دائرتها .

الازدهار الاقتصادي رهن بتطور القطاع الفلاحي

ولا مراء في ان الازدهار الاقتصادي الذي ننشده لايتحقق الا اذا اخذ القطاع القروي حظه الوافر من التطور والتجديد ، وادخلت اصلاحات جذرية عليه.

الفلاحة

لقد استطاعت الفلاحة سنة 1962 وللمرة الاولى منذ عدة سنوات ان تجني ثمار الجهود المتواصلة التي بذلها فلاحو مملكتنا الشريفة .

ولقد اسفر موسم السنة الماضية عن محصولات في بعض النواحي بعثت على الارتياح فخامر الفلاحين شعور بالثقة في المستقبل واتاح لهم تسديد قسط كبير من الديون التي تراكمت عليهم من جراء السنوات العجاف كما ساعدهم على اعادة تكوين ما استنفذوه من مذخراتهم .

ولئن كان الفلاحون قد اعتادوا التطلع الى نزول الغيث فان غزارة الامطار التي تهاطلت بدون انقطاع منذ استهل الموسم الفلاحي تجاوزت الحد المعتاد وكانت شديدة الوطأة بليغة المفعول حتى ان الاضرار الناجمة عنها في مختلف نواحي المغرب ولا سيما في منطقة الغرب بلغت حدا اضمحلت معه في بعض ساعات امتعة وممتلكات عمل الفلاحون على تكوينها بكل عناية واجتهاد .

واننا بهذه المناسبة لنؤكد للفلاحين الذين حلت بهم الكارثة كبير عطفنا عليهم وشامل رعايتنا لهم ومزيد اهتمامنا بشؤونهم كما نؤكد لهم عزمنا على بذل كل مجهود لتخفيف وطأة الكارثة وتقليل مفعولها سواء بالنسبة اليهم او بالنسبة للاقتصاد العام ؛

ولاجل هذا فقد اصدرنا امرنا الشريف لوزير فلاحتنا باتخاذ انجع الوسائل قصد اسعاف المنكوبين ومساعدتهم على استعادة ماكان لهم من متاع . ومنح المستحقين منهم الحبوب ووسائل العمل لتلافي مفعول الكارثة .

تدخل الدولة لفائدة الفلاحة

وان هذه الكارثة التي تجلى بسببها اروع مظهر من مظاهر التضامن الوطني والدولي برهنت علاوة على هذا عن قيمة الجهاز الجديد الذي تم اعداده وتنصيبه في السنوات الاخيرة ليتاح للدولة التدخل في الميدان الفلاحي .

وتحقيقا لهذه الغاية فان كل مصلحة من مصالح الوزارة وكل مكتب من المكاتب التابعة لها قد ضاعف منجزاته خلال الموسم الاخير وعمل على توسيع نطاق هذه المنجزات .

وان تربية المواشي التي تكون جانبا ذا شان من النشاط الوطني لتستأثر بقسط كبير من اهتمامنا ، فصح عزمنا على القيام بسلسلة عمليات ترمي الى احياء المراعي وتحسين حالة الماشية من الوجهة الفنية ، وتنظيم اساليب تربيتها تنظيما متقنا ، والاهتمام على الخصوص بالمربي الصغير بتجهيز المراعي الجماعية ومنح قروض لاقتناء الماشية .

ولكي نتبين حالة الاراضي الفلاحية اصدرنا نصا تنظيميا يتعلق باحداث سجل وطني لاحصاء المساحات، وقد تناول هذا الاحصاء الى حد الآن مساحة الستمائة والستين الف هكتار التي تتكون منها الدوائر السقوية.

وان المكاتب على اختلاف اصنافها قد ضاعفت عملها لاجل التكوين المهني للفلاحين وتعميم اساليب الزراعة الكفيلة بترقية الفلاحة .

وزيادة على ما تقوم به المكاتب من اعمال عادية فقد قام كل منها بوضع مشاريع او تقديم دراسات هامة .

وهكذا جمع المكتب الوطني للري في نطاق ابحاثه الجهوية الكبرى سائر الدراسات المتعلقة بتهيئة حوض وادي سبو ، وقد اسفرت اخيرا المفاوضات التي

اجريت مع الصندوق الخاص للامم المتحدة عن فتح اعتماد قدره 1.200.000 دولار لفرض المنظمة الدولية للتغذية والزراعة الرامي الى اعداد الخطوط الشاملة لهذا المشروع الذي يهدف الى توظيف مبلغ يقدر بمليار درهم يشمل المناطق الثلاث : ورغة وسبو العالي ، والغرب ،ويؤدي الى استصلاح مئات الآلاف من هكتارات الاراضي الزراعية الجيدة عن طريق الاصلاح والري كما يساعد على انشاء صناعات زراعية جيدة وتفادي وقوع كوارث مثل التي حلت اخيرا بالمغرب .

اما المكتب الوطني للتجديد القروي فقد عني بوجه خاص بتكوين مرشدين قرويين مهمتهم تنظيم تكوين الفلاحين في السنة المقبلة ، ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد انه لم يقع اغفال تكوين المراة القروية وتهذيبها فقد تم القيام بابحاث حول حالة المراة ودورها بالبادية من شأنها ان تساعد في مستقبل قريب على احداث مراكز لتهذيب المراة حتى تصير كفؤا للرجل .

هذا وقد بوشر اعداد كل ما من شانه ان يساعد على تحقيق الاهداف المنتظرة من الانتاج كمية وكيفا ولتصبح مداخيلهم اكثر استقرارا ؛ تلك هي المهمة المنوطة بالمعهد الوطني بالبحث الزراعي فان هذا المعهد ليواصل جهوده منذ سنتين ويوالي تطبيق الاساليب العلمية بحقول التعميم المنشاة باراضي الفلاحين على يد اعوان مكاتب اصلاح الاراضي .

التعليم الفلاحي

ولن تؤتي جهود تنمية فلاحتنا الثمرات المنشودة الا اذا كانت مقرونة بتوسيع نطاق التعليم الفلاحي في مختلف اطواره ، وقد تقرر في هذا المضمار احداث معهد وطني للدراسات الزراعية خلال سنة 1964 فتحت فصوله التحضيرية منذ الآن ابوابها في وجوه الطلاب وقسم للتخصص العالي تلقن فيه المواد التي لها مساس بعلاجة البحر المتوسط ، وسيكون بامكان الطلبة المغاربة والاجانب متابعة دراستهم بهذا القسم وذلك المعهد ؛ اما شهادة الهندسة الزراعية التي سيحصلون عليها فانها ستكون معادلة للشهادة الاوربية .

وليس تزويد الفلاحين بالاطارات بكاف وحده ولن يكون ذا جدوى الا يوم يشعر الفلاحون بما يجب عليهم ان يقوموا به من دور ويوم يعرفون مصالحهم ويعلموا ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات ، ولذا فان الفرق الفلاحية التي تم تجديد نطاقها سيكون عليها ان تضطلع بمهمة اساسية تتلخص في التعبير عن حاجيات الفلاحين وتوضيح نوايا الحكومة ومقاصدها.

ومهما يكن من امر فلن يكون لاي عمل يباشر بالبادية تاثير او فاعلية ما دامت الاوضاع العقارية على الحالة التي هي عليها ، ولذلك فان الاصلاح الزراعي الذي سبق اقرار مبدا اجرائه يتعين من الآن انجازه وان عدد الدراسات وقيمتها والاعمال التحضيرية التي كانت خاصة به ما يسمح لنا بالاعتقاد بان انجازه سيتم على وجه الاحكام

مراجعة الاوضاع الفلاحية

وسيؤدي الاصلاح الزراعي الى مراجعة شاملة للاوضاع الفلاحية وذلك بتحديد الملكية وتوزيع الاراضي وفق مقتضيات الدستور ولفائدة شعبنا وازدهار اقتصادنا ، وسيباشر هذا الاصلاح الزراعي الذي نعتبره جوهريا بالنسبة لنمونا على الوجه الذي لن يلحق احدا معه ضرر بسبب الاجراءات الدقيقة التي ستسلك في هذا المضمار ورعيا للتعويضات العادلة التي ستبذل لجميع من يتناول املاكه الاصلاح .

صناعتنا الناشئة تتمتع بحماية جمركية

وقد تمتعت صناعتنا الناشئة بتدابير جمركية لحمايتها كلما دعت الحاجة الى ذلك ، وظلت الصناعة التقليدية محل عناية واهتمام ، لا لانها مورد الرزق لعدد كبير من المواطنين فقط ، بل لانها تمثل حضارتنا وتجسم ذوقنا وحذقنا ، ونحن جادون في ادخال التحسينات الضرورية عليها حتى تساير العصر وتحتفظ باصالتها في نفس الوقت ، كما اننا نمدهـا بجميع العناصر التي تضمن لها البقاء ، بما تكون لها من عمال ، ونقدم لها من قروض . على اننا نعتقد اعتقادا جازما ان لا سبيل الى نهضة حقيقية للصناعة التقليدية الا اذا اصبحت التعاونيات المحور الذي تدور عليه .

اتساع علاقاتنا الاقتصادية والمالية مع الخارج

وامتازت السنة الماضية باتساع علاقاتنا الاقتصادية والمالية مع البلدان الاجنبية ، وواصلنا

سياستنا الرامية الى تنويع التجارة الخارجية ، واعطت اتفاقيات التعاون المضاة بين المغرب وعدد من الدول اطيب النتائج ، اذ دلت الاحصائيات على ارتفاع محسوس في المواد المتبادلة بيننا وبينها .

وارتفعت صادراتنا من الفوسفاط ، فبلغت لاول مرة في تاريخ المغرب استخراج هذه المادة ثمانية ملايين من الاطنان .

عدالة اجتماعية في الاستيراد والتوزيع

ولئن كان اهتمامنا كبيرا باعداد اقتصادنا لمجابهة الحقائق الدولية فان حكومتنا مهتمة في الميدان الداخلي كذلك باقرار العدالة الاجتماعية فيما يرجع لتوزيع المنتوجات واثمانها سواء كانت هذه المنتوجات محلية أو مستوردة من الخارج .

ولهذا قررنا ان نطبق فيما يخص الاستيراد والتوزيع نظاما تعاونيا يقوم على مساهمة المعنيين بالامر ، وسنخطو في هذا الصدد خطوة اولى فيما يرجع لتوزيع السكر والشاي والزيت على هذا الاساس، وستتلو هذه الخطوة خطوات اخرى .

الانعاش الوطني يعجل بنهضة البلاد

واشعارا لما لنا من رغبة في التعجيل بنهوض البلاد وتجهيزها واصلاح مرافقها ابتكرنا منذ صيف سنة 1961 طريقة للعمل اسميناها (الانعاش الوطني) تستهدف في آن واحد تعبئة كافة القوى الحية في البلاد ومد عناصر الاصلاح والتجديد الى جميع الاقاليم حتى يكون تطورها متوازيا منسجما . ولم نقتصر في ميدان الانعاش الوطني على مواصلة الجهود التي بذلت منذ نشاته ، بل ضاعفنا تلك الجهود لاستصلاح وتنمية النواحي التي هي في اشد الحاجة الى ذلك .

مثال من ورزازات

وقد اصبح الانعاش الوطني مندمجا في حياة المغاربة حتى كانه جرى في عروقهم مجرى الدم ويجدر بنا في هذا الصدد ان ننوه باحد اقاليمنا الا وهو اقليم ورزازات الذي لمس سكانه الفوائد القريبة والبعيدة التي تستفاد من الانعاش الوطني ، حتى صاروا يسارعون الى العمل مجانا في نطاقه مكتفين بما يقدم اليهم من مواد وادوات لانجاز مشاريعه .

هذا وان المجلس الاعلى الموحد بما يشتمل عليه من التخطيط والانعاش الوطني ـ كما نص عليه الدستور ـ والذي سنترأس بنفسنا جلساته سيتيح لنا القيام بعمل واسع المدى منطقي محكم ومنسق ، وستسفر مداولاته ولا ريب عن تقدم بالغ في مضمار كفاحنا من اجل تقوية انتاجنا ورفع مستوى حياتنا وفسح المجال لتشغيل المواطنين .

على ان هذه الطريقة المبتكرة في التجديد والاستصلاح لا تعني استئثار الانعاش الوطني وحده باعمال البناء والتشييد ، اذ ان الوزارات تواصل نشاطها العادي في المجالات الخاصة بها ، وفي ميدان التجهيز على الخصوص ينبغي التنويه بمجهود وزارة الاشغال العمومية لتوسيع شبكة الطرق والسكك الحديدية ، وتجهيز الموانيء والمطارات ومد الاسلاك الكهربائية الى عدد من القرى والجهات النائية ، وبناء مساكن اقتصادية سليمة تسكنها الطبقات المعوزة لقاء كراء زهيد .

كما يجدر بنا التنويه بمجهود وزارة البريد لتقوية وسائل الاتصال السلكي واللاسلكي بين مختلف المدن والقرى القريبة ، وبين المغرب والخارج ، واستعمال احدث الوسائل الفنية في ذلك .

ولا تفوتنا الاشارة ايضا الى الاعمال المثمرة التي ستحقق في الميدان السياحي الذي تعلق عليه املا كبيرا فقد رصدت لمصالح السياحة اعتمادات مهمة تمكنها من توسيع شبكة الفنادق واصلاحها بالشمال والجنوب ، وتجهيز شواطئنا بمصابح مستوفية لجميع الشروط المريحة وتحسين وسائل الاستقبال بالمنافذ التي يرد منها الضيوف الاجانب على بلادنا .

نهضة مادية واجتماعية متوازية

شعبي العزيز :

ان اهتمامنا لم يكن قط منحصرا في تهيئة اسباب الرقي المادي والازدهار الاقتصادي بمملكتنا ، ولكنه يشمل الجوانب الثقافية والاجتماعية ايضا ، لان الهدف الاعظم الذي كان والدنا المرحوم يسعى لتحقيقه والذي اخذنا العهد على نفسنا ان نحققه بعد وفاته

يرمي الى ايجاد توازن بين التطور المادي والتقدم الاجتماعي للمواطنين .

سيصبح التعليم الابتدائي اجباريا

ومن البديهي ان من اعظم الميادين التي يجب الاعتناء بها واعطاؤها ما ينبغي من الاهتمام ميدان التعليم ، ولاهمية هذا الميدان ، وما تعلقه نحن وشعبنا على تعميم الثقافة والتربية من آمال خصصناه هذه السنة ــ كالسنوات الماضية ــ باعتمادات ضخمة من الميزانية العامة . تسمح بتوسيع نطاق التعليم في مختلف مراحله ، وبفضل السياسة المخططة بدقة والتي يتم تنفيذها بمنتهى الحرص منذ سنوات اصبحت مدارسنا تستوعب اغلبية ابنائنا الذين هم في سن التعليم ، واستطاعت في اكتوبر الماضي ان تضم بين احضانها 300 الف طفل جديد . اي جميع من بلغ سنهم السابعة من الاطفال ، وعدد آخر ممن فاتهم الركب وتجاوزوا السابعة . وبهذا نكون قد وصلنا الى النتيجة الحتمية التي تشرف بلادنا ، وهي جعل التعليم الابتدائي اجباريا ابتداء من الموسم الدراسي المقبل ؛ بل كذلك بتحوير في السياسة التعليمية وتوجيهها توجيها جديدا لرفع مستواها ، والوصول بها الى اهدافها السامية في اقرب وقت ممكن .

ارقام سارة

فكان من بين المنجزات ان تضاعف عدد التلاميذ والطلاب فبلغ مجموع تلاميذ الاقسام الابتدائية ماينهاز المليون ومائتي الف تلميذ ، وتجاوز عدد تلاميذ الثانوي المئة الف ، وبلغ عدد الطلاب الجامعيين 6.000 طالب تقريبا منهم اكثر من 1.500 طالب في الخارج .

وخطونا خطوة هامة في تكوين المعلمين والمعلمات وتحسين مستواهم الثقافي والمهني ؛ فصرنا قادرين من الآن والحمد لله على تكوين ما نحتاج اليه من معلمين في السلك الابتدائي . وشرعنا في بذل نفس الجهود لتكوين اطر الثانوي والعالي لتوفيرها شيئا فشيئا حتى لا تبقى في المستقبل القريب عالة على الغير .

كلية الطب

وشاهد التعليم العالي ؛ سواء منه الاسلامي او العصري تطورا محسوسا ، فقد دشنا في بداية السنة الجامعية كلية للطب وهي تضم في سنتها الاولى اكثر من 132 طالبا ويتابع بالخارج الآن عدد من الاساتذة المساعدين والمتدربين المغاربة تكوينا خاصا ليلتحقوا بكلية الطب في السنة المقبلة .

جامعة القرويين

واعيد تنظيم جامعة القرويين على اسس جديدة ترفع من شانها ، وتجعلها تحتل المكانة اللائقة بها ، وتعيد مجدها التاريخي السابق ، واحدثت بها كليتان جديدتان احداهما للدراسات العربية بمراكش ، واخرى لاصول الدين بتطوان ، زيادة على كلية الشريعة التي دشنت منذ سنتين بفاس .

كما اننا لم ننس الجالية المغربية الموجودة في الخارج ، ولا سيما في فرنسا ، فاحدثنا زيادة على البعثة الثقافية الموجودة هناك مدرسة ابتدائية يتكون فيها ابناؤنا على نفس الطريقة التي يتبعها اخوانهم في ارض الوطن .

اعتمادات سخية لمدارس التكوين

وعلاوة على ذلك فان حكومتنا ما زالت ترصد اعتمادات سخية لسائر مدارس التكوين والتخصيص التي تسيرها وزارات اخرى تنفيذا لسياستنا الرامية الى دعم جهازنا الاداري بموظفين كفاة ، وايجاد يد عاملة وطنية متخصصة تستطيع الامساك بدواليب الاعمال في القطاعات الحرة والخاصة بمنتهى المهارة والاقتدار ، وفي هذا الصدد نشير الى ان مصالح الانباء التي اتسع نطاق عملها لخير الوطن وفائدة المواطنين ستحدث بالرباط مدرسة للصحافة والانباء ، لتمد بموظفين كفاة مصالحنا الصحفية والتلفزيونية والراديوفونية التي تقوم بدور هام في تعميم الوعي والتسلية والتثقيف .

افكار مستنيرة ... واجسام سليمة ...

ويمثل الارادة القوية التي تقود خطانا فيما يخص نشر التعليم وتكوين الاطارات تواصل العمل في الميدان الصحي شعورا منا بان النهضة لا يمكن الا ان تقوم على سواعد المواطنين القوية ، وان حاجة الوطن الى الاجسام السليمة توازي حاجته الى العقول والافكار المستنيرة .

وفي هذا الصدد تواصل العمل الحثيث ضد الامراض الاجتماعية ، فاستمرت حملات الطب الجماعي في مجموع تراب المملكة مسفرة عن نتائج جيدة لا سيما في ميدان مكافحة الرمد والسل وحمى المستنقعات ، كما شرع في القيام بحملات اخرى للتلقيح ضد عدد من الامراض التي تصيب الطفولة المغربية بكيفية خطيرة .

وقد امكن اتمام الشطر الثاني من التصميم الخماسي بنجاح تام ، مما اتاح تحسين الاجهزة الصحية الاساسية بالبلاد ، وذلك بزيادة 140 من المستوصفات والمراكز الصحية بالمدن والقرى واستعمال 950 سريرا جديدا بالمستشفيات ، اما سنة 1963 فستشهد زيادة 1980 سريرا جديدا .

واذا كانت وزارة الشغل والشؤون الاجتماعية تبذل جهودا مشكورة لحماية الحقوق والمكاسب للطبقات التي يحميها تشريع اجتماعي فان وزارة الصحة العمومية تبذل الجهود لتخفيف آلام الطبقات التي لا تتمتع بضمانات اجتماعية ، وتسهر على تقديم المساعدة لهذه الطبقات والاطارات التابعة لها واطارات منظمة التعاون الوطني التي اعدنا النظر اخيرا في اوضاعها .

بناء المساجد واصلاحها

وفيما يرجع لنشاط وزارة الاوقاف اوفدنا وزيرنا فيها الى جل الاقاليم للتعرف على احتياجات المواطنين في الميدان الديني . وعلى ضوء دراساته ومشاهدته امكن بناء عدد من المساجد واصلاح وتجديد مئات اخرى ، كما يوجد تحت الدرس مشروع بناء عدد من المساجد في الاحياء العصرية التي تزايد سكانها المسلمون في السنوات السبع الاخيرة .

توفير الوعاظ والمرشدين

وقامت وزارة الاحباس ايضا بتوفير العدد الكافي من الوعاظ والمرشدين لتزدهر بهم من جديد حلقات الثقافة الاسلامية ، ويكون المسلمون على بينة كاملة من شؤون دينهم وآدابه السامية واخلاقه العالية .

وتسهم الاحباس بالاضافة الى ذلك في الاعمال العمرانية والاقتصادية والاجتماعية بما تشيد من بناءات ، وتغرس من آلاف الهكتارات .

تلك منجزاتنا وأهدافنا

شعبي العزيز :

تلك هي منجزاتنا التي حققناها خلال سنة انقضت ، وتلك هي المبادىء والاهداف التي تحفزنا للعمل وتطبع عملنا في كافة الميادين .

والمتامل في تلك المنجزات والاهداف يجدها امتدادا للسياسة التي كان ينتهجها جلالة والدنا المرحوم ، والتي كنا ساعده الايمن بل جنديه الوفي المعبأ لتطبيقها ليبلغ المغرب بفضلها شاو الشعوب المتقدمة الجامعة بين سجد الماضي وعزة الحاضر .

وستشهد في هذه السنة ايها الشعب الوفي اقامة المؤسسات التي كافحت بقيادة والدنا المرحوم لاقامتها حتى تستطيع ان تعبر عن رايك في كل القضايا التي تهمك وطنية كانت او اقليمية او محلية ، ممارسة بذلك جميع حقوقك ، ولتحقيق هذا الهدف العزيز ستدعى الى انتخاب ممثليك في المجالس التي نص عليها دستور حظي برضاك وموافقتك ، كما يستدعي الهيئات التي تزاول لونا من الوان النشاط الاقتصادي الى اختيار ممثليها في الغرف المهنية ، فتطبق بذلك في بلادنا ديمقراطية حقة في الميدانين السياسي والاقتصادي ، ويخيم على حاكميها ومحكوميها جو الثقة والتآزر والتعاون .

لاتناقض بين الحرية والفاعلية

ان الدستور الذي صادقت عليه ايها الشعب الوفي اوضح ما لك من حقوق وما عليك من واجبات . ووطد اركان الديمقراطية في هذه البلاد ، واننا لمقبلون بذلك على قطع مرحلة جديدة من حياتنا تتطلب الاخلاص والجد والفاعلية وشعور كل فرد منا في عمق ضميره وقرارة نفسه بمسؤوليته حيال مواطنيه وليس في هذه الخصال ما يتنافى مع النظام الحر الذي سنه دستورك ، ونحن من الآن امام اختيارات حاسمة بالنسبة لمصير الوطن . فاذا كانت الحياة الديمقراطية تمتاز باختلاف النظريات والآراء فان اهدافنا الوطنية العليا تتطلب وحدة الصف واجتماع الكلمة وتعبئة كافة القوى لتحقيقها ، مثل استرجاع اراضينا المقتصبة ، وتشييد وحدة المغرب العربي ، وتصنيع البلاد طبق مخطط محكم يضع حدا للارتجال ويجنب صناعتنا الناشئة مغبة الاخطاء والهفوات .

فلتكن تجربة ناجحة

فاحرص ايها الشعب الوفي على ان تكلل هذه التجربة بكامل النجاح ، وان تكون اداة للبناء والاصلاح والتجديد ، وان تحقق عن طريقها كلما تصبو اليه من خير عميم واعط الدليل بحسن اختيارك وصائب اقتراحاتك وسديد ملاحظاتك عن عمق تفكيرك ، وشدة وعيك ، وبحثك الموفق الرشيد عن اسباب عظمتك وسعادتك .

الشعب عماد كل بناء

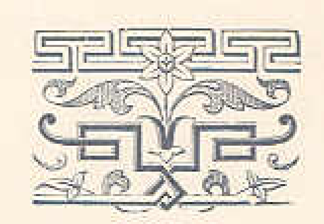
وسيبقى المعول بعد الله عليك في بناء مستقبلك وتشييد صرح نهضتك ، فالحكومات مهما حسن تفكيرها وعظم نشاطها ، وكثرت الوسائل المادية والادبية التي بين ايديها لا تستطيع تحقيق الخيرات وبلوغ الاهداف الا بمعاضدة ومؤازرة شعوبها ، فواصل أيها الشعب العمل وتحمل التضحيات فانما تكد لعظمة وطنك وتضحي لتضمن السعادة لابنائك وبناتك ولاجيالك الآتية .

الإسلام أنار لك السبيل

وان السر فيما بلغته من رشد ، وتتحلى به من حسن تصرف ليرجع الى ما لديننا الاسلامي من تأثير طيب على نفوس ابنائك . هذا الدين الذي انار لبلادنا السبيل ومهد لاجدادنا سبيل الخير والذي يغذينا بعواطف الاخوة والايثار وروح العز والاخلاص ، فلنتمسك به ولنسر في محجته البيضاء ، فمن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .

نسال الله ان يتغمد جلالة امامنا وقائدنا محمد الخامس برحمته الواسعة ، ويسبل عليه شآبيب المغفرة والرضوان ، ويسدد خطانا ويهدينا لأقوم سبيل ، ويأخذ بيدنا لما فيه سعادة شعبنا وعزة وطننا كما نبتهل اليه عز وجل ان يلهم المسلمين وملوكهم ورؤساءهم في مشارق الارض ومغاربها سبل الهداية والرشاد ، ويكشف عن اخواننا عرب فلسطين ما يعانونه من شدة وبلاء ويسبغ على البشرية اردية الامن والرخاء والهناء .

(رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث ، فاطر السموات والارض انت ولي في الدنيا والآخرة وتوفني مسلما والحقني بالصالحين) .



ذاتية الإسلام أمام المذاهب والعقائد

للأستاذ : محمد المبارك

- 2 -

الاسلام فى مواجهة المشكلات الجديدة

1 — التعسف فى فهم النصوص

ان المسلمين حين واجهوا الحضارة الغربية فى هذا العصر وقفوا مواقف مختلفة وصادفوا احوالا متنوعة . ففي حين أن بعضهم قاس الاسلام بمقاييس غيره وقومه بقيم استعارها من انظمة اخرى وهي غير مسلم بها نرى فريقا آخر يتعسف فى فهم النصوص، ويتعثر فى فهم مدلولات الالفاظ ، ومثال ذلك من ينكر مبدأ الضرائب المالية بحجة انه ليس فى الاسلام ضرائب وانما فيه الزكاة ، ولو كان هذا المنكر دقيقا خبيرا لقال : ان الضريبة مال تستوفيه الدولة من الناس وتجبيه منهم بطريقة معينة او نسبة محددة. ولو نظرنا الى موقف الاسلام حينئذ من الضريبة لوجدنا انه يقر انواعا منها وينكر انواعا ، فالزكاة نفسها ضريبة مالية وكذلك الخراج والجزية مثلا . ولو طرحنا هذا السؤال ، هل يجوز لولي الامر ان يفرض على الناس ضرائب لم يرد عليها نص شرعي ؟ لكان الجواب ان فى الاسلام قاعدة قررها الحديث الوارد فى صحيح الترمذي وهو قوله عليه السلام « فى المال حق سوى الزكاة » ، ولم يحدد الحديث هذا الحق فاذا اقتضت مصلحة المجتمع انفاق المال ولم يكن فى بيت المال ما يكفي ، وكانت هذه المصلحة ضرورية كالدفاع عن ارض المسلمين ، او كفاية الفقراء الذين لم تكفهم اموال الزكاة ، فلولي الامر ان يفرض فى اموال القادرين ما يسد تلك الحاجة الضرورية تطبيقا لهذا المبدا . وعلى هذا فليس مبدا فرض الضريبة فى ذاته منكرا، ولكن لو فرض الحاكم ضريبة مالية لا مسوغ لها أو تتضمن ظلما لفئة من الناس لكان بذلك مرتكبا ظلما لا يقبله الاسلام . ولا عبرة لكون لفظ الضريبة حديثا غير قديم ، ولا يستدل من حداثتها على ان مدلولها لم يكن معروفا ، بل الامر على عكس ذلك اذ ان مدلولها وهو (فرض ولي الامر فريضة فى مال الرعية) كان معروفا وتدخل الزكاة تحت هذا المعنى الواسع ، ولكن الزكاة هي الحد الادنى الذي لابد منه ، واذا تأملنا الحديث القائل (فى المال حق سوى الزكاة) ، والحديث الآخر الذي رواه مسلم فى صحيحه : عن ابي سعد الخدري ، قال : بينما نحن فى سفر مع النبي (ص) ، اذ جاء رجل على راحلة له ، فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا ، فقال رسول الله (ص) من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له ، فذكر من اصناف المال ما ذكر حتى رأينا انه لا حق لاحد منا فى فضل » . اقول اذا تأملنا فى هذين الحديثين عرفنا ان لولي الامر كما بين الفقهاء ان يأخذ حين اقتضاء الضرورة وتحقق المصلحة العامة من اموال الناس الزائدة عن حاجاتهم الاصلية ما تقتضيه تلك الضرورة وتتحقق به المصلحة. ويفهم من هذا الحديث ان تملك ما يزيد عن الحاجة انما هو فى المفهوم الاسلامي نوع من التملك الذي يمكن ان يحدده ولي الامر بحدود الضرورة والمصلحة العامة . واما تقدير الضرورة والمصلحة فليس كيفيا ولا خاضعا لاهواء ، وانما يجب ان يستأنس فيه بأهداف الشرع المستنبطة من نصوصه ويقتصر فيه على حد الضرورة ولا يتعداها .

وقد ذكر الفقهاء احوالا لولي الامر فيها ان يأخذ من اموال الاغنياء او من فضول اموال الناس ما تسد به الحاجة الضرورية .

2 — تطبيق قواعد الشريعة على الاحوال الجديدة

وقد تحدث للناس احوال وتقع لهم وقائع تقتضي حكما جديدا يبنى على مبادىء الشريعة ويستنبط من اهداف نصوصها ومن قواعدها العامة وغاياتها . ومثال ذلك في عصرنا نظام العمل ، فقد يقول قائل ان العامل بالنسبة الى رب العمل اجير تنطبق عليه احكام الاجارة في كتب الفقه ، والعقد الذي يكون بينه وبين رب العمل هو الذي ينبغي ان يطبق ما دام مستوفيا لشروطه ، وليس لكم ان تفرضوا على رب العمل او على العمال اي شرط آخر كتحديد الاجر او ساعات العمل او غير ذلك .

ولو نظرنا الى هذه المسألة بروح الشريعة لوجدنا ان هذا الاعتراض سطحي جدا ومردود ، وينطوي على جهل بظروف المشكلة وبروح الشريعة في آن واحد . ذلك أن العامل قد يكون مضطرا بسبب حاجته لقبول الاجرة المعروضة عليه ، وقد تكون دون ما يستحق من اجر ، وتشتد الحال اذا كان رب العمل واحدا او جماعة متفقين على أن لا يدفعوا للعمال الا اجرا ضئيلا طمعا في الربح الكثير مستغلين شدة حاجة العمال الطالبين للعمل . وقد يرهق رب العمل عماله بالعمل الطويل الشاق كما كان يحدث في اوربا في أوائل عهد الصناعة الآلية . وفي مثل هذه الحال يستطيع أن يتحكم قليل من أصحاب المال والنفوذ في آلاف من العمال الفقراء غير اولي النفوذ .

فهل نتركهم في فقرهم وسوء حالهم ؟ ان الاسلام يعالج هذه القضية وذلك بأن يعطي الفقراء من العمال من بيت المال اذا كان فقرهم غير ناشىء عن ظلم من استخدمهم في العمل . واذا لم يكن في بيت المال من اموال الزكاة ما يسد هذه الحاجة، فرض على الاغنياء فريضة من اموالهم ليردها على الفقراء . واما اذا كان الفقر ناشئا عن ظلم العمال كاعطائهم من الاجر دون ما يستحقون ودون ما تقتضيه العدالة في توزيع الربح واخذ صاحب العمل الارباح الفاحشة فان لولي الامر أن يتدخل في الامر ويفرض الاجر العادل . وهذا يدخل في باب التسعير ، وهو تسعير للاعمال كتسعير السلع والبضائع وقد نص اكثر الفقهاء على جواز التسعير في احوال منها احتكار الاقوات وبيعها بسعر جائر . والاعمال كالسلع في هذا الحكم (*) وقد ورد في الحديث (اعط الاجير اجره قبل أن يجف عرقه) ، وفي الحديث الآخر الوارد في صحيح البخاري : « ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته ، من اعطى بي ثم غدر ، ومن باع حرا واكل ثمنه ، ومن استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يوفه اجره » ولا شك أن المقصود من اجره العادل الذي يستحقه ، لا الاجر الجائر الذي يأخذه بالرضى الظاهر مع السخط القلبي لشدة الحاجة . وقد ورد في احاديث اخرى النهي عن تكليف الصبيان الكسب لئلا يلجؤوا الى السرقة وعن تكليف الاماء كذلك (*) كما ورد النهي عن تكليف الخدم من العمل ما يغلبهم (*) .

ومن المعلوم ان لولي الامر ان يقيد المباح او ان يأمر به اذا كان في ذلك مصلحة عامة ، وفي هذا كله ما يصلح ان يكون اساسا وقاعدة لنظام العمل تصان به حقوق الناس سواء اكانوا عمالا او اصحاب اموال ، لانه كما يمكن ان يظلم اصحاب الاموال العمال يمكن أن يقع العكس كذلك بأن يطغى العمال بسبب كثرتهم وشدة ضغطهم وتسلطهم في بعض الاحيان على الحكام فيطالبوا بما ليس من حقهم وان كانت الحالة الاولى هي الاكثر شيوعا ووقوعا . فوظيفة ولي الامر في الشريعة الاسلامية اقامة العدل ، والزام كل انسان حده ، واعطاء كل ما يستحق وفقا لقواعد الشريعة التي روعيت فيها في الاصل مصالح الناس وحقوقهم وانصاف بعضهم من بعض . ولا يقال ان هذا من باب التشريع ولا يجوز لولي الامر أن يشرع لان الله وحده هو المشرع ، فان هذا كلام مبني على المغالطة لان لفظ التشريع اصبح له معنى اصطلاحي جديد ، وليس هو في الحقيقة في الاحوال التي ذكرناها من تحديد الاجور أو ساعات العمل أو ما يشبه ذلك من التقييدات الا تطبيقا لقواعد الشريعة وتنفيذا لاحكامها من باب السياسة الشرعية ، ومما اجازه الشارع لولي الامر تحقيقا لاقامة العدل بين الناس . وتسمية الناس له تشريعا لا تجعله ممنوعا

---

* راجع بحثا مفصلا في التسعير واقوال المذاهب فيه في كتاب الحسبة لابن تيمية او في كتاب الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية .
* تيسير الوصول ج 4 ص 143
* تيسير الوصول ج 3 ص 84

سواء اكانت هذه التسمية صحيحة أم خاطئة ، فالعبرة **بما يدل عليه اللفظ ويحكم الاسلام فيه .**

3 ـ **مصطلحات وتصنيفات جديدة :**

فان من الاحوال التي يقع فيها الالتباس والخطأ استعمال الفاظ اصطلاحية جديدة أو تصنيف الاشياء تصنيفا جديدا .

فان استعمال الالفاظ والمصطلحات الجديدة قد يجر الى نتائج خطيرة ، ويؤدي الى انحراف والى ادخال مفاهيم غريبة وقد يكون مجرد اصطلاح في التسمية ولا مانع منه مطلقا في هذه الحالة كما لو جمعنا احكام الزواج والطلاق والنفقة والوصية والميراث في باب واحد وسميناه الاحوال الشخصية او احكام الاسرة، او جمعنا الاحكام المتعلقة بعلاقات الدولة الاسلامية بغيرها من الدول تحت عنوان العلاقات الخارجية او القانون الدولي دون ان نغير شيئا من تلك الاحكام ، فاننا لا نكون بذلك قد احدثنا خللا أو تشويها في أحكام الاسلام ومفاهيمه . ومثل هذه المصطلحات استحدثت في العصور الاسلامية السابقة وكثير من مصطلحات الفقهاء قد نشأت في عصر متأخر عن صدر الاسلام . ومع ذلك كله فان هذه العملية قد لا تكون مبراة من العيوب والآفات فان فصل بعض المسائل عن غيرها ووضعها تحت عنوان خاص قد يؤدي الى انقطاع صلتها بغيرها او الى اخفاء هذه الصلة التي قد تكون مقصودة في ذاتها . ومثال ذلك لفظ (العقيدة) ، فاني لم اصادف هذه الكلمة في نصوص الكتاب والسنة وارى انها مستحدثة في العصر العباسي لهذا المعنى الذي استعملت فيه ، واللفظ المستعمل في القرءان والحديث هو الايمان . وقد استعمل لفظ العقيدة اجيال من ائمة المسلمين وعلمائهم بمعنى الافكار الاساسية التي يجب على المؤمن بالدين ان يصدقها ويقبلها اي يعتقدها ، واستعمال السلف من العلماء والائمة دليل على الجواز ، ومع ذلك فان هذا الاستعمال يتضمن فصل العنصر العقلي الذي هو مضمون العقيدة عن العنصر النفسي مع ان كليهما مجموع في لفظ الايمان المستعمل في القرءان والحديث. وكذلك جمع ابحاث العقيدة في علم سمي علم الكلام يتضمن تخصيص الابحاث العقلية من العقيدة وافرادها دون الجانب القلبي او النفسي الذي افرد له علم آخر . ان جمع اصول الايمان ومسائل الاعتقاد في باب واحد تحت اسم العقيدة عمل صحيح سليم ، واستحداث لفظ العقيدة لا يدل على استحداث مضمونها ولا يغير منه شيئا بل انه يفيد حصر قضايا الاعتقاد بتمييزها من غيرها ويزيدها تنويرا وايضاحا ، ولكنه ينطوي في الوقت نفسه على عملية فصل تلك الوحدة الحيوية الشاملة التي يحيط بها لفظ الايمان وتشتمل على عنصري العقل والعاطفة او القلب وعلى انفصال الاتجاه العقلي عن الاتجاه النفسي القلبي .

وهنالك حالة ثانية يكون فيها للتعبير او اللفظ خطورة بالغة وتأثير عميق وتغيير للمفاهيم او ادخال لمفاهيم جديدة غريبة عن الاصل . ذلك ان نقل الالفاظ من عقيدة الى عقيدة ومن مذهب او نظام الى مذهب او نظام آخر يجر معه ملابساتها والمفاهيم المتصلة بها في تلك البيئة التي كانت فيها . ان الفاظ الديمقراطية والاشتراكية والحرية مثلا نشأت وعاشت في أجواء وبيئات معينة واقترنت بمفاهيم ونظريات خاصة فاذا استعملناها حين نعبر عن نظام الاسلام ومفاهيمه تتعرض اذا لم نتصف بالدقة والوعي الاسلامي السليم لخطر ادخال مفاهيم غريبة او احداث انحراف في الاتجاه كما سنبين ذلك بوضوح وتفصيل .

ومن امثلة هذه التعابير التي دخلت في لغتنا ونقلناها من اللغات الاجنبية ونقلنا معها ضمنا النظرة التي تحملها ، يكتبها كبارنا ويتعلمها صغارنا في المدارس منذ السنين ، الاولى ، قولهم مثلا ان الطبيعة اعطت سورية مناخا صالحا ومنحت سواحلها امطارا كثيرة، او قولهم على سبيل المجاز تبعا لذلك غضبت الطبيعة فبخلت بالامطار وحركت امواج البحر .. ان هذه التعابير وليدة نظرة القرن الثامن عشر في اوربا حين احلوا الطبيعة محل الله فألهوها وانكروا وجود الله ، وهي نظرة الحادية واضحة وترديد هذه التعابير على مسامع المبتدئين هو تلقين ضمني لنظرية الالحاد واشاعتها بين الناس اشاعة لا شعورية . ومن هذا القبيل ايضا استعمال اوصاف البطولة والنبوغ والعبقرية للانبياء . ولست اريد من هذا نفي هذه الصفات عن الانبياء ولكنني ارى ان كثرة ترديدها والاكتفاء بها احلال لمفهوم البطولة والنبوغ والعبقرية محل مفهوم الوحي والنبوة مع ان النبي أسمى بكثير وارقى طبيعة ونوعا من النبوغ والبطولة والعبقرية وان كانت لا تنافيها بل قد تندرج هذه الصفات فيها فان هذه الصفات قد يتميز بها افراد من البشر ممن حولهم من الناس كشدة الذكاء ولكنها على كل حال صفات بشرية عادية اما مفهوم النبوة فمبني على اتصال انسان اختاره الله من البشر اتصالا لا نعرف كيفيته وكنهه .

ايمان جديدة !

ومن هذا الباب ايضا استعمال هذا التعبير الذي تبدأ به بعض الاحتفالات باسم الله والوطن او باسم الله والشعب او باسم الله والعروبة او قول القائل اقسم بالله وبالوطن او اقسم بالله وبالشرف او بالقومية .. ان هذه التعابير منبثقة فى الاصل وفى البيئة الاوروبية التي جاءتنا منها عن تاليه هذه القيم (الوطن ، الشعب ، القومية ..) او تعظيمها تعظيما يبلغ حد التقديس ووضعها مع الله فى مستوى واحد. فى حين أن الاسلام يرى فى ذلك كله اتجاها وثنيا فالله هو وحده القيمة العليا المطلقة التي لا تدانيها قيمة وكل ما سواه من القيم المحبوبة او العزيزة او المعظمة فرعية وثانوية بالنسبة اليه مهما بلغت منزلتها فلا يجوز ان تقرن معه . ومن امثلة ذلك ايضا استعمال لفظ الايمان فى غير مجال العقيدة على سبيل التوزيع والتجوز كقول القائل أؤمن بالوحدة او القومية او بالشعب . فان هذه الكلمة وان كان معناها اللغوي التصديق بوجه عام قد خصصت للتصديق بالعقائد الدينية الاساسية فتقول أؤمن بالله واليوم الآخر والنبوات فاستعمالها فى هذه المواطن الاخرى منبثق عن تلك النظرة التي شرحناها والتي تنطوي على تاليه تلك القيم واقامة اصنام جديدة فى هذا العصر ، والتعبير السليم الذي ينسجم مع النظرة الاسلامية هو ان تقول أؤمن بالله واحب وطني واثق بالشعب واتمسك بالوحدة او اتوق اليها واسعى لتحقيقها .

هاتان حالتان ذكرناهما ، الحالة الاولى تكون فيها الالفاظ اصطلاحا جديدا فحسب ولا يتضمن أي فكرة جديدة فيجوز استعمالها ، ومثلنا لذلك بالاحوال الشخصية مع ما اوردناه من ملاحظات على ذلك ، والحالة الثانية هي ان يكون فى استعمال الالفاظ والتعابير الجديدة او المنقولة ادخالا لمفاهيم جديدة وانطواء على نظرات اجنبية مختلفة تصل احيانا الى حد الانحراف الاساسي عن الاتجاه الاصيل .

وهنالك حالة ثالثة هي ادق هذه الاحوال واخطرها وهي نقل المفاهيم والافكار من مذهب الى مذهب ومن نظام الى نظام ، فلكل مذهب ديني او اجتماعي كالاسلام والمسيحية والشيوعية والديمقراطية تصنيف للمفاهيم والقيم ، ويقابل كل واحد منها تعبير يدل عليه ومصطلح لغوي يفيده ، ولذلك فانت مضطر حينما تنقل المفاهيم والاحكام الاسلامية الى اصحاب المذاهب الاخرى والى الذين عاشوا فى بيئة تلك الانظمة والمذاهب ولم يعرفوا الا مفاهيمها وتصنيفاتها أن تستعمل الفاظهم ومصطلحاتهم لتنقل اليهم مفاهيم الاسلام ونظمه ولتمكنهم من تصوره .

لا شك ان فى هذه العملية خطرا اذا قام بها اناس لا يملكون الوعي الكافي والمقدرة على فهم المذهبين وتصور العقليتين والوقوف فى الموقفين .

ومثال ذلك لو اردنا فى بيئة السوفييت الشيوعية او البيئة الامريكية الديمقراطية ان ننقل اليهم مفاهيم الاسلام ونظراته فى الحياة بحيث نجعلهم يتصورون نظامه واحكامه وفلسفته ، فلا يمكننا بادىء الامر ان نستعمل تصنيفنا الفقهي المعروف للاحكام الى عبادات ومعاملات ، وتقسيمنا المعاملات الى ابوابها المعروفة وتصنيفات علماء الكلام والعقيدة ونخاطب بها اناسا لهم مصطلحات اخرى وتصنيف آخر للوجود والقيم وللاعمال البشرية وللانظمة الاجتماعية ، فينبغي ان نفهم تصنيفاتهم وتقسيماتهم ومقولاتهم ومفاهيمهم ثم نحاول عن طريق فهمهم هذا وعلى اسلوبهم ان ننقل اليهم مفاهيم النظام الاسلامي وقد يؤدي ذلك الى تجزئة المفهوم الى مفهومين او دمج المفهومين فى مفهوم واحد وكاننا نحاول بذلك ان نصب الاسلام فى قوالب جديدة دون ان نغير مادته .

الديمقراطية الاشتراكية

ليس الخطأ ولا الخطر الكبير فى هذه العملية ، وانما الخطر الكبير ان نأتي الى مذهب معروف كالاشتراكية سواء قصدنا ما يسميه الماركسيون بالاشتراكية العلمية على حد تعبيرهم او قصدنا مذهبا بعينه من المذاهب الاشتراكية المحددة او الى الديمقراطية باعتبارها مذهبا شاملا له فلسفته ثم نزعم ان تلك الاشتراكية او هذه الديمقراطية هي من الاسلام او ان الاسلام يحتويها ويشتمل عليها . لا جرم ان فى هذا القول تشويها للاسلام ، وافسادا لمفاهيمه ، واذابة له فى غيره واهدارا لشخصيته وذاتيته ومخالفة الحقيقة ايضا . ولكن هل معنى هذا انه ليس هنالك اي نقطة التقاء بين اشتراكية الاشتراكيين وديمقراطية الديمقراطيين والاسلام ؟ .

الديمقراطية

ان الديمقراطية فى روحها وعند اصحابها نزعة تقابل الاستبداد الفردي واحتكار طبقة أو اسرة الحكم والسيادة، وكانت فعلا فى تاريخ اوربا رد فعل لاستبداد

[illegible]
المتميزة ورجال الدين المستأثرين بالنفوذ ، فهي في مقابل ذلك كله اشراك الشعب او اكبر عدد منه في الحكم ، او على الاصح في تفويض فريق منه بممارسة الحكم ، وبعد هذا تختلف الشعوب في انظمتها وفي طريقة الوصول الى هذه الغاية واسلوب تحقيقها . فهل يجوز ان نقول بعد هذا ان الاسلام ينافي الديمقراطية ويعارضها ؟ الا يفهم من هذا انه يقف حينئذ في الصف المقابل صف الاستبداد الفردي والاستئثار وانه لا يحفل بالشعب ولا يهتم به ؟ . اليس في ذلك تشويه للاسلام او اعطاء صورة قبيحة لاناس لم يعرفوا الا هذين اللونين من انظمة الحكم : الديمقراطي والاستبدادي ؟

ولكننا في مقابل ذلك لا نستطيع ان نقول ان الاسلام ديمقراطي دون تحفظ وعلى الاطلاق ، وليس من حقنا ذلك . فان الديمقراطية باعتبارها نظاما سياسيا في اوربا اقترنت بافكار ومفاهيم عن الانسان والمجتمع وانبثقت عن فلسفة لا يقبلها الاسلام وقد تتعارض مع فلسفته ونظرته في كثير من نقاطها . فالديمقراطية مبنية على فكرة اساسية هي ان الفرد هو الاصل في الدولة وهي انما خلقت لمصلحته وهو حر حرية مطلقة في تصرفاته سواء في فعاليته الاقتصادية او الخلقية او الفكرية ، والدولة مهمتها مقصورة على تنسيق حريات الافراد حتى لا تتصادم . ان هذه الفلسفة تختلف عن نظرة الاسلام اختلافا كبيرا فهي تؤدي الى المساواة بين الايمان والالحاد في مجال الفكر، وبين الاباحية والتقيد في مجال السلوك الخلقي ، وبين الرأسمالية المترفة الطاغية، والتقييد لمصلحة الجماعة. والاسلام لا يقبل التسوية بين هذه الاتجاهات ولا يمنح الحرية المطلقة التي تؤدي الى الباطل والرذيلة والظلم . ويختلف الاسلام كذلك عن الديمقراطية في نقطة اخرى اساسية : ذلك ان الشعب في الاسلام وان كانت مصلحته وسعادته هي هدف تشريعه ، وكان الناس فيه على اختلافهم متساوين امام الحق ، وكانت الشورى ومسؤولية الحاكم هي الاساس في الحكم ، لكن المرجع النهائي هو الله وحده وهو مصدر السلطة ، وارادته المتجلية في القرءان كتابه المنزل هي الحاكمة، واما الديمقراطية فالشعب فيها هو مصدر السلطة وارادته مطلقة وهي الحكم النهائي . نعم اذا اريد بمصدر السلطة انه هو المرجع في تفويض السلطة الى الحاكم وان الحاكم يتسلم السلطة من الشعب لا من نفسه ولا بحكم الوراثة ولا من الله مباشرة فتلك نظرة الاسلام كذلك (*) ، ولكن الحكم الفاصل بين افراد الشعب حكاما ومحكومين حين الاختلاف وميزان الترجيح ومعيار الصحة انما هو كتاب الله الذي حدد المعالم ورسم الطريق لان الشعب نفسه يخطىء ويصيب ، ويضل ويهتدي ، ولكن الناس مع ذلك اي افراد الشعب عامة هم الرقباء على الحاكم ولكل فرد منهم بالنسبة الى الحاكم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمصارحة بالحق والوقوف امام الظلم ، وليس الحاكم هو المرجع في تفسير مبادىء القرءان وفهم نصوصه بل المرجع في ذلك العلماء المختصون من ابناء الشعب عامة دون تقييد بالموظفين منهم او الرسميين ، وقد رد الامام علي رضي الله عنه مغالطة الخوارج حين قالوا لا حكم الا لله ، لا حكم الا للقرءان ، مجيبا اياهم انه لابد للقرءان من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال (*) ، اي انه لابد من انسان يمارس الحكم ، ولابد من حكم البشر ومن مراقبة الناس لهذا الحاكم ومن اناس يفهمون القرءان ومقاصده ويطبقون احكامه .

وخلاصة القول اننا اذا اعتبرنا الديمقراطية مذهبا اجتماعيا قائما بذاته فليس لنا ان نقول انها من الاسلام او ان الاسلام يقبلها ويستسيغها ويتضمنها ، اذ هما مذهبان مختلفان في اصولهما وجذورهما اوفلسفتهما ونتائج تطبيقهما . ولكننا اذا نظرنا اليها على انها اتجاه يحارب الفردية والاستبداد والاستئثار والتمييز ويسعى في سبيل مصلحة جمهرة الشعب ويشركه في الحكم وفي مراقبة الحكام وسؤالهم عن اعمالهم ومحاسبتهم عليه، فالاسلام ذو نزعة ديمقراطية بهذا المعنى بلا جدال او ان للاسلام ديمقراطيته الخاصة ، اي نظامه الذي يمنع استبداد الحكام واستئثارهم ويمكن الشعب من مراقبتهم ومحاسبتهم

الاشتراكيـــة :

ومثال آخر من هذا الباب هو مثال الاشتراكية فقد راج استعمال هذا التعبير في الرأي العام واستعمله عدد من الباحثين للدلالة على ما في الاسلام من عدالة شاملة لافراد المجتمع لا تخص فئة من الناس دون

(*) هذا هو راي اهل السنة انظر بحثنا (الدولة عند ابن تيمية) ص 18 .

(*) نهج البلاغة من كلام له في التحكيم .

غيرهم . وكان هذا الاستعمال موضوع خلاف شديد بين المجيزين والمانعين . وما قلناه عن الديمقراطية ينطبق على الاشتراكية ، فاذا فهمنا من الاشتراكية مذهبا شاملا له فلسفته ومفاهيمه ونظامه الاقتصادي كالشيوعية التي هي أحد اشكال الاشتراكية ، فان الاسلام شيء ، والاشتراكية شيء آخر ، ولا يمكن ان يقال بهذا المعنى أن الاشتراكية من الاسلام ، لانهما في هذه الحال مذهبان مختلفان لكل منهما مبادئه واسسه . ولكن للاشتراكية معنى آخر وقد اصبح رائجا منتشرا في العالم ، وهو اشتراك جميع افراد الشعب في المنافع والمصالح وعدم استئثار فئة من الناس بالمنفعة ، وتدخل الدولة في تقييد الفعاليات الاقتصادية كتحديد حقوق الملكية وثمارها تقييدا يؤدي الى العدالة في توزيع الثروة والى تكافؤ الفرص بين الناس بحيث يعيشون على مستوى من الحياة يؤمن لهم الحاجات الانسانية المادية والمعنوية. هذا هو المعنى الشامل لانواع الاشتراكيات وان اختلفت اساليبها في الوصول الى هذه الاهداف . والاشتراكية بهذا المعنى ليست مذهبا كاملا ، وانما هي اتجاه نشأ في مقابلة طغيان الراسمالية في اوربا واستئثار اصحاب رؤوس الاموال نتيجة الاخذ بالمذهب الحر في الاقتصاد الذي يعطي للافراد الحرية المطلقة في المجال الاقتصادي ولا يسمح للدولة ان تتدخل ولو ادى ذلك الى طغيان طبقة على طبقة او الى نشوء طبقة فقيرة محرومة . والاشتراكية بهذا المعنى لا منافاة بينها وبين الاسلام ، بل ان الاسلام على طريقته الخاصة يتجه في هذا الاتجاه المؤدي الى تعميم النفع، واقامة العدالة ، وانصاف الناس ، بل يجيز تدخل الدولة في فعاليات الافراد الاقتصادية وغير الاقتصادية اذا اقتضت الضرورة او المصلحة العامة ذلك (*) . نعم ان للاسلام أسلوبه وطريقته الخاصة به في التنظيم الاقتصادي ولكننا اذا صنفنا المذاهب صنفين احدهما مبني على مصلحة الفرد وحريته المطلقة وهو المذهب الفردي ، والاخر مبني على مصلحة الجماعة او المجتمع كله وهو المذهب الجماعي او الاجتماعي ، فالاسلام يدخل في الصنف الثاني وهذا الاتجاه تدل عليه في اللغات الاوربية كلمة Socialiste وترجمتها الدقيقة الى العربية : الاجتماعية ، ولكنها ترجمت في اوائل هذا العصر بالاشتراكية وهي ترجمة صالحة ايضا بالمنافع والفوائد ، وهي المادة التي منها (ش ر ك) وتفيد المعنى المقصود من اشتراك افراد المجتمع بالمنافع والفوائد ، وهي المادة التي منها الشركة والاشتراك وصيغت باضافة ياء النسب وتاء الاسمية للدلالة على المذهب كالامامية والمالكية . ان القول بان الاسلام يخالف هذا الاتجاه الذي اصطلح على تسميته بالاتجاه الاشتراكي معناه في عرف الناس العام ان الاسلام يؤيد الظلم الراسمالي والاستئثار والطغيان . ذلك ان قوام الاشتراكية وجوهرها وعنصرها الاساسي جواز تدخل الدولة في تقييد فعالية الافراد الاقتصادية وتقييد الملكية وما ينتج عنها من حقوق لمصلحة المجتمع منعا للظلم وانصافا للناس واشاعة للرحمة والخير بين الناس ، هذا هو الصميم من جوهر الاشتراكية ، وما وراء ذلك من التفصيل كالتأميم او غيره امور مختلف عليها بين اصحاب هذا الاتجاه. والاسلام كما قلنا يقول بالتدخل ، ومن ذلك منع الدولة للاحتكار والزامها تجار الاقوات أن يبيعوا بسعر عادل ايام المجاعة ، واخذها من اموال الاغنياء مالا غير الزكاة اذا كانت الدولة في حالة حرب للدفاع عن حوزة المسلمين او كان في الناس فقراء ولم تكفهم الزكاة او غير ذلك من الحاجات . وقد أتينا بهذه الامثلة لانها كانت معروفة ولها ذكر في كتب الفقهاء والامر ليس مقصورا عليها ولا محصورا فيها وانما هي للتمثيل فقط ولبيان ان الاسلام يقول بتدخل اولي الامر اي الدولة لاحقاق الحق ، بل للرحمة بالضعفاء ولو كان ذلك فوق العدل وأكثر من العدل . فالقول بانه ليس في الاسلام اشتراكية ينطوي على جهل بحقيقة الاشتراكية وعلى قصور في فهم الاسلام وتعاليمه واهدافه وبعد عن معرفة احكامه المتعلقة بهذا الموضوع . ولا يتصور بحال من الاحوال ان تؤدي احكام الاسلام الى موت فريق من الناس جوعا او وقوعهم فريسة للبؤس والفقر والمرض ، وتنعم فريق آخر من الناس في الوقت نفسه بالملاذ والطيبات والكماليات ، لان هذا مخالف لاهداف الاسلام الواضحة في الكتاب والسنة في مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم « المسلمون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ، وقوله « ان قوما ركبوا سفينة فاقتسموا فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل موضعه بفاس ، فقالوا له : ما تصنع ، قال : هو مكاني اصنع فيه ما شئت . فان اخذوا على يده نجا ونجوا ، وان تركوه هلك

(*) راجع في رسالتنا الدولة عند ابن تيمية بحث وظيفة الدولة الاقتصادية وفيه تلخيص لآراء المذاهب في الموضوع ص 38 .

وهلكوا . » وحديث الاشاعرة المتقدم ذكره . ومن المعلوم الثابت أن نظام الاسلام لا يقبل ان يكون في المجتمع من يموت جوعا او يحتاج مهما يكن دينه اذا كان تابعا لدولته ولذلك كان الخلفاء الراشدون يخصصون من بيت المال ما يسد حاجة الفقراء من الكتابيين غير المسلمين كما كانوا يسدون حاجة الفقراء من المسلمين .

ولم يبق هذا الاتجاه كلاما عاما ومواعظ اخلاقية ، بل فصله الفقهاء احكاما تنفذ ويعمل بها الحكام ويستفيد منها الناس ويجدها الباحث مفرقة في كتب الفقه في ابواب عديدة كما يجدها في القواعد العامة ، والصقها بموضوعنا الضرر يزال ، ولا ضرر ولا ضرار ، ويتحمل الضرر الخاص لاجل دفع الضرر العام ، ومثلوا لها بوجوب نقض الحائط المملوك الذي مال الى طريق عامة دفعا للضرر العام . ومن هذا الباب جواز الحجر على البالغ العاقل الحر في ثلاثة مواضع عند ابي حنيفة المفتي الماجن، والطبيب الجاهل، والمكاري المفلس ، وعلى السفيه مطلقا عند الصاحبين دفعا للضرر العام (*) وليس الحجر الا تقييد حرية المحجور عليه في امور هي الاصل من حقه شرعا دفعا للضرر الذي يمكن ان يلحقه هو او اسرته او المجتمع العام . ويذهب ابن تيمية الى ابعد من هذا فيستنتج من كون بعض الصناعات كالطب والتجارة ضروريا جواز اجبار اصحابها والمختصين بها على العمل اذا امتنعوا وكان الناس بحاجة الى صناعتهم ويعطون اجر المثل (*)

ونضيف الى ما تقدم للدلالة على ان الاشتراكية لا يراد بها دوما مذهب كامل حتى تتنافى مع الاسلام ويمتنع وصفه بها ، بل تدل في كثير من الاحيان على اتجاه عام ونزعة تشترك فيها مذاهب مختلفة انه نشات في اوربا احزاب تحت اسم الاشتراكية ولو كانت الاشتراكية مذهبا قائما بنفسه لما امكن ان تجتمع مع المسيحية في شعار واحد وانتكون وصفا لها . ومع كل ما ذكرنا من وجود نزعة توافق الديمقراطية والاشتراكية في الاسلام فاننا لا نرى ان نجعل هذه الشعارات هي الشعارات البارزة في حياتنا وهذه العناوين هي عناوين مجتمعاتنا ودولنا التي نلخص بها نهضتنا ونصف بها حضارتنا ، لانها حينئذ تكون عناوين خاطئة وتلخيصا مشوها اذ تشير الى بعض صفات الحضارة الاسلامية وتهمل صفات ومقومات اخرى اهم منها . اننا نغفل حين نفعل ذلك عن مبدا اساسي خطير هو ان للانظمة السياسية والاقتصادية في كل بلد وفي كل حضارة اسسا اعتقادية تبنى عليها ، وليست هذه الا مظاهر خارجية لعقيدة او فلسفة تؤمن بها تلك الحضارة وتقوم عليها ، وليست هذه الانظمة الا تعبيرا سياسيا او اقتصاديا لتلك الفلسفة وتلك الحضارة . فاتخاذ الاشتراكية عنوانا لحضارة ، وصفة بارزة مميزة لدولة مبني على فلسفة تعتبر الانتاج محور الحياة ، والمادة اصل الوجود ، وليس العلم والعقل الا خادمين للانتاج وتحسين مستوى الحياة المادي، وليس الفرد الانساني الا جزءا من هذه الآلة الضخمة هي المجتمع ممثلا في الدولة يخضع لاوامرها ويبقى حتى في ماكله ومشربه ومسكنه وفيما يسمع من اخبار او يقرأ من كتب وصحف تحت رقابتها الشديدة. ان وراء هذه الانظمة عقائد انبثقت عنها ومفاهيم ونظرات في الحياة تتصل بها اتصال الفروع بالجذور ، ولذلك فاننا حين نجعل هذه الشعارات عنوانا وحيدا لنهضتنا ونكررها وحدها على مسامع الجمهور ، انما نعلن ضمنا اننا ندين بتلك العقائد ، وناخذ بتلك النظرات والمفاهيم في الحياة ، واننا بنتيجة ذلك نتخلى عن مفاهيمنا وعقائدنا ونظرتنا الى الحياة المستمدة من ديننا وتراثنا الحضاري او على الاقل نغفلها ونهملها ؛ وفرق كبير بين ان نتخذ من التشريعات ما يكفل العدالة في توزيع الثروة وما يكفل حياة العاجزين عن كسب ما يكفيهم ، وبين ان نجعل عنوان نهضتنا الاول وصفتها الابرز هي الاشتراكية وبذلك نجر الناس الى ان يجعلوا هدفهم الاول في الحياة رفع مستوى الحياة المادية وتحسين المعيشة ؛ دون ان يكون لرفع مستوى الاخلاق وللقيم الخلقية والروحية اي مكان في حياتهم في نظامهم فنترك بذلك الفراغ لشتى العقائد الالحادية والمذاهب المادية والاباحية . ان ثورة الاسلام الاجتماعية شاملة ، تبدأ من عقيدة الايمان بالله والمساواة بين الناس امامه ، لانهم من اصل واحد وهم عباده ، وتنبثق عن هذه العقيدة ومعانيها ثورة

---

* راجع القواعد العامة في كتاب الاشباه والنظائر لابن نجيم ولا سيما قاعدة الضرر يزال .

* راجع رسالتنا الدولة عند ابن تيمية ص 93 — 40 وهذا ما يسمى عند الغربيين تعميم العمل او اعتباره امرا اجتماعيا .

اجتماعية غايتها اقامة العدالة بين الناس وتحقيقها من الناحية الاقتصادية ، بحيث لا يعيش فريق فى البذخ والترف ، وآخرون فى الشقاء والحرمان ، بل ان تأخذ الدولة من أموال الاغنياء ما تسد به حاجة الفقراء والعاجزين عن الكسب ، فللناس حقوق فى المال ولو كان خاصا .

اشتراكية الاسلام :

هذه الاشتراكية ليست غايتها المال وتوزيعه انها فرع لثورة روحية خلقية وهدفها ارضاء الله بتحقيق العدل بين عباده والاحسان اليهم فى نظام خاص فهي مسبوقة ومقترنة بدعوة خلقية روحية . انها اذن لا تصلح ان تكون العنوان الشامل المعبر عن نظام الاسلام ودولته وحضارته ولكن فى الاسلام من جهة اخرى ما يقابلها ويحقق الاهداف المشروعة منها. ان المهم فى كل هذا ان تحفظ للاسلام خصائصه وذاتيته بحيث لا يلتبس بغيره وان نعرف بعد ذلك كيف تنقله للآخرين بحسب مفاهيمهم الشائعة وتميز ما بينه وبين المذاهب الاخرى من موافقات ومفارقات .

تصحيح المفاهيم

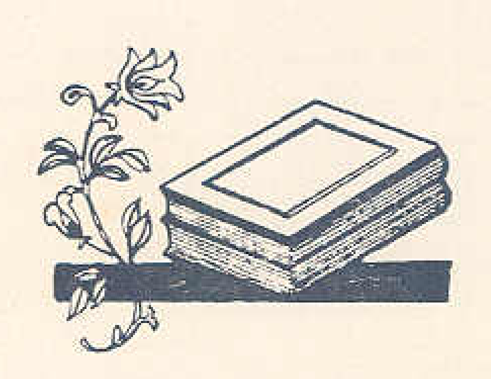
ان عملية تصحيح المفاهيم المشوهة استمرت فى جميع العصور الاسلامية فكان كل تشويه للحياة الاسلامية أو للمفاهيم الاسلامية يصاحبه ويقابله او يتبعه تصحيح يعيد الامر الى نصابه . فكان حماة العقيدة الاسلامية من العلماء فى كل عصر يردون المفاهيم الداخلية والافكار المدسوسة والانحرافات الحادثة . والفت مؤلفات كثيرة فى مختلف العصور لبيان البدع المستحدثة فى الدين وانكارها والرد عليها . وقد قسموا الامور المستحدثة او المبتدعة الى أقسام، فاما ما كان منها متعلقابالعادت كانواعالاطعمة والاشربة والالبسة وأساليب العمران وما الى ذلك فليست من باب البدع المنكرة فى شيء ، اللهم الا أن تكون مما يدخل تحت نص شرعي يتضمن الامر بفعل او النهي عنه ، وما سوى ذلكمتروك للناسكاستعمال الآلات والادوات المستحدثة كآلات الحراثة او الصناعة او وسائل النقل والمواصلات وغير ذلك مما تتجدد اشكاله وانواعه فى شتى مرافق الحياة ، فهذا لا يطلق عليه لفظ البدعة بالمعنى المذموم بل هو على عكس ذلك مما يحمد ويستوجب شكر الله لما فيه من الخير لبني البشر . ومن المستحدثات المبتدعة ما يتعلق بأمر العقيدة ، وهو اخطرها اثرا واسواها نتيجة ، وهذا النوع لا يقتصر فى راينا على العقيدة بالمعنى الضيق لهذه الكلمة كما كان يفهم منها ، بل يتناول جميع الافكار والاتجاهات الاساسية والمبادىء العامة للاسلام ومفاهيمه فى جميع آفاق الحياة . والنوع الثالث من المستحدثات المبتدعة يتعلق بالعبادات ، والقاعدة فى العبادات انها توقيفية اي يوقف فيها عند النص لا يزاد فيها ولا ينقص .

ان هذا التصحيح كان يجري فى كل عصر على يد العلماء وائمة الاسلام الذين كانوا يتنبهون للانحرافات الدخيلة او الطارئة ، وقد تكثر هذه الانحرافات والتشويهات فى بعض العصور فيقيض الله لذلك من المجددين من يضطلعون بعبء هذا التجديد برد الدخيل وتصحيحالافكار وتقويمالاعوجاجواعادة العقائد والمفاهيم الى اصلها من الكتاب والسنة . ومن هؤلاء المجددين الكبار شيخ الاسلام ابن تيمية ابن هذا البلد والذي تضم أرض الجامعة رفاته وهو من اعظم العقول الاسلامية التي برزت فى تاريخ الاسلام ، وكان متعدد نواحي الجهاد واهم صفحات جهاده عمله فى صد الهجمات والانحرافات عن الاسلام وعقائده امام العقلية اليونانية والاتجاهات الباطنية وتصحيحه للمفاهيم واعادتها الى اصلها من الكتاب والسنة والاستعانة بفهم الجيل الاول من الصحابة سواء فى ميدان الفقه او العقائد او العبادات .

نحن اليوم اشد ما تكون حاجة الى هذا التصحيح سواء اكان يتناول الجوانب التي تاثرنا فيها بالفكر الاوربي ، او التي تاثرنا فيها بعقلية الشرق فى العصر الماضي والتي هي مزيج من العقلية الاسلامية والعقلية اليونانية والفارسية والهندية وغيرها مما سبق الاسلام ، ذلك المزيج الذي تردى فى اشكال ضيقة جامدة مختلطة مضطربة . نحن فى حاجة الى بعث لاصول الاسلام والى عودة الى مصادره الاولى والى ما فهمته اجيال من العلماء من الفهوم الصحيحة فى كل عصر ولا سيما فهم الجيل الاول من الصحابة الذي حفظت لنا كتب الحديث والفقه الشيء الكثير منه ، لنفهم فى ضوئها وفى ظروف مشكلاتنا القائمة

نصوص الكتاب والسنة . نحن فى حاجة الى أن نبني تفكيرنا من جديد ، ونتخلى عن كثير من الافكار التي ظنناها من البديهيات واستسلمنا لها وربينا عليها فى تعليمنا الابتدائي والثانوي والجامعي سواء فى حياتنا الفكرية او السياسية او الاقتصادية . انها عملية ضخمة ولكنها ضرورية وجذرية اساسية . وحياتنا ومساهمتنا الفعالة فى ميدان الحضارة الانسانية متوقفة عليها . فالبشرية اليوم امام مذاهب عديدة وفى كل مذهب منها جانب من الحق مقترن بجانب من الباطل ، فى كل منها محاسن ومساوىء ولا يصلح واحد منها لحل المشكلات الانسانية حلا اساسيا موحدا منسجما . والاسلام هو الذي يستطيع ان يجمع بين الرقي المادي والخلقي الروحي فى تناسق وانسجام ، وان يقيم للتشريع الظاهري وللانظمة الاجتماعية اساسا فى النفس والضمير ، وان يجعل للروح التي تهذب وتنمي فعالياتها سندا ماديا واقعيا ويفسح للفرد المجال ان يرقى ماديا وروحيا ، ولكن فى اطار اجتماعي غير استبدادي او تحكمي قسري ، ويجعل الحياة وحدة لا تتجزا ، تتصل جوانبها المتعددة من السياسة والاقتصاد الى الاخلاق والعبادة ، ومن العقيدة الى التشريع ، وتنسجم جميعا فى هذه الوحدة الحيوية من غير تداخل ولا التباس . واذا كانت المذاهب المختلفة من دينية واجتماعية يرمي كل منها الى هدف حيوي هام ، كالعدالة الاجتماعية او الحياة الروحية أو حرية الفرد الانساني ، فان الاسلام جمع هذه الاهداف جميعها ونسقها واقام التوازن فيما بينها وربطها جميعا بقوة تجمعها وهي الله الخالق.

دمشق : محمد المبارك عميد كلية الشريعة
بجامعة دمشق



أثر الإسلام في الحضارة الإنسانية

للدكتور: حسن ابراهيم حسن

من أروع مظاهر الاسلام انه وضع الاسس والمبادىء العامة التي تمجد المثل العليا والآداب الرفيعة ، وتنظم المعاملات بين افراد الجماعة الاسلامية، كما عني بالاسرة ، وقرر مبدأ حقوق الانسان ، فوضع اساس الحرية والاخاء والمساواة والتسامح الديني ، وخلف للانسانية الحديثة هذا التراث المجيد من فلسفة وادب وفن ، ونظم كان لها تأثير عظيم على اوربا منذ عصر النهضة الاوربية الحديثة .

على انه مما يدعو الى الاسف ان اكثر الشعوب غير الاسلامية لا تكاد تعرف عن الاسلام وعن مبادئه وآدابه شيئا ولو ان معتنقي الاديان الاخرى حاولوا ان يحرروا انفسهم من المؤثرات التي تحيط بهم ، واعتبر كل منهم هذه الارض الفسيحة هي دنياه ، وسكانها هم اخوانه في الانسانية لما فضل بلدا عن بلد او ميز شعبا على شعب ، بل اعتبر نفسه احد ورثة التراث البشري والحضارة الانسانية .

نعم لو ان هذا الانسان المتحرر من التقاليد والعادات التي تتأثر بالبيئة المحلية ، نظر الى اخيه الانسان بصرف النظر عن لونه او ثقافته او جنسه او دينه ، على انه رفيق له في الانسانية ، يعمل لخيره - لو انه تحرر من هذا التراث المضلل ، الذي يفسد عليه توجيهه في الحياة ، وحكمه على الامور ، لاستطاع ان يكون رسول سلام ومحبة ، داعيا الى السلام العالمي ، والاخوة الانسانية ، والتعاون بين الشعوب ، ولعرف حقيقة الاسلام ومثله وآدابه ، معرفة تساعده على ادراك اهمية التراث الاسلامي الذي كان له أثره البعيد في الحضارة الحديثة .

ومع ذلك فقد اشاد بعض المستشرقين في اوربا وامريكا الذين تحرروا من مؤثرات التعصب الديني ودرسوا الاسلام دراسة عميقة ، بما كان لهذا الدين من تأثير على الفكر الاوربي ، وعلى ما وصل اليه الغرب من تقدم ورقي .

نظم القرآن الكريم المعاملات ، وشرع للمسلمين العبادات ، كالصلاة والزكاة والحج ، لتوجيههم نحو الخير ، ولتكون صلة بين العبد وربه .

والقرآن يعترف بالاديان السماوية الاخرى ، وبالانبياء كموسى وعيسى ، كما يعترف بالكتب السماوية كالتوراة والانجيل ، ويسمي اليهود والنصارى أهل الكتاب ، وينظر اليهم نظرة اخاء ومودة ومحبة ، فقد قال الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران : « قل آمنا بالله وما انزل علينا ، وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين احد منهم ، ونحن له مسلمون » .

وترجع علاقات المسلمين الطيبة بغيرهم من معتنقي الاديان السماوية الى ما جاء في القرآن والحديث من حث المسلمين ، على نشر السلام والمحبة بين الناس جميعا ، وقد قرر الله سبحانه معنى السلام فسمى نفسه السلام ، فقد قال في سورة الحشر : « هو الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون » وقال في سورة مريم : « جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » .

والتحية بلفظ السلام ، لا يقولها المسلم عند تاديته الصلوات الخمس فحسب وانما يقولها اذا لقي شخصا آخر مسلما كان او غير مسلم فيقول : السلام عليكم ، لان السلام هو التحية ، التي يلقى بها المؤمنون ربهم يوم القيامة ، فقد قال الله سبحانه وتعالى في سورة الاحزاب : « تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما » وقال في سورة ابراهيم : «وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم ، تحيتهم فيها سلام .

وقد وصف الرسول الكريم المسلم فقال « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » وهذا يعتبر اساسا للاخوة العالمية والحضارة الانسانية حيث يشعر كل شخص بالسلام والمحبة ، وهذه الاخوة تجذب اليها غير المسلمين ، اذ يجدون انفسهم في مامن من لسان المسلم ويده ، وقد اكد الرسول الكريم معنى الاخاء في الحديث الشريف : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقال : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » .

وقد ميز الرسول بين الايمان والاسلام فقال : ان الايمان ان تؤمن بالله وملائكته ورسله وبالبعث ، اما الاسلام ، فهو ان تعبد الله ولا تشرك به احدا ، وان تقيم الصلاة وتؤدي الزكاة ، وتصوم رمضان ، فالايمان هو الناحية النظرية ، والاسلام هو الناحية العملية من الدين .

وان تفشي الوثنية وانحراف اليهود والنصارى عن المبادىء التي وردت في التوراة والانجيل ، قد مهدا السبيل لعموم الرسالة المحمدية ، ذلك ان المسيحية كانت في عصر النبوة مذهبا معقدا ، تعددت فيه الفرق واختلفت ، ولم يكن اليهود ، مزودين بمعلومات كافية في التوحيد ، وان كانوا قد عرفوا من التوراة شيئا عن البعث والثواب والعقاب .

وكان الى جانب الوثنية واليهودية والمسيحية ، ديانات اخرى ، كالصابئة التي يعبد اتباعها النجوم والكواكب ، وقد انتشرت في بلاد اليمن ، وحران وبلاد العراق ، والزرادشتية (نسبة الى زرادشت نبي الفرس القدماء) ، ويقول اتباعها بوجود قوتين : هما الخير والشر ، ويرمزون لاله الخير بالنور ، ولاله الشر بالظلمة ، وكانت هذه الديانة سائدة في فارس ، وفي شرقي بلاد العرب ، وخاصة في جهة البحرين .

ويؤيد عموم الرسالة المحمدية ، كتب الرسول الى الملوك والامراء ، يدعوهم فيها الى الاسلام ، فقد بعث رسله الى امبراطور الروم ، والى كسرى فارس ، والى نجاشي الحبشة ، والى المقوقس عامل مصر من قبل امبراطور الروم ، والى بلاد اليمامة ، والى امير غسان باطراف الشام والى صاحب البحرين وغيرهم .

وتدل هذه الكتب دلالة واضحة على ما تردد ذكره في القرآن من مطالبة الناس جميعا بقبول الاسلام فقد قال الله سبحانه وتعالى في سورة (ص) : « ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين » ، وقال في سورة الفرقان : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » وفي سورة سبأ : « وما ارسلناك الا بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون » وفي سورة آل عمران « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » .

ويؤيد عموم الرسالة المحمدية للجنس البشري قول محمد عليه الصلاة والسلام ، متنبئا ، ان بلالا « اول ثمار الحبشة » وان صهيبا « اول ثمار الروم » وان سليمان « اول ثمار الفرس » ثم الم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في سورة النحل « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ؟ » وفي سورة الانعام : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ؟ وقد ثبت من القرآن الكريم ان الاسلام صالح للناس جميعا ، وان القرآن تكفل بتبيان كل شيء .

وليس ادل على اثر الاسلام في الحضارة الانسانية مما جاء في القرآن الكريم من الاعتراف بالاديان السماوية وتقرير مبدأ التسامح الديني ، الذي يحث على مساواة المسلمين بغيرهم من اهل الذمة ، ومعاملتهم معاملة قوامها العطف والرعاية ، حتى انهم تسنموا ارقى المناصب وبلغوا مرتبة الوزارة ودخل بعضهم في الاسلام عن اقتناع ورضى .

وان الاحاديث النبوية لتدل دلالة واضحة على حسن معاملة الاسلام لاهل الذمة ، فقد روي عن الرسول الكريم انه قال : « من ظلم معاهدا او كلفه فوق طاقته فانا حجيجه » ، كما اوصى الرسول باهل مصر خيرا فقال : « ان الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم فيكم صهرا وذمة ،

يشير بهذا الى مارية القبطية التي اهداه اياها المقوقس حاكم مصر من قبل امبراطور الروم ، فولدت له ابنه ابراهيم ، وقد روى ان آخر ما تكلم به الرسول انه قال: « احفظوني في ذمتي » .

وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انه مر على باب قوم عليه شيخ ضرير يسائل ، فقال له : من اي أهل الكتاب انت ؟ فقال : يهودي . قال فما الجاك الى ما ارى ؟ قال : اسأل الجزية والحاجة والسن ، فاخذ عمر بيده وذهب الى منزله واعطاه شيئا منه ، ثم ارسل الى خازن بيت المال فقال: انظر الى هذا واشباهه فوالله ما انصفناه اذ أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، انما الصدقات للفقراء والمساكين ، وهذا من مساكين اهل الكتاب ، ورفع امير المؤمنين الجزية عنه وعن اشباهه .

وهذا ابو يوسف قاضي هارون الرشيد ومؤلف كتاب الخراج ، يكتب اليه ، والدولة العباسية في اوج عزها ، فيقول : « قد ينبغي يا امير المومنين ايدك الله ان تتقدم بالرفق باهل ذمة نبيك وابن عمك محمد (ص) والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شيء من اموالهم ، الا بحق يجب عليهم .

من هذه الكلمة تتبين اثر الاسلام في الحضارة الانسانية ، من حيث تشريع العبادات ، والاعتقاد بوحدانية الله سبحانه وتعالى ، ومن حيث اعتراف الاسلام بالاديان والانبياء ، والكتب السماوية الاخرى ، ومن حيث نظرة المسلمين لأهل الكتاب نظرة اخاء ومودة ومحبة ، واذا كان الاسلام قد اعتبر أهل الاديان الاخرى اهل كتاب ، واعترف بالاديان والانبياء والكتب السماوية ، ونظر لاهل الكتاب نظرة اخاء ومودة ومحبة ، فلما ذا امر الاسلام بقتال اهل الكتاب برغم ما عرف به هذا الدين الحنيف من مثل عليا وآداب رفيعة ومبادىء سمحة ؟ .

على اننا نرى قبل الاجابة على هذا السؤال ان نسأل : هل نرى اهل الاديان الاخرى يقابلون هذا النبل الاسلامي وهذا التسامح الديني ، فيعترفون بالاسلام ونبي الاسلام ، ومبادىء الاسلام السمحة ، وحضارته الانسانية الرقيعة ؟ .

الواقع ان اليهود ينكرون كلا من المسيحية والاسلام ، وان المسيحية الحديثة تضع المسلمين في مرتبة واحدة مع الوثنيين ، وهم يجهلون ان الاسلام دين توحيد ، بل انهم يزعمون ان المسلمين ، او المحمديين كما يسمونهم ، يعبدون محمدا .

وبينما ينظر المسلمون الى الكنيسة او المعبد على انه بيت الله ، ينظر اليهود والمسيحيون الى المسجد على انه معبد وثني ، ولعل هذا الزعم يرجع الى نشاط المبشرين ، ولا سيما في المناطق المسيحية والوثنية في افريقية ، الذين يحاولون ادخال المسلمين والوثنيين في حظيرة المسيحية ، وهذه النظرة المغرضة الى الاسلام لا تساعد على دراسة المبادىء الاسلامية دراسة بريئة خالية من الغرض .

ولقد زعم بعض هؤلاء المغرضين ان الرسول الكريم اكره الناس على قبول الاسلام ، ولكن هذا الزعم لا يتفق مع صريح قوله تعالى في سورة البقرة : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » .

وقد اذن للمسلمين بالجهاد ، او القتال في سبيل الله ، في آيات بعضها نزل بمكة وبعضها نزل بالمدينة ، وقد اذن الله بالقتال لامور منها :

1) الدفاع عن النفس . وقد امر الله سبحانه وتعالى المسلمين ان لا يعتدوا على غيرهم ، وانما يقاتلون من يعتدي عليهم ، كما امرهم ان يكفوا عن قتال عدوهم اذا طلب الصلح فقد جاء في سورة البقرة : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . . » « فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم » .

وقال الله سبحانه وتعالى في سورة الحج : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » « الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » . وجاء في سورة الانفال « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون ، وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » .

2) وكذلك اذن للمسلمين بالقتال لتأمين الدعوة الاسلامية والدفاع عنها امام من يقف في سبيلها فقد جاء في سورة التوبة : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما » .

وقد يسال بعض : اذا كان الاسلام قد اعترف باليهودية والمسيحية واعتبر اتباعهما اهل كتاب فلما ذا امر القرآن بقتالهم ؟ .

والجواب على هذا ، ان الاسلام انما امر بقتال اليهود والمسيحيين في ذلك العصر ، لانهم غيروا وبدلوا في التوراة والانجيل واتخذوا اربابا من دون الله ، لذلك ارسل الرسول الكريم الكتب الى الملوك والامراء يدعوهم الى قبول الاسلام ، الذي يقوم على وحدانية الله سبحانه وتعالى ، وامر الله بقتال هؤلاء المنحرفين ، لانه عدهم كفارا مشركين ، كما يتضح ذلك مما جاء في سورة التوبة : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد (اي عن قدرة) وهم صاغرون (اي قابلون ان تجري عليهم احكام الاسلام) ، وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

اما وقد ذكرنا الجزية التي اشار اليها القرآن الكريم يحسن بنا ان نقول ، انها وضعت على الرؤوس وانها تسقط بالاسلام وقد وجبت على اهل الكتاب كما وجبت الزكاة على المسلمين حتى يتكافأ الفريقان وهم رعية لدولة واحدة في المسئولية ، كما تكافآ في التمتع بالحقوق ، وتساويا في الانتفاع بالمرافق العامة للدولة ، اي انه ليس في مواشي اهل الذمة من الابل والغنم زكاة .

والشرع لم يفرض الجزية الا على الاشخاص الذين يجب عليهم الجهاد ، لو كانوا مسلمين ، وذلك مقابل حماية اهل الذمة ، والمحافظة على اموالهم ، وتجب الجزية على الرجال العقلاء الاصحاء ، القادرين على الدفع ، ويعفى منها النساء والاطفال والرهبان اذا كانوا غير قادرين على الدفع ، اما مقدار الجزية فقد قسمها الامام ابو حنيفة ثلاثة اقسام :

1) اغنياء ويؤخذ منهم ثمانية واربعون درهما في السنة ، وكان الدينار يساوي اثنى عشر درهما اي نصف جنيه استرليني ونصف شلن تقريبا .

2) متوسطون ويؤخذ منهم اربعة وعشرون درهما في السنة .

3) وفقراء يكسبون ويؤخذ منهم اثنا عشر درهما.

وتتجلى الحضارة الانسانية الرفيعة في وصية امير المؤمنين ابي بكر الصديق ، التي شرع فيها آداب الحرب ، حين سير اسامة بن زيد لغزو بلاد الشام ، فاوصى المسلمين بالضعفاء خيرا ، وحثهم على ان يؤمنوا الناس على ارواحهم واموالهم ، ولا يعرضوا لشعائرهم الدينية فقال :

« لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امراة ، ولا تعقروا نخلا وتحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له » .

ولننظر الآن في شيء من الايجاز الى ما خلفه الاسلام من ادب انساني رفيع ، ومن ديمقراطية تقضي على الطبقات ، فلا تجعل اي اعتبار للجنس او اللون ، ومن مبادىء الاسلام تنظم المعاملات بين افراد الجماعة الانسانية .

حرم الاسلام سفك الدماء ، ومنع صاحب الثار ان ياخذ ثاره بنفسه ، بل جعل ذلك من حق امام الجماعة الاسلامية ، ومع ذلك فقد حث هذا الدين على العفو ، وجعل الدية لولي المقتول خطأ ، كذلك نهى الاسلام عن الربا حتى لا تضيع المروءة بين الناس ويفرق الشره والتكالب على المادة كلمتهم .

كان العربي في الجاهلية ينصر اخاه وابن عمه ، سواء كان ظالما او مظلوما ، اخطأ او اصاب ، عدل أو ظلم ، بمعنى ان الرجل كان يلحقه العار اذا قعد عن نصرة اخيه او ابن عمه ، حتى قالوا : انصر اخاك ظالما أو مظلوما ، وكانوا في الاسلام يعتبرون النصرة نصيحة الظالم لرده عن ظلمه ، ولذا قال الرسول الكريم : « انصر اخاك ظالما او مظلوما » كما قال : الدين النصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله وللمؤمنين .

وقد حث الاسلام على الزهد والتقشف والقناعة، ولم يتقلل الرسول وخلفاؤه من بعده في اطعمتهم وملبوسهم فقرا ولا عجزا عن اطيب لباس واشهى مطعم ، ولكنهم كانوا يفعلون ذلك مواساة لفقراء الرعية ، ومن آداب الاسلام البساطة والاعتدال ، والعفو والشفقة والرحمة والجود ، والكرم والوفاء بالعهد ،وصلة ذوي القربى وغيرها من الآداب العالية ، كالاستئذان اذا دخل شخص بيتا غير بيته ، فلا يدخله الا اذا سلم على اهله واذن له ، فاذا لم يجد فيه احدا ، فانه لايجوز له ان يدخله حتى يؤذن له ايضا .

كما امر الاسلام برد التحية بمثلها او باحسن منها ، وامر الرجال والنساء بغض الطرف ، والنساء بالا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ، او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولي الاربة (اي الحاجة) من الرجال او الاطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن .

كذلك حرم الاسلام الخمر والميسر والزنا وغيرها من الرذائل ، فاين هذا من بعض نواحي القرب الاجتماعية التي تبعد عن تقاليد الاسلام الصالحة وعن مقومات حياتنا الاجتماعية كما رسمها الاسلام وبنى عليها فلسفة صالحة في الحياة ، لقد بدانا نحن معشر المسلمين نفطن الى سوء تاثير الحضارة الغربية التي استهوتنا منذ القرن التاسع عشر وافسدت علينا كثيرا من تقاليدنا الصالحة ، واثرت في نظامنا الاجتماعي فاخذنا نخلع عن انفسنا بعض مظاهر هذه الحضارة التي لا تتفق وتقاليدنا وما يحث عليه الدين الاسلامي الحنيف .

والآن انتقل الى الكلام عن الاسرة ، وعن نظام الرقيق الذي يمدنا بمثل رائع من امثلة الديمقراطية الاسلامية والحرية والعدالة والاخاء التي ينعم بها المسلمون .

عني الاسلام بالاسرة وشرع الزواج والطلاق ، وفرض النفقة للزوجة على زوجها وللابن على ابيه ، وللاب على ابنه وسمى عقد الزواج ميثاقا غليظا ووصفه بانه علاقة مودة ورحمة ، وجعل للزوجة على زوجها المهر والنفقة ، ونهى عن الزواج بالمشركات ، وحرم التزوج بالام والاخت ومن يشبههما .

واباح الاسلام التزوج باكثر من واحدة الى اربع ، ولكنه اشترط العدل بينهن كما جاء في سورة النساء : « وان خفتم الا تعدلوا فواحدة » كما بين الاسلام ان العدل بين النساء من اصعب الامور ، فقال الله سبحانه وتعالى في سورة النساء : « ولن تستطيعوا ان تعدلوا ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » .

وقد لج غير المسلمين في اباحة الاسلام تعدد الزواج ، وفاتهم ان هذا خير طريق للاكثار من النسل ، وخاصة في زمن الحرب ، او في البيئات التي تحتاج الى كثرة الايدي العاملة كالبلاد الزراعية ، وكان الرسول الكريم يعلم ان المسلمين في عهده ، مكلفون بالجهاد في سبيل الدعوة ، فزواج بعض العرب باكثر من واحدة كفيل بان يعوض على المسلمين ، ما يفقدونه في جهادهم ويعوض الكثير من النساء عن ازواجهن الذين فقدوا في الحرب ، وهو سبيل التلافي زيادة عدد البنات اللاتي بلغن سن الزواج ولم يتزوجن .

اضف الى ذلك ان المراة قد تكون عاقرا او مصابة بمرض ، ولكن مصلحتها تقتضي بقاءها مع زوجها ، على ان الاسلام ، وان كان قد اجاز التزوج باكثر من واحدة قد اجازه بشرط ليس من اليسير تحقيقه على اكمل وجه ، وهو العدل بين الزوجات ، ومع ذلك فاننا نرى من النادر ان يتزوج المسلم باكثر من واحدة ، ولا سيما في هذا العصر الذي ينوء فيه الزوج باعباء اسرته .

وقد اتفق فقهاء المسلمين على النهي عن الطلاق ، عند استقامة الزوجين ، ونهى الرسول عن الطلاق في قوله : « لا ضرر ولا ضرار » وفي الحديث الشريف : « ان ابغض الحلال عند الله الطلاق » اما اذا تباينت الاخلاق وتفاقمت البغضاء جاز الطلاق ، وقد نصح الاسلام ان يعرض الرجل ما بينه وبين زوجه من خلاف ، على حكمين من اهله واهلها رجاء التوفيق ، كما جاء في سورة النساء : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » .

من ابرز مظاهر الاسلام ، انه آخى بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم واحل الوحدة الدينية ، محل الوحدة القومية ، فاصبحوا متساوين جميعا ، وغدوا كالبنيان يشد بعضه بعضا ، واصبح المؤمنون في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وليس

ادل على هذه المساواة ، وتلك الديمقراطية التي شرعها الاسلام من قوله تعالى مخاطبا نبيه الكريم في سورة الانفال : « هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم » وقوله عليه الصلاة والسلام : « ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى » .

ويمدنا نظام الرقيق في الاسلام ، بمثل رائع من امثلة الديمقراطية الاسلامية والحرية والعدالة والاخاء ، التي ينعم بها المسلمون جميعا ، والمساواة التي تتمثل وهم في المسجد يؤدون فريضة الصلاة او في مكة المكرمة ، وهم يحجون بيت الله ، فقد جعل الاسلام المؤمنين اخوة ، لاتفاوت بينهم الا بقدر ما يتفاضلون به من الحق ، يتبين ذلك من قول الرسول الكريم في خطبة الوداع : « ايها الناس انما المؤمنون اخوة ، ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى » .

وتتجلى هذه الديمقراطية الاسلامية ، مما روي ، من ان احد الموالي ، خطب احدى بنات رجل من الاحرار ، فقال اهلها : يا رسول الله : انزوج بناتنا موالينا ؟ فنزل قوله تعالى في سورة الحجرات قاضيا على التفرقة في الطبقات ، التي لاتميز بين سيد ومسود : « يا ايها الناس ان خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

ان الاسلام ، وان كان قد اباح الرقيق اول الامر ، حاول ان يلغي ذلك النظام ، ويحول دون بقائه فوضع اسسا ، يلزم فيها السيد باعتاق مولاه ، بل لقد ذهب الرسول الى القول بان العتق من اجل العبادات ، وانه كفارة لبعض الخطايا والحنث في الايمان .

بل ان الاسلام ، اعتبر الرق عارضا ، وشرع وسائل مساعدة الارقاء ، على استرداد حريتهم واستقلالهم وذلك عن طريق المكاتبة والتدبير ، فقد اذن للعبد ، ان يحترف التجارة ، ليحصل على ما يدفعه لسيده من نجوم (اي اقساط) الكتابة ، والزم سيده ان يتركه ليشتغل ، حتى يؤدي ما عليه من المال ، المتفق عليه لتحريره ، كما سن الاسلام طريقة التدبير ، وهي ان يوصي السيد بان يكون عبده حرا بعد موته .

وقد رأى بعض فقهاء المسلمين ، ان اقل وعد من السيد ، او اقل احتمال للوعد بالتحرير يجعل التحرير ضروريا ، كما رغب الاسلام في اعتاق الرقيق بدون مقابل ابتغاء مرضاة الله وحسن ثوابه ، قال تعالى في سورة البلد : « الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة » .

وجعل الشارع من مصارف الزكاة ، عتق الرقاب بان يعطي الحاكم للرقيق المكاتب ، ما يستعين به على تحريره ، او ان يشتري الحاكم العبيد بمال الصدقة ويعتقهم .

ومع ذلك فقد سوى الاسلام بين الرقيق ومولاه، في الطعام والشراب واللباس ، وفي التعليم والتهذيب ، كما حث على حسن معاملتهم ، ورغب المسلمين في تحرير الارقاء ، وكان المسلمون يعاملون الرقيق معاملة تتجلى فيها روح الديمقراطية الاسلامية ، وتتمثل فيها الحضارة تمثيلا رائعا ، فقد ظفر الموالي باسمى الرتب وتسنموا اعلى المناصب ، ومن احسن الامثلة زيد بن حارثة مولى الرسول ، وكان رابع اربعة دخلوا في الاسلام ، بل لقد ذهبت السيدة عائشة الى ان زيدا لو عاش لاستخلفه الرسول من بعده .

وليس ابلغ في الدلالة ، على ديمقراطية الاسلام ، من ان الرسول كان لايحب ان يسمع احدا يقول: عبدي او امتي ، وقد امر المسلمين ان يكفوا عن ان يقولوا : فتاي وفتاتي ، رأى الرسول رجلا على دابة وغلامه يجري خلفه ، فقال للرجل : ياعبد الله ، احمله خلفك فانما هو اخوك ، روحه مثل روحك ، فحمله الرجل ، وكان لهذه الرحمة وهذه الديمقراطية اثر بعيد في تحرير الارقاء ، ونشر المساواة بين المسلمين كافة ، ولم تكن عناية الاسلام بالرقيق ، مقصورة على القرآن وعلى الرسول ، بل لقد شملت عامة المسلمين . فهذا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول : اني لاستحيي ان استعبد انسانا ، يقول : ربي الله .

وان معاملة الاسلام للرقيق ، لتدل على ديمقراطية هذا الدين ، وتناقض كل المناقضة هذه الاساليب التي تتخذها شعوب تدعى انها تسير في طليعة الحضارة .

نعم ، ان الاسلام ، لم يلغ الرقيق ، الذي كان شائعا في العالم ، لكنه عمل كثيرا على اصلاح حاله وامر بالرفق بالاسرى واوصى بهم الرسول خيرا حتى كان المسلمون يخصون الاسير بالخبز ويأكلون التمر لوصية الرسول اياهم به .

قضى الاسلام على العنصرية : فسوى بين الناس على اختلاف اجناسهم ، كما سوى اليهود والنصارى بالمسلمين ما داموا في سلم معهم ، ولم يقصر الاسلام اسمى مناصب الدولة ، وهي الخلافة على اسرة او قبيلة او شعب بعينه ، لانه لا تفاضل بين مسلم ومسلم الا بالتقوى بل لقد اثر عن الرسول الكريم انه قال : (اسمعوا واطيعوا وان ولي عليكم عبد حبشي) .

وليس ادل على ديمقراطية الاسلام واثره في الحضارة الانسانية من قول الرسول الكريم : ثلاثة لهم اجران : رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد، والعبد المملوك اذا ادى حق الله تعالى وحق مولاه ؛ ورجل كانت عنده امة (بفتح الالف والميم) فادبها فاحسن تاديبها ، وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها .

وهذا بلال الذي ذاعت شهرته باعتباره اول مؤذن نادى بالصلاة في الاسلام ومن اعظم الفقهاء والمحدثين، كان عبدا حبشيا وصفه الرسول الكريم بانه اول ثمار الحبشة .

وان المثل العليا التي جاء بها الاسلام لتتجلى في سورة البقرة : « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والسائلين وفي الرقاب ، واقام الصلاة واتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين في الباساء والضراء وحين البأس ، اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) .

الدكتور حسن ابراهيم حسن
المدير السابق لجامعة اسيوط
واستاذ الحضارة الاسلامية بجامعة الرباط



حكم المرتد في الإسلام

للدكتور: تقي الدين الهلالي

(*) قبل بضع سنين جاء رجلان من بلاد فارس التي تعرف حكومتها فى هذا الزمان بايران ، فاستقر احدهما فى تطوان ، واتخذ له مركزا يدعو فيه الى البهائية ويحاول نشرها فى شمال المغرب . واستقر الآخر فى مدينة مكناس ، واستأجر قصرا جميلا تحيط به مزرعة ، واخذ يغري الصبيان والسفهاء من الشبان بالطعن فى الاسلام والدخول فى البهائية ، واخذ يعمل لهم المآدب وينفق الاموال الكثيرة ، مما جعل الناس يعتقدون ان الحكومة الايرانية كانت تمده بالمال . واخبرني ثقة عندي كان متصلا بسفير ايران في الرباط ، اعني السفير السابق ، انه كان متضجرا من وجود ذلك الداعية البهائي ، لانه يسيء الى العلاقة بين الشعب المغربي والحكومة الايرانية وشعبها . الا ان ذلك السفير لم يلبث ان استبدل بغيره ، واشتد استياء الناس فى جميع انحاء المغرب حين راوا اولئك السفهاء المأجورين يشتمون نبيهم ويطعنون فى دينهم لاجل اكلة ياكلونها او نزهة يتمتعون بها من ذلك الداعية . هذا ما حدث فى هذه الناحية . واما في ناحية الشمال فان تحمل الناس للاهانات التي صدرت من داعية الشمال والطغام الملتفين به كان اقل من احتمال اهل الجنوب فرفعوا الشكاوي المتكررة الى عامل تطوان فدعا ذلك الايراني وزجره وهدده ؛ فذهب الى ناحية الناضور فى قلب الريف المغربي ، واهل الريف معروفون بتمسكهم بالدين ومحافظتهم على العقائد ، ومنهم كان جيش الامير محمد بن عبد الكريم البطل المشهور ، فاخذ ذلك الداعية يبث سمومه في سفهائهم ، فثار الناس وضجوا ورفعوا أمرهم الى الحكام فطردوا ذلك الداعية وحاكموا من اصر على اتباعه من السفهاء وحكموا عليهم بالاعدام . ولم اطلع على نص الحكم ومستنده ، ولكني ساجيب بما تقتضيه الشريعة الاسلامية ويتحتم على كل حاكم مسلم ان يحكم به . ثم اذيل ذلك بحكم القانون العالمي الذي لايختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان ولا يزال العمل جاريا به فى كل مكان .

قال الله تعالى فى سورة الانعام (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون 151) وقال تعالى فى سورة الاسراء (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق 142) قال الامام ابن كثير فى تفسير آية الانعام التي تقدم ذكرها ، وقوله تعالى ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق . وهذا مما نص تبارك وتعالى عن النهي عنه تاكيدا ، والا فهو داخل فى النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن . فقد جاء فى الصحيحين عن ابن مسعود قال ، قال رسول الله (ص) (لا يحل دم امريء مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث ، الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) وفى لفظ لمسلم ، و (والذي لا اله

* جاءني السؤال التالي من احد تلامذتي الذين يدرسون فى بريطانيا ، وهو السيد عصام الآلوسي . وهذا نصه : لقد اوردت الصحف البريطانية فى الاسابيع الاخيرة اخبارا عن بعض افراد الطائفة البهائية فى المغرب ، والحكم على بعض منهم بالاعدام من قبل المحاكم الاسلامية . ولم تذكر الصحف كل الاسباب الداعية الى هذه المحاكمات ، مما جعل كثيرا من الاسئلة تدور فى اذهان الطلبة المسلمين وغير المسلمين هنا . وارجو ان امكن ان تكتبوا لنا عن هذه المحاكمات من الوجهتين ، القانونية والشرعية ، وموقف الاسلام من امثال هذه الطوائف ، لكي نقراه على الطلاب المسلمين ، والذين يجتمعون فى المركز الاسلامي أسبوعيا . واذا احببتم فنترجمه الى الانكليزية ونحاول نشره هنا ، وخاصة فى مجلة Muslim News International

غيره ، لايحل دم رجل مسلم) وذكره . قال الاعمش ، فحدثت به ابراهيم فحدثني عن الاسود عن عائشة بمثله . وروى ابو داود والنسائي عن عائشة ، ان رسول الله (ص) قال ، لايحل دم امريء مسلم الا باحدى ثلاث خصال ، زان محصن يرجم ، ورجل قتل متعمدا فيقتل ، ورجل يخرج من الاسلام حارب الله ورسوله فيقتل او يصلب او ينفى من الارض) وهذا لفظ النسائي . وعن امير المومنين عثمان بن عفان انه قال وهو محصور ، سمعت رسول الله (ص) يقول :

لا يحل دم امريء مسلم الا باحدى ثلاث ، رجل كفر بعد اسلامه او زنى بعد احصانه او قتل نفسا بغير نفس ، فوالله ما زنيت في جاهلية ولا اسلام ولا تمنيت ان لي بديني بدلا منه بعد اذ هداني الله ولا قتلت نفسا فبم تقتلونني) رواه الامام احمد والترمذي والنسائي وابن ماجة ، وقال الترمذي هذا حديث حسن . وقد جاء النهي والزجر والوعيد في قتل المعاهد ، وهو المستامن من اهل الحرب . فروى البخاري عن عبد الله بن عمر عن النبي (ص) مرفوعا (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما) وعن ابي هريرة عن النبي (ص) قال (من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد اخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفا) رواه ابن ماجة والترمذي ، وقال حسن صحيح .

نفهم مما تقدم امورا ، اولها ، انه يحرم قتل المسلم ، الا اذا ارتكب واحدة من الثلاث ، اذا زنى بعد احصان ، اي بعد ان تزوج ، و قتل نفسا عمدا ، او خرج من دين الاسلام وفارق جماعة المسلمين . ثانيها ، ان هذا الحكم ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة ، الا الرجم فانه ثبت بالسنة والاجماع ، ولا يوجد في القرآن . وقد رجم النبي (ص) الزانيين والزانيات المحصنين من المسلمين ومن اليهود لما رفعوا الامر اليه وحكموه ، كما جاء في صحيح البخاري أن يهوديا زنى بيهودية ، يعني وكانا محصنين ، فرفع اليهود امرهما الى النبي (ص) فسألهم النبي عن عقوبة الزاني المحصن فقالوا نفضحهم ، اي الزناة ويجلدون . قال عبد الله بن سلام ، كذبتم ان في التوراة الرجم ، فاتوا بالتوراة فنشروها ، فوضع احدهم يده على آية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام ، ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم ، فقالوا صدق يا محمد ، فيها آية الرجم فامر بهما رسول الله (ص) فرجما ، فرايت الرجل يحني على المراة يقيها الحجارة . وقولهم ، نفضحهم ، تفصيل فضيحتهم ، انهم كانوا يحممون وجه الزاني والزانية ، اي يسودونهما بالفحم ويركبونهما على حمارين مقلوبين ظهورهما الى جهة راس الحمارين ويطوفون بهما في الاسواق ويجلدونهما . وكذلك الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من ملوك المسلمين وحكامهم ، كلهم ساروا على هذه الشريعة التي شرعها الله في دينه الحق وانزلها على انبيائه . وقد حكم بالرجم في مكة شرفها الله على رجل وامراة سنة 1957 بالتاريخ المسيحي وكنت حاجا في تلك السنة فعلمت ان ذلك الرجل كان اصله من اليمن والمراة اصلها من الهند ، وكلاهما من سكان مكة اعترفا امام القاضي بالزنى وكانا قد احصنا ، وكانا يعلمان انهما سيرجمان فلم يمنعهما ذلك من الاقرار . وبعد حكم القاضي النهائي استؤذن الملك سعود في تنفيذ الحكم فاذن به ، وقال القاضي للرجال الذين ذهبوا بهما الى محل الرجم اتركوا لهما دائما فسحة للهرب ان شاءا ان يهربا ، واخبرا بذلك فلم يهربا ونفذ فيهم الحكم . فانكر ذلك بعض الحجاج الذين لايعرفون من الاسلام الا اسمه . وانما ذكرت هذه القصة ليعلم ان الرجم في الاسلام امر مجمع عليه من زمان النبي الى يومنا هذا .

واما حكم من قتل نفسا بغير حق متعمدا فهو ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ولا حاجة الى ذكر ادلته ، ولم يزل معمولا به في جميع الشرائع والقوانين الى هذا الزمان ، فبدا بعض المتهوكين يدعون الى ترك القصاص واستبداله بعقاب آخر ولم ينجحوا الا قليلا في بعض الدول . ونقول في حقهم كذبوا وصدق الله العظيم اذ يقول (ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تتقون) ، فكل من يدعو للابقاء على القاتل المتعمد زاعما ان ذلك من الرحمة فهو اجهل من حمار اهله .

وقوله ، ورجل يخرج من الاسلام حارب الله ورسوله فيقتل او يصلب او ينفى من الارض) ينبغي ان نفكر في هذه العبارة فان فيها سر المسألة . رجل يخرج من الاسلام حارب الله ورسوله ، فيقتل او يصلب او ينفى من الارض . اذن فكل خارج من الاسلام فهو ناقض للعهد محارب لجماعة المسلمين ، وهذه جريمة يعاقب عليها بواحد من ثلاثة ، القتل ، او الصلب ، وهو شر منه ، او النفي . ومصداق ذلك في كتاب الله في سورة المائدة رقم 33 (انما جزاء الذين

يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) .

ولما كان الاسلام لايفرق بين الدولة والدين ، فقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم من خرج من الاسلام خائنا الخيانة العظمى ، ناقضا للعهد ، محاربا لدولته وشعبه ، فهو يستحق القتل ، قال الامام ابن كثير في تفسير هذه الآية ، المحاربة هي المضادة والمخالفة ، وهي صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق واخافة السبيل . وروى البخاري ومسلم عن انس بن مالك ان نفرا من عكل ثمانية قدموا على رسول الله (ص) فقال ، الا تخرجوا مع راعينا في ابله فتصيبوا من ابوالها والبانها ، فقالوا بلى ، فخرجوا فشربوا من ابوالها والبانها فصحوا فقتلوا الراعي وطردوا الابل فبلغ ذلك رسول الله (ص) فبعث في آثرهم فادركوا ، فجيء بهم فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمرت اعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا . وهذا لفظ مسلم

شرح الحديث :

قوله ، الا تخرجوا مع راعينا في ابله ، بينت الروايات الاخرى ان اولئك الرجال الثمانية الذين جاءوا الى النبي من قبيلة عكل اظهروا له الرغبة في الاسلام فاسلموا وبايعوا النبي ، وكانوا مرضى ، منتفخة بطونهم من داء البطن فاجتووا المدينة ، اي استوخموا هواءها وراوه رديئا لايوافق صحتهم ، وشكوا الى النبي (ص) ذلك فاذن لهم في الخروج من المدينة الى ارض ذات هواء طيب وبعث معهم لقاحا وراعيها ، وفي رواية ورعاتها ، واللقاح هي النوق الحلائب ذات الالبان . وامرهم ان يشربوا من ابوالها والبانها . انما شربوا من ابوالها ، لان العرب تعتقد ان بول الابل يشفي من داء البطن . فلما صحت اجسامهم وخمصت بطونهم ، اي ذهب ما بها من الانتفاخ سمروا اعين الرعاة ، اي ادخلوا فيها المسامير حتى عميت . وفي رواية ، ادخلوا فيها الشوك ، ثم قتلوا الرعاة وساقوا الابل ، فلما بلغ الخبر النبي (ص) امر مناديا ان ينادي ياخيل الله اركبي ، فركب عشرون فارسا وساروا في طلبهم فادركوهم وجاءوا بهم الى النبي (ص) فامر بقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم ، اي ادخال المسامير فيها ، والقو في الشمس وبقوا كذلك حتى ماتوا . وهؤلاء تعددت جرائمهم ، خرجوا من الاسلام ونقضوا العهد وقتلوا النفوس البريئة التي كانت تحمل اليهم اللبن وتخدمهم ونهبوا الابل ، فكان جزاؤهم شديدا ليكونوا عبرة لغيرهم من الاعداء القادرين . والجزاء من جنس العمل . واختلف العلماء في انواع العقاب المذكورة في الآية . فقال كثير منهم ، الخيار في ذلك الى امام المسلمين ، اي الخليفة او نائبه ، ان شاء قتلهم وان شاء صلبهم بعد قتلهم ، وان شاء اكتفى بنفيهم . وقال آخرون ، ان كانوا مرتدين عن الاسلام او قاتلين انفسا بريئة فلا بد من قتلهم . وان كانوا لصوصا اقتصروا على نهب المال فقط تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، اي تقطع يد من جانب ورجل من الجانب الآخر . وان لم يفعلوا شيئا من ذلك ، بل اخافوا الناس وبثوا الفزع ينفون من الارض ، اي من ارضهم مدة من الزمان كافية لتأديبهم .

ذكر احاديث اخرى في هذا المعنى

قال الحافظ ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم ، في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ص. 86 اخرج مسلم عن عائشة مثل حديث ابن مسعود . اي قول النبي (ص) لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث الى آخره وقد تقدم . وخرج الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث عثمان عن النبي (ص) ، لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث ، رجل كفر بعد اسلامه ، او زنى بعد احصانه ، او قتل نفسا بغير نفس ، وفي رواية للنسائي ، رجل زنى بعد احصانه فعليه الرجم ، او قتل عمدا فعليه القود ، او ارتد بعد اسلامه فعليه القتل . وقد روي هذا المعنى عن النبي (ص) من رواية ابن عباس وابي هريرة وانس بن مالك وغيرهم . وقد اطال ابن رجب في تفاصيل الاقسام الثلاثة المذكورة في حديث ابن مسعود ، ونقل نصوصا كثيرة من الاحاديث المرفوعة الى النبي والموقوفة على الصحابة ، وذكر كذلك اختلاف الائمة في بعض المسائل التي ورد فيها الحكم بالقتل على انواع اخرى من المجرمين ، كالجاسوس المسلم يتجسس على اخوانه المسلمين لاعداء الدين ، ومن عمل عمل قوم لوط ، ومن زنى بامراة من محارمه ، وتارك الصلاة ، والساحر ، واللص وغيرهم ، ولم انقل شيئا من ذلك ، لانه خارج عن موضوع السؤال . ثم قال ابن رجب في ص. 91. واما ترك الدين ومفارقة الجماعة ، فمعناه الارتداد عن دين

الاسلام ، ولو اتى بالشهادتين ، فلو سب الله ورسوله وهو مقر بالشهادتين ابيح دمه ، لانه قد ترك بذلك دينه . وكذلك لو استهان بالمصحف والقاه في القاذورات او جحد ما يعلم من الدين بالضرورة ، كالصلاة وما اشبه ذلك مما يخرج من الدين . ومضى الى ان قال : ومن هذا الباب ما قاله كثير من العلماء في قتل الداعية الى البدع ، فانهم نظروا الى ان ذلك شبيه بالخروج عن الدين ، وهو ذريعة ووسيلة اليه ، فان استخفى بذلك كان حكمه حكم المنافقين ، واذا دعا الى ذلك تغلظ جرمه بافساد دين الامة . وقد حكي ابن عبد البر وغيره عن مذهب مالك جواز قتل الداعي الى البدعة .

قال محمد تقي الدين الهلالي مملي هذه المقالة : المراد بالداعية الى البدع فيما تقدم من يدعو الى القول بخلق القرآن ، وانكار عذاب القبر ، وانكار شفاعة النبي يوم القيامة ، والقول بأن افعال العباد ليست مخلوقة لله ، ونحو ذلك مما اختلف فيه المتكلمون من الطوائف الاسلامية . والصحيح عند المحققين ان تلك العقائد لا تخرج المسلم عن الدين ولا تلحقه بالمرتدين . ولكن اذا كان الداعية الى مثل تلك البدع محكوما عليه بالقتل عندهم ، فكيف تكون الحال فيمن يعتقد ان رسالة محمد قد نسخت وأبطلت بظهور الباب والبهاء . وينكر جميع فرائض الاسلام وينكر قيام الساعة الذي تكرر ذكره في القرآن ، ويزعم ان المراد بذلك ساعة قيام البهاء مؤسس البهائية الى غير ذلك من الكفر الصريح الذي لا يختلف فيه احد من المسلمين .

وقال الامام ابن قدامة في كتاب المغني المجلد 8 ، ص 123 . كتاب المرتد . المرتد هو الراجع عن دين الاسلام الى الكفر ، قال الله تعالى : (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) وقال النبي (ص) من بدل دينه فاقتلوه ، واجمع اهل العلم على وجوب قتل المرتد . وروي ذلك عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ وابي موسى وابن عباس وخالد ، وغيرهم ولم ينكر ذلك فكان اجماعا .

وقد اطال ابن قدامة في هذا الموضع وذكر تفاصيل اقوال العلماء في استتابة المرتد او قتله بدون استتابة . ولم أر حاجة الى نقل ذلك ، فليراجعه من شاءه . وكذلك الامام ابو محمد ابن حزم في المجلد 11 في المسألة رقم 2195 ص 188 من كتاب المحلى له . وهذا الحكم مذكور بتفصيل في كتب التفسير والحديث وشروحها . وفيما ذكرته كفاية لكل مسلم مخلص في اسلامه .

واما غير المسلمين فلنا معهم كلام آخر ، تقول لهم : ما ترون فيمن خرج من صفوفكم وانضم الى اعدائكم ما حكمه ، فيقولون ، اننا نفرق بين الدين والدولة مقتدين بما جاء في الانجيل (اعط ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر) . ومن الكلمات الجارية مجرى المثل السائر (الدين لله والوطن للجميع) ، فمن خرج من صفوف شعبه ودولته والتحق بصفوف اعدائها يكون مرتكبا للخيانة العظمى ويستحق القتل . واما من خرج من ديننا الى دين آخر او الى غير دين فليس عليه جناح ولا يستحق عقابا . قلنا ، لكم دينكم ولنا ديننا . اما نحن فلا نفرق بين الدين والدولة ابدا ، فكل شيء عندنا لله ، وليس لقيصر شيء ، بل قيصر نفسه هو لله . وقولهم : الدين لله والوطن للجميع ، ان كان معناه حفظ حقوق المواطنين المشروعة كيما كان دينهم فالاسلام يقول به ويعطي كل ذي حق حقه ، ولا اكراه في الدين ، وان كان معناه ان حق الله محصور في الدعاء بين جدران الكنيسة ، ولا حق له فيما يحاوله المسلم ويزاوله من امور دنياه ، فلا حلال ولا حرام الا ما حلله او حرمه القانون الوضعي ، ولا واجب الا ما اوجبه القانون الذي وضعه اناس يجوز عليهم الخطأ والزلل واتباع الهوى ، فالاسلام يرد هذا القول ويراه في غاية الفساد ، فالدين لله والوطن لله وسكانه لله ، ويجب الحكم بينهم بما انزل الله ، وهو القرآن وبيانه من كلام رسول الله . ولو آمنا بذلك القول لم يبق لنا اسلام ولا ايمان ، فان مقتضى ذلك ان من سب الله او احد انبيائه لا شيء عليه ، ومن سب الملك او رئيس الجمهورية ، بل من سب اي مواطن ، وان كان في اسفل سافلين يكون قد ارتكب جرما يعاقب عليه . وعلى هذا يكون حق اي مواطن أعظم من حق الله ، ومنزلة اي مواطن اعظم من منزلة جميع انبياء الله ، فأي دين يبقى مع هذه العقيدة الفاسدة المتناقضة ، وما ذا يبقى من المقدسات والعقائد التي لأجلها يحيا المسلم او يموت . قال الله تعالى في سورة الممتحنة رقم 4 (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) ، وقد كان معنا في اذاعة برلين رجل انكليزي اسمه جورج ، وكان يلقب على سبيل المداعبة (لورد) (هو هو) كان يذيع الاخبار من تلك الاذاعة باللغة الانجليزية . وبعد انتهاء الحرب سمعنا انه حكم عليه بالقتل من قبل محكمة بريطانية واعتبر اشتغاله في اذاعة برلين في زمان الحرب خيانة لوطنه يستحق

عليها القتل . وكم قتلت حكومة الجنرال ديكول السابقة التي انشئت بعد انتهاء الحرب من مواطنيها المتعاونين مع حكومة الاحتلال الالمانية . ومنهم الزعيم الفرنسي لافال) .

واذا كان الانسان حرا فى عقيدته الدينية ، له ان يخرج من دين الى دين ، ولو فعل ذلك فى كل يوم مرارا فلا حرج عليه ، وله ان يطعن فى كل دين خرج منه ، فلماذا لا يجوز له ان يخرج من عقيدة سياسية الى اخرى مثلها ؟ . وما هو ذنب (لافال) ومن قتل معه اذا اعتقدوا ان (النازية) ، اي الاشتراكية الوطنية التي كان عليها حزب هتلر اصلح للشعب الفرنسي واجمع لشمله وقواه ، وخصوصا فى ذلك الزمان ، من فوضى الاحزاب التي كانت ضاربة اطنابها فى فرنسا وسببت لها شقاء كثيرا ؟ . اظن ان الجواب عن هذه الاسئلة المحرجة ليس من السهولة بمكان على من يريد الانصاف ويلتزم المنطق .

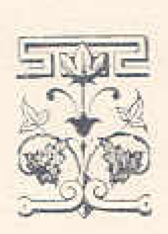
مستند الحكم على بعض المغاربة الداعين الى البهائية

اخبرني احد العلماء الثقات ان المحكمة التي حكمت على اولئك المغاربة لم تكن شرعية اسلامية ، وانما كانت من المحاكم التي تحكم بالقوانين الوضعية . ومستندها هو ان دعوتهم اخلت بالامن العام ؛ فليطمئن اعداء الاسلام ولن يراعوا ، فان المحاكم الاسلامية في بلاد الاسلام ويا للاسف ، لا تستطيع ان تحكم بالقتل على اي مجرم ، لان ذلك ليس من اختصاصها . ولو بقيت للمحاكم الاسلامية حقوقها لما صارت لدول الاستعمار والاستعباد هذه العزة وهذه الصولة .

هل يحكم الاسلام على كل كافر بالقتل ؟

ربما يتوهم متوهم ان الاسلام اذا حكم على من كفر بعد اسلامه بالقتل فهو يحكم على كل من كفر به بمثل ذلك ، فدفعا لهذا التوهم اقول ، ان الناس ينقسمون فى نظر الاسلام الى قسمين ، مسلمين وغير مسلمين . فاما المسلمون فلا يقتل احد منهم الا بحق من حقوق الاسلام ، وقد تقدم ذكرها . واما غير المسلمين فينقسمون الى قسمين ، قسم لهم عهد او ذمة ، وهم المعاهدون والمصالحون والمستامنون ، وقسم المحاربون فى وقت محاربتهم للاسلام . فالقسم الاول يحرم الاسلام دماءهم واموالهم كما يحرم دماء المسلمين واموالهم . وقد تقدمت الاحاديث صريحة فى ذلك فى اول هذه المقالة فتاملها . واما المحارب للاسلام فيجب على كل مسلم ان يبذل كل ما فى وسعه فى قتاله على قواعد واسس معلومة ، منها عدم قتل النساء والصبيان والشيوخ والرهبان المنقطعين للعبادة ، اذا لم يشاركوا فى القتال . ومنها عدم الاجهاز على الجريح ، بل يجب ان يعالج ويكرم مثواه كما فعل الملك صلاح الدين في الحروب الصليبية بالملك (رشاود) الانجليزي الملقب بقلب الاسد ، وقصته مذكورة فى الحروب الصليبية ذكرها المؤرخون من الانجليز وغيرهم . ولكنني اعترف ان اكثر المسلمين قد جهلوا شريعة الاسلام وصاروا ابعد الناس عنها ، فدعواهم واقوالهم فى واد واعمالهم فى واد آخر ، فيجب على المنصف ان يفرق بين الاسلام وما يفعله المدعون له ، ويحتج بالاسلام على المسلمين ولا يعكس القضية . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

مكناس : الدكتور تقي الدين الهلالي



أسرار الصيام الروحية والمادية

للأستاذ محمد المنوني

طبيعة التشريع الاسلامي انه لا يدعو لعمل الا لما فيه مصلحة عائدة علينا ، ولا يحذر من شيء الا لمضرة لاحقة بنا .

اطردت هذه الخاصية في مسائل التشريع الاسلامي ، وتناثرت ازاء قضايا العبادات والمعاملات ، والاحوال الشخصية ، والجنايات .

واذا حاولنا في هذه العجالة ان نقدم نموذجا واحدا لهذه القاعدة ، فلا غنى لنا ــ وهي تكتبه في شهر رمضان ــ ان تنتزعه من الظروف التي يكتب فيها ، وان تجعله يتناول جملة من اسرار هذا الصيام الذي يغمر المسلمين في أرجاء العالم الاسلامي .

ولا شك أن الغاية الاولى من تشريع هذه الشعيرة : هي تربية نفس المؤمن على الاستقامة في شهر رمضان ، وتدريبه على هذه الخصلة الكريمة بعد رمضان ، وتمرينه عليها في حياته كلها ، واحواله جميعها ، حتى يكون ــ في حياته الخاصة ــ انسانا كاملا ، وفي المجتمع الانساني عضوا نافعا .

هذه هي حكمة الصيام التي يبشر بها الاسلام في هذه الآية : (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . .)

فهذه الآية الكريمة تبين ان الغاية من صيام رمضان تربية المسلم على التقوى ، وتعويده المواظبة عليها . وقد وضح هذه الحكمة غير واحد من فقهاء التشريع الاسلامي فقال الفخر الرازي في تقرير الوجه الاول لتفسير تلك الآية :

« انه ــ سبحانه ــ بين بهذا الكلام : ان الصوم يورث التقوى ، لما فيه من انكسار الشهوة وانقماع الهوى ، فانه يردع عن الاشر والبطر والفواحش ، ويهون لذات الدنيا ، وذلك لان الصوم يكسر شهوة البطن والفرج ، فمن اكثر الصوم هان عليه أمر هذين ، وخفت عليه مئونتهما ، فكان ذلك رادعا له عن ارتكاب المحارم والفواحش ، ومهونا عليه أمر الرياسة في الدنيا ، وذلك جامع لاسباب التقوى » .

وكما يفسر الرازي آية الصيام بهذا الوجه كذلك يشرح به البيضاوي حديث « من لم يدع قول الزور والعمل به » ويقول :

« ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش ، بل ما يتبعه من كسر الشهوات ، وتطويع النفس الامارة ، للنفس المطمئنة ، فاذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله اليه نظر القبول » .

ولمكان هذه الغاية السامية من الصيام ، يتوجه الرسول ــ صلوات الله عليه وآله ــ الى الصائم فيرشده الى الابتعاد عن المخالفات اثناء صومه ، وينصحه في هذه الكلمات النبوية التالية :

« الصيام جنة ، فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ، ولا يجهل ، وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم مرتين » .

ولنفس الغاية يعظم الرسول (ص) أن يتعمد الصائم مخالفة او يرتكب اثما ، ويندد بمن ينحرف عن هذه الجادة في الصيحة التالية : « من لم يدع قول

الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه » .

فهذا الحديث وما تقدمه : كل ذلك يؤكد الحكمة المتوخاة من صيام رمضان ، ويعلن انها لا تعدو تزكية نفس المومن وتطهيرها بالتقوى ، وقد بالغ ابن حزم في تقرير هذه الحكمة حتى افرط – على حد تعبير فتح الباري – فقال : يبطل الصيام كل معصية من متعمد لها ذاكر لصومه ، سواء كانت فعلا او قولا ، استنادا للحديثين الآنفي الذكر ، والجمهور – وان حملوا النهي على التحريم – الا انهم خصوا الفطر بالمفطرات المادية .

وهذه حكمة ثانية يهدف اليها الشارع في الصوم: وهي تعويد المومن الصبر على المشاق ، وتوطيد نفسه على الصمود امام المكاره ، فان في الصوم الصبر على مضض الجوع والعطش وترك الشهوات والمخالفات ، والصائم الذي يعود نفسه الصبر على هذه الاشياء خليق بان يتدرب على الصبر في رمضان وفي غير رمضان ، وجدير بان يعتاد هذا الخلق الذي هو اكبر عدة الانسان للتغلب على مصاعب دينه ودنياه .

وهناك اكثر من شاهد على اعتبار هذه الحكمة في الصيام ، فلقد سمى الرسول (ص) رمضان شهر الصبر ، ووصف في حديث ابي هريرة الصيام بانه نصف الصبر .

كما ان الصابرين في آية : « انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب » هم الصائمون في اكثر الاقوال وقال ابو عبيد في نفس حديث « الصيام لي وانا اجزي به » ان الصوم هو الصبر وقد قال تعالى « انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب » .

فهذه اربعة شواهد ناطقة باعتبار حكمة الصبر في الصوم ، وعلى هذا يكون الصيام هنا وسيلة للتمرن على الصبر ، كما كان في الحكمة الاولى طريقا للاستقامة

وسر ثالث يكمن في هذه الشعيرة وهو اذكاء شعور الصائم الموسر بواجبه نحو اخوانه الفقراء الذين يعيشون – دائما – في شبه صيام ، فتنعطف نفسه عليهم، وتنطلق يده بالاحسان اليهم ، حتى يعتاد العطف على المحتاجين ، ويالف الاحسان اليهم ، وقد جاء التلميح لهذه الحكمة في الحديث الشريف الذي يسمي رمضان : « شهر المواساة » .

ومن التطبيقات العملية لهذه الخصلة ان الرسول (ص) كان في رمضان يضرب الرقم القياسي للجود الذي يفوق على جوده في غير رمضان .

كما أن تشريع زكاة الفطر تطبيق مثالي لهذه الحكمة .

يضاف لهذا : التطبيقات الاخرى التي كان الرسول (ص) يدعو لها بواسطة الترغيب في افطار الصائمين .

الحكمة الرابعة ترويض المومن على خصلة الشكر فان في الصوم شكرا للمنعم الاعظم على نعمة الصحة كما يشير لهذا حديث « لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم » .

كما أن في صيام رمضان شكرا وتذكارا لنعمة نزول القرءان هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

فمن هذه الحكمة الرابعة وما قبلها يتبين ان المسلم يرتاض في صيام رمضان على اربع خصال : استقامة – صبر – احسان – شكر .

ويضاف الى هذه الاسرار الروحية سر خامس مادي، وهو ما ينطوي عليه الصيام من فوائد صحية عديدة اصبحت موضع عناية اطباء الغرب في هذا العصر ، وقد بلغت العناية بافراد منهم الى ان يخصصوا هذا الموضوع بتاليف على حدة ، ونشير هنا الى كتابين وضعهما دكتوران غربيان :

الاول الدكتور اوتوبو خنجر ، وقد وضع كتاب « التداوي بالصيام واصول الاستعانة به » طبع في المانيا عام 1935 في صحائف 194 ، وقد وصف فيه الصيام تاريخيا ، ثم تاثيره الصحي على الدم ، والغدد ، والطحال ، والكبد ، والكلي ، وضغط الدم ، والافرازات الداخلية ، والجلد ، والشعر .. ثم يداوي بالصيام عشرات من الامراض الجسمانية ، والعصبية والعقلية .. وينتقل الى تاثيره الروحي وتقويته للارادة .

الثاني الدكتور ماك فادن الامريكي ، مؤسس المستحجات المعروفة باسمه : الف « كتاب الصيام » وقال فيه : « انه بعد تجارب عديدة في زمان طويل ، تحقق عنده ان احسن دواء لجميع الامراض – تقريبا – هو الصيام ، مع الهواء النقي ، والماء والشمس ، قال :

وقد عالجت بالصوم – مع ما ذكر – كثيرا من المرضى ، فشفوا كلهم ، ثم ذكر الامراض تفصيلا ،

واقام البرهان بالارقام ، وهكذا حتى ذكر امراضا كثيرة ثم قال :

ان الصوم يؤثر في شفاء الامراض على درجات ، بعضها اعلى من بعض فجميع امراض الدم تجيء في الدرجة الاولى ، فالصوم يشفيها قطعا .

ثم ذكر بقية انواع الامراض ودرجاتها في التأثر بالصوم ، واستثنى بعض الامراض كالسل فقال : لقد عالجت المسلولين – ايضا – بالصوم وامور الطبيعة كالشمس والهواء ، والماء فنجح العلاج في اربعة منهم ، ومع ذلك لا انصح المسلولين بالصوم .

وهذا الصوم الذي يعالج به الدكتور ماك فاذن ليس هو الصيام المشروع عند المسلمين ، بل هو اشد منه ، فانه يتبغي للمريض او المستصح ان يستعمل دواء مسهلا يفرغ به معدته من الفضلات قبل ان يبدأ الصيام ، ولا يتناول في صومه شيئا من الطعام كيفما كان نوعه ، ولو عصيرا او آتايا ، واقل الصيام عنده يوم وليلة ، واكثره خمسة وعشرون يوما ، فمرض الروماتزم مثلا يحتاج الى خمسة وعشرين يوما ، وهو يبيح شرب الماء في صيامه .

وذكر فصلا لما سماه بالصيام الجزئي : وهو ان يصوم الانسان اقل من يوم وليلة ، وذكر له فوائد كثيرة في شفاء بعض الامراض ، والتخفيف من شدة وطأة بعضها ، وقال :

ان الصيام الكلي يحتاج اليه كل انسان لتصفية جسمه من سموم الاغذية والعقاقير التي تجتمع فيه ، والصوم – وحده – هو الذي يصفي الجسم ، ويزيل منه تلك السموم ، وليس المريض فقط هو الذي يحتاج الى الصيام .. »

هكذا يعمل الدكتور ماك فان ، ومن قبله الدكتور اوتو خنجر لتحليل فوائد الصيام الصحية ، ولتوضيح المعنى المادي الذي يراه اطباء الغرب في الصوم .

وان هذا الموضوع كان – ايضا – موضع اهتمام من اطباء العرب المعاصرين ، ونذكر منهم بالخصوص الدكتور المسلم محمد توفيق صدقي الذي قال في كتابه الجليل « سنن الكائنات » ما يلي :

« ان الصوم – عن الطعام – نافع في امراض المعدة ، والامعاء ، والكبد ، والكلي ، وحصواتهما ، والنقرس ، والروماتزم ، والحميات ، وامراض القلب ، وغير ذلك .

الا ان الغلو فيه له ضرره ، ولذلك نص الشارع (ص) : على وجوب الاعتدال في كل شيء ، ونهى عن صوم الدهر ، وعن الوصال في الصيام ، واستحب السحور وتأخيره ، وتعجيل الفطر ، قال (ص) لمن نهاه عن كثرة الصيام والقيام : « ان لبدنك عليك حقا » .

ومما يخفف ضرر الصوم عند المسلمين : انه يباح لهم ليلا ما يحرم عليهم نهارا ، فلذلك كان الضرر الناشيء من الضعف في اثناء النهار قليلا او معدوما ، وبجانبه نفع يفوق هذا الضرر كثيرا ، وهو اراحة الجهاز الهضمي ، والكبد ، والجهاز البولي ، واحراق ما في الجسم من الزيادة الضارة ، وغير ذلك مما ذكرناه .

هذا كلام الدكتور محمد توفيق صدقي الذي يتمم ثلاث شهادات صادرة عن كبار الاطباء بفوائد الصيام الصحية .

ونذكر بعد هذا ان هناك حديثا جاء عن الرسول (ص) يشير لفائدة الصيام الصحية ، وقد أورده المنذري في الترغيب والترهيب من طريق ابي هريرة هكذا :

اغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا ، وسافروا تستغنوا . ثم قال عقبة : رواه الطبراني في الاوسط ورواته ثقات .

وقد شرح فقرة « صوموا تصحوا » من هذا الحديث الحفني في تعليقه على الجامع الصغير بما يتفق وارشادات الطب الحديث ، وهذه عباراته

« قوله تصحوا » لما ورد : المعدة بيت الداء ، والحمية راس الدواء ، والصوم اعظم حمية لانه يخلي الجوف من العفونات ، وهذا فيمن يتعاطى عند فطوره وسحوره اللائق ، اما من يخلط ويأكل عند ذلك قدر ما يأكله وهو مفطر او اكثر ، فلا تحصل له الصحة ، لوجود العفونات في جوفه .

وبعد : فلتكن خاتمة هذا البحث كلمات قيمات ، ودرر غاليات ، عن فوائد الصيام الروحية والمادية ، وقد نشرها ابن القيم في « زاد المعاد » في العبارات التالية :

المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المالوفات ، وتعديل قوتها الشهوانية ، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها ، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الابدية ، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها ، ويذكرها بحال الاكباد الجائعة من المساكين ، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب ، وتحبس قوى الاعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها ، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه وتلجم بلجامه .

فهو لجام المتقين ، وجنة المحاربين ، ورياضة الابرار والمقربين ، وهو لرب العالمين من بين سائر الاعمال ، فان الصائم لا يفعل شيئا ، وانما يترك شهوته ، وطعامه ، وشرابه ، من اجل معبوده ، فهو ترك محبوبات النفس وتلذ ذاتها ، ايثارا لمحبة الله ومرضاته ، وهو سر بين العبد وربه ، لا يطلع عليه سواه ، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة ، واما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من اجل معبوده ، فهو امر لا يطلع عليه بشر ، وذلك حقيقة الصوم .

وللصوم تاثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة ، والقوى الباطنية ، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي اذا استولت عليها افسدتها ، واستفراغ المواد الرديئة المانعة له من صحتها . فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ، ويعيد اليها ما استلبته منها ايدي الشهوات ، فهو من اكبر العون على التقوى ، كما قال تعالى : « يا أيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وقال النبي (ص) : « الصوم جنة » وامر من اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة له عليه : بالصيام ، وجعله وجاء هذه الشهوة .

والمقصود ان مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة ، والفطر المستقيمة، شرعه الله لعباده رحمة لهم ، واحسانا اليهم ، وحمية وجنة .

الرباط ــ محمد المنوني



أفق الكلمة والمفهوم

للدكتور : محمد عزيز الحبابي

- 2 -

أصناف التعابير :

ان بين المعنى والتعبير عن هذا المعنى فروقا : التعبير مادي ، والمعنى من طبيعة التصورات الذهنية (العقلية) ، التعبير شيء خاص والمعنى عام ، اي انه يرمي دائما الى الشمول ، التعبير حسي ، اما المعنى فيرمي الى التجرد ، لانه مجموعة مفاهيم . فالتعبير ، وان اختلفت صوره ، يسيج في عالم محدود ، اما المعنى فعالم مفتوح ، او قابل للتفتح : ان الاشارة محدودة في حين ان المعنى يرمي الى ما لا يحصر .

* * *

يظهر مما تقدم ان علاقات العالم الداخلي النفساني والعالم الخارجي تتجسم في التعابير المختلفة ، توجد بوجودها وتنعدم بانعدامها ، انها شرط وعلة لها ، وبما ان الموضوع والذات ، اي المفعول والفاعل ، يلتقيان في الشعور الفردي ليتحققا ، كان لزاما على الدراسات النفسانية ان تبدأ بالتعرف على حقيقة « التعبير » واصنافه .

فاللغة ، مثلا ، فن تقني (لان لها نماذج وقواعد متفق عليها) ولكن حقيقتها تندمج في حقيقة تاريخية : التاريخ الفكري والنفساني والصناعي والجغرافي للامة ، او للامم المتكلمة بهذه اللغة ، ونقصد هنا بالتاريخ الماضي طبعا ، ولكنه ماض يسترسل في الحاضر مع التاكيد بان الحاضر لا ينحصر في الحال ، بل هو ما يعبر عنه النحويون « بالمضارع » اي الحال والمستقبل ، لان ما يقوم به الانسان في الحاضر انما هو انجاز لما يريد ان يكون عليه ــ ما ــ بعد ــ الحاضر ، فالمستقبل ليس مرادفا للـ (بعيد) كما ان الـ (حاضر) ليس منحصرا في ما قد (حضر) فحاضر ليس وصفا لحالة ، بل اسم فاعل ، اي انه الزمن الذي يقع فيه فعل ، فعليا . فالحاضر يختلف عن الماضي لان الماضي قد انتهى كحركة مباشرة ولم يبق الا في اشارة او في ذاكرة ، ويخالف ايضا المستقبل ، لان المستقبل يصوب اتجاهه نحو الامام ويتقمص الامال .

فالمتكلم يغير اللغة ، ولكنه يخضع لاسسها ومصطلحاتها كي يفهم . فالكلام اداة للتفاهم ، لا غاية في ذاته ، ان المتكلم يرمي ، من وراء الكلام ، ان يفهم المستمع انه يريد تواصلا .

لكن ، خلافا لما يمكن ان نظنه ان الانسان الاول لم يتكلم ليعبر عن مفاهيم وافكار ، ولم يتكلم لانه كان له شيء يجب ان يقال ، بل ، على العكس ، لقد فهم وفكر وافهم لانه تحدث ، حيث ان ما راج في خاطره قبل ان يتكلم لم يكن مكيفا في شكل اولي يرمي الى قصد ، وانى له ان يقصد الافهام قبل ان يحصل عنده فهم هو نفسه ! ان التفكير واللغة وجهان لواقع واحد ، ان الجد الاول للانسانية لم يعبر عما فكر فيه لانه كان يفكر ، بل فكر لانه تكلم ، وهو لم يتحدث الا بعد ان انتهى من الحركة ، فللافعال (اي ما يقابل الاسماء) الاسبقية ، المكان الاول ، وحتى في لغة الاطفال ، تدل جل الكلمات على معنى الفعل : **بابا** = اريد الاكل **ديدي** = اتالم من الوجع ، فالافعال آخر ما يضيع من الذاكرة ، ان اللعب ، وهو عمل جماعي من اول الحركات التي يقوم بها الطفل ، فكل لعب ، في الحقيقة ، ملاعبة ، واداة اللعب ، بالنسبة للصبي ، غالبا ما تكون هو من يلعب معه من اقرانه ، او من الكبار (فالطفلة تريد ان ترضع امها ، وتقوم بدور الجدة نحو ابيها) .

فالاتصال الاول بين الصبي وعالم الاحياء هو الثدي ، وعند الفطام تلهيه بثدي لا لبن له ، او باشياء جامدة تشبه الثدي ، فاللعب عالم مصطنع بين الواقع واللا واقع ، اي حركات رامزة ، يتعدى الرمز عند الطفل دور الوساطة ويصبح غاية ـ في ـ ذاته ، نعني ان الرمز يتركز في الشعور كانه هو الواقع ، ويصير الواقع شيئا اجنبيا .

وللعب صور اخرى كالميل الى الهجوم ، وتقليد الكبار ، وكل هذه الاعمال تعابير عن الاندفاع نحو الحياة الجماعية .

الادوات منبع التفكير والتعبير :

ان اول اداة للتعبير اخترعها الانسان هي الالة مثل الحجرة والعصا وهذه الادوات ، ان هي الا افعال مجسمة، فالمول شيء مشترك بين الانسان والحيوان : يقلع الشامبانزي غصنا من الشجرة ليستعمله كما يستعمل الانسان العصا ، لكن الفرق هنا هو ان القرد يستعمل آلته في الحالة الحاضرة ، في حين ان الانسان يخلق بينه وبين الالة صلات : يملكها فيقول : هي لي ، هي لك ، هي لنا ، فيذخرها ، ثم ينقحها ويطورها ، ومن هنا يكسبها معاني جديدة ، وكرد فعل لذلك ، تكسبه هي بدورها ، كلمات جديدة (افعالا واسماء) فهناك اذن ، دياليكتيك للتطور الانساني في علاقاته بالادوات : يؤثر بها ثم فيها ، وهي بدورها تؤثر فيه ، فالانسان يتطور بقدر ما يطور ادوات العمل ، (ادوات الانتقال غيرت نظرتنا في المسافات ، هذه السرعة التي اكتسبتها الالات قربت منا كل اصناف المعرفة ، في اي بقعة من بقاع الدنيا كانت (الصحف والاذاعة والتلفزيون والسينما والطباعة) .

نعم ، يمتاز الانسان عن الحيوان في علاقاته بالالات كونه يستعملها، وقد استعملها امس ويستعملها الان ، ويحتفظ بها لما بعد .

وبمجرد ما اصبحت الآلة مصاحبة للانسان ، اي متصلة بالتاريخ ، تكونت حولها عادات جماعية : نعني اعرافا تقنية تتوارثها الاجيال (صنع الآلة وكيفية استعمالها واصلاحها) والاستعمال مجموعة عمليات تنشا عنها نتائج يرجوها العامل لفائدته مباشرة، او للمبادلة ، **اي الآلة اول واسطة بين الانسان والعالم ،** **بين الانسان والمجتمع .** فاللغة لا تنتعش ، اذن الا في البيئات الفنية بالآلات ، بالاشياء المصنوعة والمكتشفة، لان كل لغة ، انما هي ادوات حضرية . ان الجد الاول للانسان قد استعمل العصا في الصيد وقلد صوت الحيوان ، ثم تلفظ بمسميات للعصا ، وللصيد ، وللصوت ، وللطير . فالحياة تدور حول اشباع الحاجيات ، هذا الاشباع يدفع الى العمل ، والعمل الى اكتشاف الالات او الى صنعها ثم ترقيتها .

هكذا تكثر الاتصالات المجتمعية حول اعمال مشتركة ، فتتجلى مختلف التعابير من علامات ، واشارات ، ولغات ، ورموز (ويكون ظهور ذلك على الترتيب السابق) .

* * *

من هذا التحليل نصل الى اصل المعرفة ، واصل الاحداث التاريخية ، واصل المجتمع الانساني ، وبالتالي هنا يبدا التفكير الفلسفي .

ان الفلسفة ، بطبيعة وظيفتها ، تشتغل بمعرفة الانسان والعالم وعلاقاتهما ، فهي تبحث فيهما، والبحث حديث ، والحديث نقاش كلامي .

* * *

ما هو الكلام ؟

الكلام بناء : الانسان هو الحيوان الذي يتكلم ، اي يصنع العالم بالالفاظ ، فتصبح كل لفظة اما مفتاحا لفهم او اداة مواصلة واتجاه ، واما تحديد لسلوك فردي او جماعي. فالكلمات كالاوراق النقدية والاسلحة او الخاتم السحري في يد الانسان : يكفيه ان ينطق ليحدث شيئا في شعوره ورد فعل في شعور الآخرين، ومن هذا التجاوب الشعوري ينتج صدى يحرك الطبيعة الخارجية ، فالكلام خلاق : ان الكلمة الواحدة تحدث احيانا فسادا واحيانا اصلاحا ، واذا لم يتسبب عنها شيء محسوس عند المتكلم ، ربما حصل ذلك عند المستمعين ، او عند متكلم آخر ، مرة اخرى ، فالكلمة كالدرهم الذي يحتفظ بقيمته التداولية ، سواء انتقل الى بائع الى مشتري او لم ينتقل : (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة . . .) .

فالبحث في الكلمات ، من حيث تركيبها المادي ومدلولاتها المحسوسة وآثارها النفسانية ، يلتقي في ميدان واحد مع كل بحث يدور حول الانسان وحول المعرفة ، ومن هنا كان التامل في اللغة فلسفة وعلما ، وبما ان اللغة حركات وعلامات واشارات ورموز ، اتخذتها الفلسفة واتخذها العلم اداة للتعبير .

* * *

هكذا ، نرى أن اللغة ، في نفس الوقت ، **مادة للبحث واداة له** ، اذ انها تامل ينعكس على ذاته ، ومن هنا جاءت صعوبة الحديث عن اللغة ، وضرورة هذا الحديث جاءت تشمل جوانبه ، رغم وحدة مراميه .

اللغة ليست شيئا خاصا بفرد ، بل ملكا مشتركا انه (بين) : بين المرء وشعوره ، بين الشعور كحالات واحساسات ، وبين ابرازها كأحداث ، بين المعنويات والماديات ، بين الـ (انا) والآخرين ، بين الانسان والعالم .. اللغة هي الواسطة العظمى والصغرى ، في الغياب وفي الحضور ، فيما كان وفيما هو كائن وفيما سيكون . اللغة تعبير الـ (انا) ونداء للآخرين، اي دعوة ودعاء ، فالمرء يعطي (كلمة الشرف) اي ان الكلام يلزمه امام نفسه وامام المجتمع ، يقيد سلوكه ويفرض عليه مسؤولية ، ورجل (لا كلمة له) رجل ينقصه الضمير ، نعني ان انسانيته غير كاملة ، **فالكلام يرتفع من حركة التعبير الى مستوى العناصر الانطولوجية** ، ربما استطعنا ان نقول : الانسان **جسم ، وروح ، ولغة .**

* * *

نرتفع الآن الى مستوى آخر ، هو مستوى الاخلاق : فالانسان يتدرج من كائن (متكلم) الى كائن (له كلمة) ، (يفي بالعهد) ، و (بالكلمة) ، وقولنا (الكلمة دين عليه) معناه ان الطابع الشخصي للسلوك الفردي ، من الناحية الاخلاقية ، هو المحافظة على (الكلمة) في حين ان الخيانة والغدر في عدم المحافظة على (الكلمة) ، و (ذو الكلمة) هو ايضا ذو (السلطة) ما دامت الكلمة قوة تخول صاحبها ان يتصرف في الكائنات : (ان من البيان لسحرا) .

يعرف السفسطائي غورغياس ان الكلام قوة بفضلها تقع التحولات : فالذي يستطيع ان يقنع ، بكلام مبين ، لا محالة واصل الى رتبة الكمال ، والقوة الاقناعية فطرية عند الخطيب الموهوب ، بها يستطيع ان يخرج اخراجا قويما ما في الكلمات من سحر . الفيلسوف اليوناني يرى أن الحقيقة مرادفة لقوة التعبير ، كما ان الحكمة في البيان ، فعلى هذا ان انسانيتنا تكتمل بفضل قوتنا على التعبير ما دامت قوة الافصاح ، البيان ، تكسب المرأ قدرة يتدرج بها نحو الكمال (*) .

* * *

المسافة بين المعنى والتعبير :

لنتساءل الآن : هل التعبير اللفظي يعوق التفاهم ام لا ؟ فمثلا : احساسي شيء خاص بي ، فاذا عبرت عنه كما يعبر الجميع لن افي بخاصياته ، واذا اخترت عبارات مختلفة مخالفة للمعهود ، ضاع ما اتوخاه من افهام غيري مشاعري .

هنا يتدخل الفن (الصور الشعرية ، والاستعارات، والنثر الفني) فتتكون الى جانب اللغة العامة تعابير خاصة ، ويحصل بين المجموع تكامل يثري اللغة ، وطبعا يشعبها ، ان الفن نفسه الشعري والنثري لا يكفي للتغلب على ما يبعد الشقة بين المفهوم والتعابير عنها ، فالعبارات ، دائما ، دون المعبر عنه ، لان التعبير اداة غير لاصقة بماهية الشيء ، فلابد من تكثير الاصطلاحات وتحسين الفنون الكلامية ، في تعاون مسترسل مباشر مع الفنون الاخرى (الموسيقى، مثلا ، في الشعر ..) ومن هنا تظهر لنا أهمية الشعراء والكتاب في رقي اللغات . نقصد برقي مسايرة اللغة لنضج الوعي الانساني ، فالانسان كائن حي يمشي دائما الى الامام ، ومشيه يتكيف في اشغاله اليومية المتعاقبة ، لا يعرف الوقوف عن السير : كل يوم هو في مرحلة ، ولابد لكل مرحلة من تعابير جديدة والا اختلطت المراحل ، فتشابهت النتائج ، مما يرغم الركب على الوقوف ، وان انقطاع الشعوب عن السير موت لها

* غورجياس على صواب فيما ابرزه من سلطان للكلام المبين ، لكنه قد اخطأ عند ما حاول ان يستنتج من ذلك اقرار (نسبية الحقيقة) بمعنى ان الحقيقة تتكيف مع الصيغ التعبيرية : فالذي يحسن صياغة الكلام يمكنه ان يغير المعتقدات والمشاعر ...

الخلاصـة :

نستنتج ، مما سبق ، ان تاريخ اللغة ، في تقلباتها، ليس الا انعكاسا لتاريخ الامة ، **فلا امة بدون لغة** ولا حياة لاية لغة يحجر على مستهلكيها ان يجتهدوا ويبدعوا فيها ، انه من الجنون ومن العقوق للغتنا العربية ان نؤمن بتقليد تعابير المعلقات . كانت لغة الجاهلية لغة راقية ، بالنسبة لعصرها ، لكنها اصبحت لغة الجمود بالنسبة لنا ، لان افقها الحضاري العام ضيق (اطلال بكاء ، فخر ، رثاء ، هجو ، انها لغة فقيرة من المفاهيم المعنوية العليا ، فليست كثرة المفردات المادية (حصان ، اسد ، سيف ..) الا دليلا آخر على هذا الجمود وهذا الفقر ، اما لغة القرآن ، فلغة التقدمية لغة الوثبة الى الامام ، لما فيها من تراكيب ومفردات جديدة ولكثرة القصص والصور والرموز ، لقد هيأت الجو للثقافة الثورية التي عرفها الاسلام على عهد المعتزلة والعباسيين ، في عصر المامون الذهبي ، ثم اتت لغة المقامات وشعر المناسبات ، فوقفت اللغة العربية عن السير ، وضيق عليها الخناق اللغويون والنحويون فاغلقت امامها الطرق ، وامست لغة الانحطاط ، ثم بدات النهضة الاخيرة بفضل انبثاق الوعي العربي الجديد ، والاحتكاك بالغرب ، فاخذنا نعرب ونهدم الاوثان الموروثة ، مقتدين بما فعله العباسيون ببغداد ، والامويون بالاندلس ، وقد صح منهم العزم على التجديد فوفقوا .

ان النهضة العربية قد دخلت اليوم مرحلة حاسمة من معركتها المباركة ، فارادتنا قوية مثل ارادة الاجداد المجددين ، وحبنا للغة والثقافة العربيتين وتعلقنا بهما لا يقلان عن حبهم وتعلقهم .

فلنسر موفقين .

الرباط ـ محمد عزيز الحبابي
عميد كلية الاداب





(✻) من طرائف اللغة العربية التي تفردت بها عن غيرها من اللغات هذا النوع من الاسماء الذي يسمى علم (✻) الجنس ، وهو معرفة لفظاومعنى لانه ضرب من العلم لا ريب فيه ، واخطا من عده من قبيل النكرة وجعله كاسم الجنس فى المعنى وان كانت تجري عليه احكام المعرفة .. وقد استاثر هذا النوع من الاسماء بانتباه النحاة ، فتحدث عنه سيبويه فى الكتاب بقوله : « هذا باب من المعرفة يكون فيه الاسم الخاص شائعا فى الامة ليس واحد منها اولى به من الآخر ، ولا يتوهم به واحد دون آخر له اسم غيره ، نحو قولك للاسد ابو الحارث واسامة وللثعلب ثعالة وابو الحصين وسمسم الـخ . »

واشار له ابو القاسم الزجاجي فى الجمل بهذه العبارة : « ومن المعارف ما يكون تعريفه بالجنس نحو قولك سام ابرص وابن فترة لضرب من الحياة وابن آوى وما اشبه ذلك . فاما ابن لبون فنكرة ، واذا اردت تعريفه ادخلت عليه الالف واللام فقلت ابن اللبون . قال جرير :

وابن اللبون اذا ما لز فى قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس »

وتطرق اليه الزمخشري فى المفصل بعد أن تكلم على اسماء الاعلام التي اطلقت على ما يتخذ ويولف من الخيل والابل والغنم والكلاب وغير ذلك فقال : « فصل وما لا يتخذ ولا يولف فيحتاج الى تمييز بين افراده كالطير والوحوش واحناش الارض وغير ذلك ، فان العلم فيه للجنس باسره ، ليس بعضه اولى به من بعض . فاذا قلت ابو براقش وابن داية واسامة وثعالة وابن قترة وبنت طبق ، فكانك قلت الضرب الذي من شانه كيت وكيت »

أصل الوضع

وهذه التفرقة التي المع اليها الزمخشري بين ما يتخذ ويولف من الحيوان فيطلق عليه علم شخصي وما لا يتخذ ولا يولف فيقتصر فيه على علم الجنس هي مما يدخل فى تحديد معناه ، وكانها هي اصل وضعه ثم توسع فيه فاطلق حتى على ما يتخذ ويولف من حيوان وغيره . واصلها لسيبويه فانه قال فى الباب المذكور : « وانما منع الاسد وما اشبهه أن يكون له اسم معناه معنى زيد ، ان الاسد وما اشبهها ليست باشياء ثابتة مقيمة مع الناس فيحتاجوا الى اسماء يعرفون بها بعضها من بعض ، ولا تحفظ حلاها كحفظ ما يثبت مع الناس ويقتنونه ويتخذونه . الا تراهم قد اختصوا الخيل والابل والغنم والكلاب وما ثبت معهم واتخذوه باسماء كزيد وعمرو ؟ »

عبقرية

وعلى كل حال فهل تكون هذه محاولة من العرب فى ماضيهم السحيق للخروج بلغتهم من نطاق اللغة الساذجة التي لا تعبر الا عن المدلولات الحسية والخارجية الى مجال اللغة العلمية التي تعني بتحديد المعاني والحقائق الذهنية ، اذ كان ذلك هو ملحظهم الاول فى وضع علم الجنس ؟ ان هذا اذا صح يكون من اعظم الادلة على عبقرية الفكر العربي حتى فى عصر الجاهلية .

✻) القى هذا البحث فى المؤتمر التاسع والعشرين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

✻) بعين ولام مفتوحين .

تعريفــــات وشـــــروح

ومما يلاحظ انه بعد تخطي عتبة القرن السادس بدا النحاة يتعثرون بالتعريفات المنطقية المعقدة التـــي يضعونها لعلم الجنس ، وانتهى امر تلك الحدود البسيطة التي تعتمد على الاحكام اللفظية والخواص التقريبية . فابن مالك وان قال في الالفية :

ووضعــــوا لبعض الاجنـــاس علـــم
كعلـم الأشخــاص لفظـا وهـو عـــم

فلم يخرج في الظاهر عما قاله النحاة قبله من انه علم موضوع للجنس وهو كعلـم الشخص في اللفظ ، تجري عليه احكامه وان فارقه معنى ؛ في كون دلالتــــه عامة بموجب وضعه للجنس ، الا انه عاد فوضح مذهبه هذا في شرح التسهيل بقوله : « ان اسامة ونحوه نكرة معنى ؛ ومعرفة لفظا وانه في الشياع كأسد » ، وقـد وافقه على ذلك الرضي وغيره . وعليه يكـون علــم الجنس مرادفا لاسم الجنس النكرة في المعنى ، فلا فرق بين اسامة واسد الا في الاحكام اللفظية ، فاطلاق اسم العلم عليه حينئذ تجوز .

ولكن المرادي رد ذلك بان تفرقـة الواضـع بين اسامة واسد في الاحكام اللفظية ، تؤذن بفرق من جهة المعنى . ومما قيل في ذلك ان اسدا وضع ليـدل على شخص معين ، وذلك لا يمتنع ان يوجد منه اشكـال ؛ فوضع على الشياع في جملتهـا . ووضـع اسامـة لا بالنظر الى شخص بل الى معنى الاسدية المعقولة التي لا يمكن ان توجد خارج الذهن ولا يمكن ان يوجد منها اثنان اصلا في الذهن . ثم صار اسامة يقع على الاشخاص لوجود ما هو ذلك المعنى الكلي في الاشخاص »

قال : « والتحقيق في ذلك ان تقول اسم الجنس هو الموضوع للحقيقة الذهنية من حيث هي هي . فاسد موضوع للحقيقة من غير اعتبار قيد معها اصلا ، وعلم الجنس كأسامة موضوع للحقيقة باعتبار حضورهــــا الذهني الذي هو نوع تشخص لها مع قطع النظر عـن افرادها . ونظيرها المعرف باللام التي للحقيقة . » ثم قال : « وفي كلام سيبويه ايماء الى هذا الفرق ؛ فانـه قال في ترجمة هذا : باب من المعرفة يكون الاسم الخاص فيه شائعا في امته ليس واحدا منها باولى من الآخـر ، نصه : ، واذا قلت : هذا ، ابو الحارث ، فانت تريد هذا الاسد : اي هذا الذي سمعت باسمه ، او هذا الـذي عرفت اشباهه ، ولا تريد ان تشير الى شيء قد عرفه بعينه قبل ذلك كمعرفته زيدا ، ولكنه اراد هذا الذي كل واحد من امته له هذا الاسم) انتهـى . فجعلـه بمنزلة المعرف بالألف واللام التي للحقيقة »

زيـــــادة بيــــــان

وبهذا يعلم أن علم الجنس هو من قبيل اســـم الجنس المعرف بلام الحقيقة لا من قبيل اسم الجنس النكرة . فاسد الموضوع لفرد غير معيــن مـن افـراد الجنس هو غير الاسد المعرف باللام ، ان هذا يشير الى الحقيقة ، اي الاسدية كما يشير اليها اسامة ، غايـــة الامر ان هذه الحقيقة تستفـاد في علـم الجنـس مـن جوهره وفي مصحوب ال منها ، فاذا قلنا اسامة اجرا من ثعالة ، فكاننا قلنا الاسد اجرا من الثعلب . فمن ايـن يتطرق اليه التنكير .

رجـوع الى الاصـــل

ولا نمعن في هذه الخلافات النظرية ، وهي طويلة عريضة . لاسيما وقد اصبحت عنايـة العـرب كلهـم موجهة الى تبسيط قواعد النحو وتجريده من مماحكات العلل واحكام المنطق . وقد قـام باستنكـار هــــذه المباحث نحاة سابقون ، كانوا لا يرون فيها الا خروجـا عن السذاجة الاصلية للنحو العربي ، وتنادوا بالرجوع به الى بساطته الاولى . ومن هؤلاء أبو حيان الـــذي علق على تحقيق المراد المتقدم بقوله : « انه راى بعض من يميل الى المعقول ، ويريد أن يجـري القواعـد على الاصول ، يروم به ان يوجد لأسامة ونحوه وجها يدخل به في المعارف ، وهو بعيد عما تقصده العرب » .

وسال الاستاذ عبد المهيمن الحضرمي ، وهو من شيوخ ابن خلدون الامام ابا عبد الله المقري : وهو من تلاميذه ايضا ـ ما الفرق بين اسم الجنـس وعلــم الجنس ؟ فقال له : زعم الخسر وشاهي انه ليـس في الديار المصرية من يعرفه غيره ، وانا اقول : ليس فـي الدنيا عالم الا وهو يعرفه غيره ، لانه حكم لفظي اوجب تقديره المحافظة على ضبط القوانين كعـدل عمـر عن عامر . فاستحسنه عبد المهيمن .

كتاب في علــم الجنـــس

ونظرا لهذه الاقوال المضطربة في علم الجنـس ، فقد الف فيه ابو جعفر بن خاتمة من علمـاء الاندلـس

كتابا نبيلا سماه الحاق العقلي بالحسي في الفرق بين الكلي والعلم الجنسي ، وهو يعني بالكلي اسم الجنس كانسان واسد وفرس . ولم نقف على هذا الكتاب وانما ذكره ابن غازي في حاشيته على الالفية ، وقال انه اجاد فيه ما شاء ونقل منه نقولا مفيدة ، ومن جملة ذلك قوله فيه : « يظهر لي ان هذا المعنى استأثر به اللسان العربي دون اللسان اليوناني ، لاتساع عباراته ولطائف اشاراته ، اذ لو كان في اللسان اليوناني لوجد في كتب المنطق المترجمة وتداولته مناطقة الاسلام في كتبهم ، كأبي نصر الفارابي ، وابي علي بن سينا والقاضي ابي الوليد بن رشد الحفيد وغيرهم » .

أحكـــــام

وقد علم ان علم الجنس يساوي علم الشخص في احكامه اللفظية ، وهذه الاحكام هي انه لا يضاف ولا يدخل عليه حرف التعريف ، ولا ينعت بالنكرة ، ويبتدأ به ، وتنصب النكرة بعده على الحال ويمنع من الصرف مع سبب آخر زائد على العلمية كالتانيث في اسامة ووزن الفعل في بنات اوبر وابن آوى وزيادة الالف والنون في كيسان علم على الغدر .. ومن احكامه الخاصة ان ما كان منه مبدوءا بابن كابن عرس وابن آوى وابن اوبر يحمل في الجمع على لفظ المؤنث فيقال بنات عرس وبنات آوى وبنات اوبر ، وكذلك في العدد فيقال ثلاث او اربع او خمس بدون تاء . وفي نوادر اليزيدي يقال ابناء آوى وبنات آوى بالوجهين .

تقسيمـــات

ينقسم علم الجنس :

اولا — باعتبار وضعه الى قسمين ، عربي ومولد كما ذكر ذلك ابن خاتمة في كتابه المشار اليه على ما نقله عنه ابن غازي . ولم نر من ذكر هذا التقسيم غيره . وبمقتضاه يكون علم الجنس غير مقصور على السماع . وهو خلاف ما يفهم من كلامهم وما صرح به بعض الشراح عند قول الالفية : (ووضعوا لبعض الاجناس علم) ، والامثلة التي مثل بها ابن خاتمة لهذا القسم هي ابو زياد للحمار ، وابو دغفل للفيل ، وابو المضاء للفرس ، وابو خداش للسنور ، وابو اليقظان للديك . قال : « وهذا النوع غير منحصر » وهذه العبارة ايضا من كلامه تفيد انه لا يختص بالسماع .

والملاحظ ان الامثلة التي اتى بها كلها مبدوءة بأب ، وانها لما يولف من الحيوان على خلاف الاصل في علم الجنس ، فهل المولد منه هو الذي من هذا القبيل ؟

ثم اننا نسجل ان ابا المضاء عندهم مما جاء قليلا اما يولف من الاجناس على خلاف الاصل ، فهل يكون ذلك هو الداعي الى الحكم بتوليده عند ابن خاتمة ، ويكون كل ما ضاهاه كذلك ولو لم يبتدىء بأب كهيان ابن بيان للمجهول ؟

ومصداقا لقول ابن خاتمة ان هذا النوع غير منحصر ، نجد في كتاب المزهر للسيوطي في النوع السادس والثلاثين وهو المخصوص بمعرفة الآباء والامهات والابناء والبنات والاخوة والاخوات والاذواء والذوات ، عددا كثيرا من هذه الاسماء التي تذكر في علم الجنس مبدواة بأب او ام او ابن او بنت ، ومن بينها امثلة ابن خاتمة ما عدا ابا اليقظان فانه اورد بدله ابا حماد ، وبعضها مما يلوح عليه اثر الاعرابية وبعضها الآخر مما يحمل طابع التوليد ، فهل كل هذه الاسماء مما يندرج في علم الجنس ، وما يكون منها لما يؤلف بعد من قبيل المولد ؟ .

ان هذه مباحث بحاجة الى التمحيص ، ولا احد اجدر بذلك من هذا المجمع ، وان اول ما نستفيده منها هو فتح هذا الباب ايضا في وجه العاملين على نمو اللغة العربية وتوسعها ومسايرتها لروح العصر في النهضة والتقـــدم .

ثانيا — وينقسم باعتبار مدلوله الى قسمين ايضا عند ابن خاتمة ، قسم خاص بالاعيان ، وقسم خاص بالمعاني ، وجعله غيره ثلاثة اقسام فاستخرج من قسم الاعيان قسما خاصا بما يؤلف منها وهو القسم الذي استبعده ابن خاتمة وجعله من قبيل المولـــد .

امثلـة مـن القسـم العينـي

ام غياث للسماء ، وذكاء ويوح بالمثناة ويوح بالموحدة وبراح للشمس ، وبنات نعش للنجوم الشمالية المعروفة ، وبنات بخر للسحاب ، وبنات مخر وبحر لسحائب تجيء قبل الصيف منتصبات رقـاق ، وام راشد للفارة ، وام الظباء للفلاة ، وام صبار للحرة ، وابن النعامة للطريق ، ومخاوض الثعلب وملاحس

البقر ؛ ووحش اصمت وبلد اصمت وعين دبار لا يعد الارض الذي يحار فيه السائر عن القصد ؛ وبنات اوبر لضرب من الكماة رديىء ؛ وهنيدة لمائة من الابل ؛ وبنات رباط للخيل ؛ وبنات صعدة للحمر الوحشية وام حلس وام الهنبر للأتان ؛ وام فروة للنعجة ؛ وأبو الحارث واسامة للاسد ؛ وذوالة وذالان بفتح الهمزة واسكانها ؛ وابو جعدة وابو جعادة للذئب ؛ وثعالة وابو الحصين وسمسم للثعلب ؛ وجيال والفاظ كثيرة للضبع ؛ وابن آوى وابن عرس لنوعين من السباع ؛ وابن مقرض لدويبة تقتل الحمام ؛ وسام ابرص وابو بريص للوزغ ؛ وحمار قبان لدويبة كثيرة الأرجل تتقبض عندما تلمس ؛ وبنات وردان لنوع من الحشرات يكون في البيوت ؛ وابو براقش لطائر فيه الوان يتلون ريشه في النهار عدة الوان ؛ وابو جعران لذكر الخنافس ؛ وابو جباب لدويبة صغيرة تضيء ليلا ؛ وام قشعم وشعوب للمنية ؛ وبنت المطر لدويبة حمراء تظهر غب المطر ؛ وشبوة وام عريط وام الريط باللام للعقرب ؛ وام العوام للسلحفاة ؛ وام حفصة وام جعفر للدجاجة ؛ وام مهدي للحمامة ؛ وابو المرقال وابن داية للغراب ؛ وطامر بن طامر للبرغوث ؛ وابو عذرها للمخترع للشيء ؛ وابن احذار للحذر ؛ وابن اقوال للمنطيق ؛ وابن البروك للذي تتزوج امه وهو كبير ؛ وابو ذبان للأبخر ؛ وابن غبراء للص ؛ وابو دراص وابو ليلى وابو الدغفاء للاحمق ؛ وهي بن بي وهيان بن بيان للمجهول الذي لايعرف ؛ وجابر وابن حبة ويقال جابر بن حبة للخبز الى غير ذلك .

ولا يخفى ان في هذه الامثلة كثيرا مما هو للمالوفات من الاناسي والحيوانات وقد ذكرها ابن خاتمة في قسم الاعيان من علم الجنس العربي ولم يستشعر اي فرق بينها وبين ما حكم عليه بانه مولد وهذا هو موطن الغرابة .

امثلة للقسم المعنوي

برة للمبرة ؛ وفجار للفجور ؛ ويسار لليسر ؛ وسبحان للتسبيح على ما فيه من خلاف . وكيسان للقدر ؛ ومنه سموا الضربة بالرجل على مؤخر الانسان بام كيسان ؛ وبنات غير للكذب وقيل للباطل ؛ وعاط بن باط للتخليط والكذب ؛ وابو عمرة وابو مالك للجوع ؛ وام ملدم بالدال والذال واسماء اخرى للحمى ؛ وام الربيق كزبير وبنت طبق والفاظ اخرى للداهية ؛ وام دفر والفاظ أخرى للدنيا ؛ وابنا سمير وابنا جمير لليل والنهار ؛ وابن ذكاء للصبح ؛ وابن جلا لاول النهار ؛ في قول ؛ وقينة بمعنى الحين بعد الحين وغدوةوبكرةوسحر اذا قصدت من يوم‌بعينه‌وقيل مطلقا في الاولين . والاعداد اذا قصدت معانيها مجردة من المعدودات نحو ثمانية ضعف أربعة والامثلة التي يوزن بها كقولك فعلان فعلى صفة لاتنصرف .

تعقيب

مما يلاحظ في هذه الاعلام ان صفة ما لوحظت فيها مع العلمية كحضاجر للضبع فيه معنى انتفاخ البطن ؛ وابن داية للغراب لوقوعه على داية البعير ونحو ذلك ؛ وقد ألمع الى ذلك سيبويه حين قال : « ومن ذلك ابن قترة وهو ضرب من الحيات فكانهم اذا قالوا هذا ابن قترة فقد قالوا : هذا الحية الذي من امره كذا وكذا » لخ .

ويلاحظ ايضا ان بعض هذه المسميات مما له اسم وكنية ؛ وبعضها ليس له الا احد الامرين ؛ وبعضها وهو غريب ليس له اسم جنس ؛ وانما يعرف بعلمه كحمار قبان وابن مقرض .

ومما يستشكل كون ذكاء ويوح وما اليها (علم جنس) للشمس ؛ فاذا كان معناه الحقيقة الذهنية فانها هنا واحدة في الذهن والخارج ؛ ولا افراد لها فيما تراه العين الا ما يقوله الفلكيون من أن هناك شموسا عديدة ؛ ولكن الواضع لم يقصد ذلك قطعا على أن اسم يوح وجدنا انه كان يطلق في غير العربية من اللغات السامية على الشمس ؛ ولا ندري اهو فيها معرفة ام نكرة ؟ واما ما كان فان الاستشكال قائم بالنسبة الى صفته في العربية وهي (العلمية الجنسية)، الا ان نقول ان الجنسية هنا معتبرة بالنظر الى الزمن وتنقلات الشمس في ابراجها .

والخلاصة ان علم الجنس موضوع طريف في اللغة العربية وهو يقتضي تضافر الجهود لتحقيق مباحثه ؛ وقد عرضت عليكم ما كتبته فيه لتمييز صوابه من خطاه ؛ والشكر لكم على جميل الانصات .

طنجة : عبد الله كنون

نظرات حول كتاب
صبح الأعشى للقلقشندي

للأستاذ: محمد بن عبد العزيز الدباغ

بعد انهيار الدولة العباسية ببغداد سنة 656هـ على يد هولاكو ، وبعد استيلاء التتار على معالم الثقافة العربية بالعراق ، تأسست دولة المماليك بمصر والشام وعمل ملوكها على نشر الثقافة الاسلامية والمحافظة على قوة اللغة العربية ، فأسسوا دولة المماليك بمصر والشام وعمل ملوكها على نشر الثقافة الاسلامية والمحافظة على قوة اللغة العربية، فاسسوا مدارس مختلفة ، وشجعوا الحركات العلمية، واكرموا الوافدين عليهم من جميع الاقطار ، وربطوا العلاقات بينهم وبين ملوك المغرب ، فكان كثير من العلماء ينتقلون من المغرب الى المشرق عاملين على اثبات الألفة بين عامة المسلمين .

ولقد ادت عناية المماليك بالعلم الى ازدهار ظهر اثره في المؤلفات التي خلدها التاريخ لرجال كان همهم نشر الثقافة الاسلامية ، والمحافظة على اللغة العربية، وكان يظهر على هاته المؤلفات طابع الموسوعية التي تعتبر علامة للنشاط الثقافي العام حينذاك ، ومن أهم هاته الكتب كتاب « صبح الاعشى في كتابة الانشا » ، لابي العباس احمد القلقشندي المصري ، المولود سنة 756 هـ والمتوفى سنة 821 هـ.

صبح الاعشى هذا كتاب يحتوي على اربعة عشر مجلدا تشتمل على ما يقرب من سبعة آلاف صفحة ، وهو كتاب رائع من الكتب التي لا يستغني عنها الاديب ، او المؤرخ، او عالم الدراسات الاجتماعية، أو المهتم بالنظم الادارية والانقلابات السياسية ، لانه كتاب حوى من كل فن طرفا ، مع سلاسة في الاسلوب، وروعة في التعبير ، وانسجام بين الموضوعات ، وسماه صاحبه بهاته التسمية لانه يعتبره نورا يهتدي به الكتاب الى معرفة صناعتهم ، ومرشدا لهم يقوون به ملكاتهم ، ويوسعون بمحتواه ثقافتهم ، ويصعدون بسببه مدارج الرقي .

فالاعشى في اللغة هو ذلك المصاب بمرض في عينيه يفقد بسببه الرؤية اذا انعدمت اشعة الشمس، فهو يرى نهارا ولا يبصر ليلا .

سبحان من قسم الحظو ظ فلا عتاب ولا ملامة
اعمى واعشى ثم ذو بصر وزرقاء اليمامة

ولا ريب ان الاعشى لا ينتظر للفرجة عنه وابعاد الظلمة عن عينيه غير الصباح ، فاذا كان هذا الكتاب بمثابة الصبح للاعشى ، فمعنى ذلك ان الكتاب لن يوفقوا في خطتهم الا اذا درسوه ، ولن يبدعوا في صناعتهم اذا لم يجعلوه رائدا ومنارا .

والمراد بكتابة الانشاء ، كتابة ديوانها ، وهو ديوان كان يتولى متقلده مهام جسيمة ترجع الى تنظيم المراسلات العامة ، سواء منها الصادرات والواردات ، والعمل على تنظيم البريد ، والاهتمام بشؤون الجواسيس والعيون . ولا ريب ان الاهتمام بمثل هذه الامور يتطلب من الكاتب ان يكون قوي الملاحظة ، حاد الذكاء ذا خبرة عامة ومرونة سياسية ، لانه الواسطة بين ملكه وبين باقي الملوك في الارض ، وقد يؤدي اهماله لواجبه او جهله بصناعته الى قيام حروب وخلق عداوات وحزازات ، فمن المعلوم ان الرسائل صورة لمرسليها ، وان لهجاتها تختلف باختلاف المرسل اليهم ، فهي تحتاج تارة الى المراوغة ، واحيانا الى الوضوح ، وآونة الى الشدة ، وتحتاج في بعض الظروف الى الاحتمال والتورية والتعريض ، فكان

من الواجب على الكاتب ان يتعلم صناعته ويسعى فى تكميلها ، ويستغل تجاربه الخاصة حتى يضفي عليها من ذلك قوة ويبعث فيها الحياة .

ولما كان القلقشندي من الذين برعوا فى كتابة الانشاء على حداثة سنه ، ورأى انها صنعة تحتاج الى تعهد وعناية ، ورأى ان المؤلفين الذين كتبوا فى تحليلها قد اختلفت مقاصدهم فى التصنيف ، وتباينت مواردهم فى الجمع والتأليف ، وان اهم الكتب التي الفت فيها كتاب « التعريف بالمصطلح الشريف » للقمر الشهابي احمد بن فضل الله العدوي العمري ، وكتاب (تثقيف التعريف) لابن ناظر الجيش ، ورأى أن هذين الكتابين لا يفيان بالمقصود رغم عناية مؤلفيهما بوضعهما ، دعته همته الى عدم الاكتفاء بهما ، والى العمل على تأليف كتاب يكون جامعا لمقاصدهما ، مع اتمام ما غفلا عنه ، ولم يشرع فى ذلك من أول وهلة، بل الف اول الامر مقامة تشتمل على جملة من صناعة الانشاء سماها (بالكواكب الدرية فى المناقب البدرية)* ووجهها لتقريظ المقر البدري صاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية آنذاك ، ثم عمد الى شرحها وتحليلها فكانت النتيجة ان قدم لنا كتاب (صبح الاعشى فى كتابة الانشاء) .

وكان يعتبر تأليفه لهذا الكتاب امرا ضروريا رغم ما الف من الكتب قبله فهو يقول : (*) : (وكيفما كان فالاقتصار على معرفة المصطلح قصور ، والاضراب عن تعرف أصول الصنعة ضعف همة وفتور ، والمقلد لا يوصف بالاجتهاد ، وشتان بين من يعرف الحكم عن دليل ومن جمد على التقليد .

ولم أر فى عيوب الناس شيئا
كنقص القادرين على التمام

وقد ثبت فى العقول أن البناء لا يقوم على غير أساس ، والفرع لا ينبت الا على أصل ، والثمر لا يجتنى من غير غراس .. فهو في هذا النص لا ينكر فضل المتقدمين ، ولكنه يرى أن الاقتصار على ما الفوه يعتبر تعطيلا للهمم وأماتة للقرائح ، وما الطف استدلاله ببيت المتنبي ذلك البيت الشعري الذي يعد بحق دستورا للطامحين والكادحين .

ولما الف كتابه سار فيه على منهاج خاص ، ووضع له تصميما حدد به الموضوعات التي سيهتم بدراستها وبناه على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة .

اما المقدمة فخصها لمبادىء يجب تقديمها قبل الخوض فى كتابة الانشاء (ج. 1 ص 35) .

واما المقالات ففصلها كما ياتي :

المقالة الاولى : فيما يحتاج اليه الكاتب من الامور العلمية والعملية (ج1 ص 140)

المقالة الثانية فى المسالك والممالك (ج 2 ص227)

المقالة الثالثة : فى ذكر امور تشترك فيها انواع المكاتبات والولايات وغيرهما من ذكر الاسماء والكنى، وكيفية تعيين صاحب ديوان الانشاء القصص والمربعات ونحوها على كتاب الانشاء ، ومقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الاقلام ، ومقادير البياض فى أول الدرج وحاشيته وبعد ما بين السطور فى الكتابات وبيان المستندات التي يصدر عنها ما يكتب من ديوان الانشاء وكتابة الملخصات وبيان الفواتح والخواتم (ج 5 ص 423) .

فهي مقالة تعلم الكاتب ما يحتاج اليه من النظم المتعلقة بالمكاتبات الادارية والمصطلحات الخاصة التي لا يستغنى عنها فى رسائله .

المقالة الرابعة : فى المكاتبات (ج 6 ص 274) .

المقالة الخامسة : فى الولايات (ج 9 ص 252)

المقالة السادسة : فى الوصايا الدينية والمسامحات والاطلاقات والطرخانيات (*) وتحويل السنين والتذاكر وذكر نسخ من ذلك (ج 13 ص 2)

---

* اقرا هذه المقالة بالجزء الرابع عشر من كتاب صبح الاعشى صفحة 112 طبع دار الكتب المصرية .

* صبح الاعشى الجزء الاول : ص : 8 .

* الطرخانيات : مكاتبات خاصة توجه الى اشخاص عجزوا عن مسايرة وظيفتهم لكبر سنهم فيخبرون بواسطتها ان عطايا الملك لا تزول عنهم رغم عجزهم .

المقالة السابعة : فى الاقطاعات والمقاطعات (ج 13 ص 104) .

المقالة الثامنة : فى الايمان (ج 13 ص 200)

المقالة التاسعة : فى عقود الصلح والفسوخ الواردة على ذلك (ج 13 ص 321) .

المقالة العاشرة : فى فنون من الكتابة يتداولها الكتاب ويتنافسون فى عملها ليس لها تعلق بكتابة الدواوين السلطانية ولا غيرها (ج 14 ص 110) .

واما الخاتمة : فذكر فيها امورا تتعلق بديوان الانشاء غير امور الكتابة ، كالكلام عن البريد ومطارات الحمام الرسائلي ، وابراجه ، والمناور ، والمحرقات (ج 14 ص 366) .

ومن آكد ما يجب التنبيه اليه ان المؤلف قد استطاع ان يحلل تصميمه تحليلا اظهر فيه قوته العلمية وثقافته العامة، وعمل جهد امكانه على اظهار الاتجاهات المختلفة فى النظم الاسلامية والتقاليد التي يسير عليها الملوك فى شتى الاقطار ، واكثر من النماذج المختلفة للرسائل حتى اذا حاول اي كاتب ان يقلدها استطاع ذلك ، وبين اسس البلاغة وكيف يجب على الكاتب استغلال القرءان والحديث والنصوص الادبية العامة من شعر ونثر فى مكاتباته .

ورغم اطلاعه كان يصرح أحيانا بعدم وصول علمه الى معرفة بعض الاشياء ، وبذلك سما فى عين قرائه وابعدوه عن الكذب والاختلاق ، حينما كان يتحدث عن مدينة قليوب بمصر (*) قال : (وموقعها فى الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة ولم يتحرر لي طولها وعرضها غير انها من القاهرة فى جهة الشمال على نحو فرسخ ونصف من القاهرة ، وحينما كان يتحدث عن ملوك الفرنج بالاندلس قال : (واما ملوك الفرنج به فعلي ترتيب سائر ممالك الفرنج مما هو غير معلوم لنا) (*) .

فهو بذلك يحاول ان يبعد نفسه عن الخوض فيما لا يعرف حتى لا يخلط على الناس معارفهم ولكن ، يجب ان نعلم ان الكتاب رغم حرصهم على سلامة ما يكتبون فقد يقعون فى بعض الاخطاء سهوا وغفلة ، وذلك مثل ما وقع لمؤلفنا حين تحدثه عن الدولة الادريسية بالمغرب ، فهو قد ذكر ان الادارسة يرجع نسبهم الى ادريس الاكبر بن حسن المثلث (*) ، بن حسن المثنى ، ابن الحسن السبط ، بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ، مع أن مؤسس الدولة هو ادريس بن عبد الله ابن حسن المثنى ، وليس يوجد من المؤرخين من ذكر ما سار عليه القلقشندي وانا على يقين بأن هذا الخطأ انما وقع عن غفلة فقط ، والا فاننا نرى المؤلف نفسه حين التحدث عن احد الملوك الذين توجهوا الى تلمسان من المغرب يقول عنه : (انه من عقب سليمان بن عبد الله اخي ادريس الاكبر الداخل الى المغرب بعده) (*) فهو قد صرح باسم عبد الله هنا .

واني لا اريد ان اودع القراء قبل أن اظهر لهم ان الكتاب قد اكثر فيه المؤلف من التقسيمات فهو يذكر ان هاته المقالة تحتوي مثلا على بابين ، وفى كل باب ثلاثة فصول او اربعة ، وفى كل فصل خمسة جمل ، وفى كل جملة أنواع ، وفى كل نوع مهايع وهكذا مما يصعب على القارىء حصره ، وقد وقع للمؤلف نفسه اضطراب حين تحليل اقسامه ، فكان يزيد احيانا عما وعد وينقص طورا مما ذكر فانه مثلا حينما كان يتحدث عن الحجاز ذكر ان لها ثلاث (*) قواعد ولكنه عند التحليل لم يذكر الا مكة والمدينة ، كما انه حين تحدثه عن مملكة توران (*) ذكر ما يدخل فى هذه

---

* الجزء الثالث من صبح الاعشى ، ص : 403 ومدينة قليوب هاته هي مركز عمالة القليوبية التي توجد بها « قلقشندة » المدينة التي ينتسب اليها مؤلفنا .
* الجزء الخامس من صبح الاعشى صفحة 272
* نفس الجزء : صفحة 180
* نفس الجزء : صفحة 183 .
* نفس المصدر الجزء الرابع صفحة 248 .
* توران كلمة ايرانية تطلق على البلاد الواقعة شمالي شرقي ايران ، اطلقت ايضا على بلاد الترك ومنها اشتقت كلمة « بانتورانيسم » وهو جماعة تركيا الفتاة الذين حاولوا توحيد عناصر الدولة و « تتريكها » فى بدء القرن العشرين .

المملكة من الاقاليم فقال انها سبعة (*) ولكنه عند التفصيل لم يذكر الا اربعة وهي ما وراء النهر وتركستان وطخارستان وبذخشان .

كما اننا رايناه حين التحدث عما يكتب فى متن العهود قال وفى ذلك ثلاثة (*) مذاهب ولكنه عند العد ذكر خمسة ، وقد يشير فى بعض الاحيان الى ان الشيء الفلاني قد ينقسم الى عدة اقسام ولكنه عند التحليل يقتصر على ذكر قسم واحد كما وقع له مثلا حينما كان يتحدث عن الوظائف الدينية بالديار المصرية فقسمها على طبقتين وقال : (الطبقة الاولى اصحاب التقاليد ممن يكتب له بالجناب العالي ، وتشتمل على عدة وظائف : الوظيفة الاولى : القضاء ولم يذكر غيرها (*) .

وانا ارى ان سبب هذا الاضطراب يرجع الى التحليل الذي يتعذر معه للكاتب ان يراجع من حين لآخر ما كتب ، وهذا هو السبب فى كون القلقشندي كان ياتي ببعض الروايات المختلفة لبعض الاشعار والامثال من غير ان يتنبه الى ذلك او ان ينبه عليه ، فهو مثلا ذكر مرة قول احد الشعراء فى هجاء كاتب هكذا (*) :

حمار فى الكتابة يدعيها
كدعوى آل حرب فى زياد

فدع عنك الكتابة لست منها
ولو غرقت ثيابك فى المداد

ولكنه ذكر مرة اخرى هذين البيتين برواية تختلف عنهما وباضافة بيت آخر فقال : (*)

دخيل فى الكتابة يدعيها
كدعوى آل حرب فى زياد

يشبه ثوبه للمحو فيه
اذا ابصرته ثوب الحداد

فدع عنك الكتابة لست منها
ولو لطخت وجهك بالمداد

وان غفلة المؤلف قد تسببت فى بعض الهفوات التي لا تخفى على الذين يدرسون هذا الكتاب مثل تعبيره بياء النسب مثلا فى موضع ذكر ياء النداء وذلك حين تحدثه عن المكاتبات وانواعها فقال: (ومنها ان تفتح المكاتبة بالخطاب ، اما مع حذف ياء النسب ، أو مع اثباتها) (*) . اما مع حذفها فكما كتب أبو المطرف المنى :

سيدي ومفخري ، وعصمتي ، ووزري ، وركني، وذخيرتي ، وعتادي ، ابقاك الله ناهجا سبل المكارم والمعالي . واما مع اثباتها فكما كتب ابو المطرف بن الدباغ الى بعض الادباء عند وروده الى بلاده :

يا مولاي وسيدي ، العظيم شانه وامره ، العالي صيته وذكره ، ومن ابقاه الله فى عز لا تنقصم عراه ، وحرز لا يستباح حماه .. الخ .

ومن تتبع دراسة الكتاب فسيجد فيه الكثير من هاته الاضطرابات ولكنها لا تؤثر فى وضعه لكونها لا تخفى عن القراء .

وبعد ، فاني قد قدمت صورة لهذا الكتاب ولم يبق علي الا ان اقدم فى حين آخر بعض محتوياته ، وبذلك ساحقق غاية طالما كنت ادعو اليها ، وهي وجوب تقريب هاته الكتب المطولة الى طلاب الادب ، وان لا ندعها فى اطار ضيق لا يتجاوز المختصين من الادباء.

ان العمل على شيوع الثقافة من اهم ما يجب أن يدعو اليه ادباء العرب اليوم ، لان لغتنا لا يمكن ان تحيا بمجرد الدعوة الى التجديد مع نسيان ما خلده العرب من قبل ، ولكنها فى حاجة ايضا الى الارتباط بما الف فى الماضي والعمل على الاستفادة منه .

ان كتب الادب القديمة تعتبر بحق كتبا ثقافية عامة لا تقتصر على دراسة الشعر والنثر ، ولكنها تعمل على تقريب كثير من الحقائق العلمية وتدرس كثيرا من النظريات الفلسفية ، وتتعرض لبعض المصطلحات العلمية وتسجل بعض الاحداث التاريخية، وتصور بعض مظاهر حضارتنا فما علينا الا ان نقربها للقراء فنوجد رابطة متينة بين الحاضر والماضي.

فالى اللقاء .

فاس ـ محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

* صبح الاعشى : الجزء الرابع صفحة 431 .
* صبح الاعشى : الجزء العاشر صفحة 8
* صبح الاعشى الجزء الحادي عشر صفحة 174
* صبح الاعشى : الجزء الاول صفحة 47
* صبح الاعشى : الجزء الثاني صفحة 473
* صبح الاعشى الجزء الثامن صفحة 154 .



- 2 -

3) **الاسلـــوب :**

يقابل الباحث فى الجزء الاول من البيان والتبيين عقبة كؤود اذا حـاول ان يستشف ملامح الاسلـوب الجاحظي ، وهذا العمران من ان « الجاحظ فى البيان والتبيين يكثر من الشواهد ويقلل من القواعد (※) » بيد أن هذا العائق الهام لا يحول دون التماس بعـض السمات ، وساستعيـد من استاذي الدكتور شوقـي ضيف تقسيمه لاسلوب الجاحظ لتطبقه على المؤلـف الـذي نحن بصـدد دراستـه (※) .

1 ــ **الواقعية :** وقد برزت فى خصائص ثلاث

ا ــ اهتمامه وامانته فى ذكر الحقائق سواء كانت له ام عليــه ، وسواء كانت ظاهرة ام مبتذلة .

ب ــ محاولته اختيار الالفـاظ التـي تناسب الموضـوع غلوا منه فى التمسك بالواقعية .

ج ــ قلة اكترائه بالتنميق والبديع الا ما جاء عفو الخاطـر .

ونجد الخاصيـة الاولى بادية فى البيان والتبييــن وان كانت مبتسرة مثل استشهاده بقول امراة عربية جفاها زوجهـا اذ ولدت بنتا رابعـة ، وكان اســم زوجها ابا حمـزة :

ما لابي حمزة لا يأتينـا … يظل فى البيت الذي يلينا
غضبان الا نلد البنينـا … تالله ما ذلـك فى ايدينـا
وانما نأخـذ ما اعطينـا … ونحن كالارض لزارعينـا
تنبت ما قد زرعوه فينا (※)

ويقول عن عدم ايراده خطباء العرب متسلسلين حسب العصور : « ولكنـي لما عجزت عـن تنظيمـه وتنضيده تكلفت ذكرهم فى الجملة (※) » ، فيقـر بتقصيره فى سماحة العلماء وتواضعهم .

اما الخاصية الثانية فقد اوردنا ما يكفي للتدليل على حث الجاحظ المستمر فى انتقاء الالفـاظ وقلة التكلف والبعـد عن الاستكراه والافتعال ، وقد ارتأى ان من يحيدون عن هذه الخاصية يتنكبـون سبيل البلاغـة والجـودة .

وتتجلى الخاصيـة الثالثة فى اقتصاد ابي عمرو فى الحديث وضآلة احتفاله بالمحسنات اللفظية وشتـى ضروب البديع ، وقد يكون من البداهة أن الخاصيـة الثانية والثالثة متداخلتان ، لان الذي يحرص علـى ذكر اللفظ الموائم للمعنى لا يتجاوزه الى أطناب هـو بالتبعيـة بعيد عن التزويق وتلون البديع .

2) **الاستطراد** : تعد هذه الظاهرة من اجلـي الظواهر فى الاسلوب الجاحظي ، والاستطراد الـذي

※ امراء البيان ص 428 .
※ الفن ومذاهبه فى النثر العربي .
※ البيان ص : 210 و 322
※ البيـان ص : 98 .

يعنينا هنا استطراد فى صلب الموضوع مثل قوله : « المعاني القائمة فى صدور الناس المتصورة فى اذهانهم والمتخلجة فى نفوسهم ، والمتصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة فى معنى معدومة ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة اخيه وشريكه ، ولا معنى شريكه والمعاون له على اموره ، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه الا بغيره (*) » . . وامثلة كثيرة اخرى نجد ابا عمرو فيها حائما حول معنى واحد يشبعه تقليبا وتلوينا ، وكثيرا ما افصح من انه يجنح الى هذا المنحى للترويح عن القارىء .

3 ـ التلوين الصوتي :

تكسب الاستطرادات اسلوب الجاحظ تداعيا فى المعاني يجعله سهلا رقراقا كما ان اختياره للالفاظ وتمرسه الطويل باللغة واساليب العرب وبراعته فى استعمال الجمل الواضحة اضفى على كتابته سهولة وموسيقى تطرب الاذن وتلمس شغاف الفؤاد ، ويزعم الدكتور طه حسين ان السهولة والانسجام الصوتي لم يكن خاصية فى اسلوب الجاحظ وحده : « فنحن عندما نقرا نثرا كنثر الجاحظ لا نحس عسرا فى فهمه بل نجد يسرا ومرونة ، وفوق هذه المرونة واليسر كسب النثر خصلة اخرى هي الموسيقى (*) » .

4 ـ التلوين العقلي :

فى الجزاين الثاني والثالث يتضح التلوين العقلي اكثر من الجزء الاول ولكن بعض الشواهد القليلة الموجودة تنهض نهوضا ما لتعزيز هذه الخاصية ، فمثلا الشاهد التالي وفيه تبدو عقلية الجاحظ المنظمة المحللة الخصبة ، يقول : « واذا سمعتموني اذكر العوام فاني لست اعني الفلاحين والحشوة والصناع والباعة ، ولست اعني الاكراد فى الجبال وسكان الجزائر فى البحار ، ولست اعني من الامم مثل الببر والطيلسان ومثل موقان وجيلان ومثل الزنج وامثال الزنج وانما الامم المذكورون من جميع الناس اربع : العرب والفرس والهند والروم ، والباقون همج واشباه الهمج ، واما العوام من اهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وديننا واخلاقنا فالطبقة التي عقولها واخلاقها فوق تلك الامم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا ، على ان الخاصة تتفاضل فى الطبقات ايضا (*) » .

ونجد امثل هذا التلوين فى مواضع اخرى مثل الحديث المفصل عن اللثغة وانواعها ، والدلالات وانواعها مثل العقد والاشارة والخط . . .

والجاحظ باسلوبه الرائع ذي الخصائص المنصوص عليها اثرى اللغة العربية بالكثير من التوليدات المبتكرة والجمل المحكمة الجزلة ، يقول الاستاذ توفيق الحكيم :

« والحق أن الجاحظ وقد مضى على وفاته اكثر من الف عام هو الاستاذ المباشر لاكثر رجال القلم فى الادب العربي المعاصر ، لانه رفع علم التجديد وعلم الكتاب ، وعرف ان الاسلوب اداة التعبير والتقويم عن النفس والفكر لاوشى من اللغو ، ولا بضاعة من زخرف يراد بها اللهو (*) » .

تعليق عام على الكتاب :

لا شك ان الخلط والتهويش الذي ينضح بهما الجزء الاول من البيان والتبيين يسترعيان الانتباه ويدفعان الى التساؤل والاستفهام ، ولكننا لا نقدر على نكران ان الجاحظ « جمع فيه طائفة من القواعد تعطينا فكرة طيبة عن تصور العرب للبيان فى القرن الثاني والنصف الاول من القرن الثالث ، ويمكننا على الاقل من رسم فكرة تقريبية عن نشأة البيان العربي وان لم تحدد تاريخ هذه النشأة (*) » ، لكن التساؤل عن هذا الاضطراب المنهجي يظل قائما لانه ليس اول كتاب الفه الجاحظ : « فالبيان والتبيين من اواخر حديث الجاحظ (*) » .

---

* من حديث الشعر والنثر ص 63 .
* البيان 160 .
* فن الادب 68 .
* بلاغة العرب وهو بحث بالفرنسية ص 5 .
* دائرة المعارف الاسلامية ج 6 ص 28 .

ولعل هذا الاضطراب يعزي الى ان الجاحظ لم يكتب الكتاب وانما املاه على احد الوراقين حين أصيب بالفالج ، والا فاي تبرير ممكن لهذا التكرار المتواتر للشواهد والتناقض فى بعضها مثل قصيدة سلمة بن حرشب فى قتال عبس وذبيان اذ اوردها ثانية منسوبة الى سلمة بن الحارث الايادي ؟ .

أما الحقيقة فهي ان الجاحظ فطن الى هذا الاضطراب وحاول الاعتذار عنه فى غير موضع ، يقول فى مطلع باب البيان : « وكان من الحق أن يكون هذا الباب فى اول الكتاب ولكنا اخرناه لبعض التدبير (※)» ويقول فى الرد على الشعوبية : « سنذكره فى الجزء الثاني كما سنذكر فيه كلام معاوية ويزيد وعبد المالك (※) اذن فالجاحظ كان واعيا باضطرابه فى المنهاج ، هذا الاضطراب الذي ربما كان عائدا الى عدم وضع خطة سابقة للتاليف ، اذ من العسير كل العسر ان نؤلف ولا مصادر تعيننا غير ما وعته الذاكرة وخباه الشعور .

ومن ابرز الاستنتاجات المستقاة من الكتاب ظاهرة « الشك » فاذا اورد حديثا نبويا على لسان ثابت بن قيس بن شماس قال : « واخذت هذا الحديث من رجل يصنع الكلام فانا اتهمه (※) » . واذا اخذ عن معاصر قال : رأيته او سمعته ، فان لم يتحقق من امر صدره بقوله: ظن فلان او زعم فلان .

لكن ظاهرة الشك لا تجعلنا نقلو غلو الاستاذ شفيق جبري الزاعم بان الفيلسوف الفرنسي ديكارت تاثر بالجاحظ فى وضعه لمنهاجه الرياضي (※) .

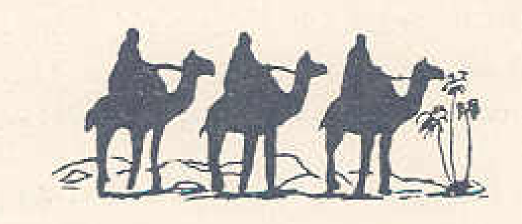
واذا كان الجاحظ متحمسا للعرب منتصرا لهم فهو لا ينسى ابناء جلدته فيقول : « انه ليس فى الارض كلام هو امتع ، ولا انفع ، ولا آنق ، ولا الذ فى الاستماع، ولا اشد اتصالا بالعقول السليمة ، ولا افتق للسان ، ولا اجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الاعراب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء (※) » .

• ونحن لا نستغرب لتاليف كتاب فى البيان لدى العرب وهم المشهورون بالفصاحة والطلاقة ، ولا نستغرب اذا لمسنا هذه الحماسة المتدفقة للعرب والدفاع عنهم اذا عرفنا ان الجاحظ الف كتابه للرد على الذين فتنوا بالخطابة اليونانية بعد ترجمة كتاب ارسطو عنها ، فالجاحظ بمؤلفه هذا انما يدافع عن نفسه وبني ارومته بان قومه اعظم شأنا وارقى لغة من غيرهم .

وللكتاب بعد هذا كله سجل حافل باخبار العرب واقوالهم ، وعاداتهم واوصافهم ، لذلك لا غرو اذا عد البيان والتبيين نبعا اصيلا ومرجعا هاما للادب العربي .

القنيطرة : ابراهيم السلمي

※ ※ ※ 100 و399 و 372 .
※ الجاحظ لشفيق جبري 211 .
※ البيان 171 .



نحو تحديد محتوى

ثقافتنا القومية

الحروف من الجديد

للأستاذ : محمد زنيبر

- 3 -

انطواء دام قرونا

ظل المغرب يعيش ، اذن ، على الانطلاقة الفكرية الاولى التي اتى بها الاسلام والثقافة العربية والتي كانت في عهدها الاول ثورة اصلاحية شاملة قامت على اسسها دولة حية ناهضة في هاته البلاد ، وظلت تلك الانطلاقة هي المحرك الوحيد لحياتنا العقلية الى اواخر القرن الماضي . ولم تستطع الاحداث مهما عظمت ان تحول اثناء تلك القرون الطوال الاتجاه الذي صارت فيه الثقافة المغربية منذ اليوم الاول ، بل ان الاحداث لم تزدها الا انطواء على نفسها وجمودا على مكاسبها وابتعادا عن مسالك التجدد والتطور .

ثم بدا المغرب في القرن الماضي يستيقظ من سباته الطويل وينظر حواليه فيجد نفسه دولة ضعيفة بين دول قوية ، دولة جاهلة بين دول عالمة ، دولة متفككة بين دول منظمة ، فاصبح يدرك نوعا ما حاجته الى ادخال تغييرات عميقة على اوضاعه وتنوع تفكيره اي بعبارة اوضح ، الى القيام بثورة شاملة تتجاوب مع الثورة التي سبقتها بازيد من اثنى عشر قرنا لانها ستعيد اليه عوامل الثقة بنفسه والاطمئنان على مستقبله وستحفزه للبناء والاصلاح والنهوض .

والواقع ان المغرب ظل يتردد ازيد من ثلاثة قرون قبل ان يعترف بهذه الحقيقة وينقاد لها . فمنذ القرن الخامس عشر اي منذ انهيار الدولة العربية بالاندلس وهو يستهدف لغارات الدول الاوروبية واطماعها ويلاقي من مكايدها وحروبها الشدائد والاهوال . وكان يدافع عن نفسه بكل ما لديه من وسائل وقوة تزيد حسب الظروف وحسب همة الحاكمين وحزمهم . ولكنه فكر خلال تلك المدة ان سبب ضعفه هو انطواءه على نفسه ورفضه لان يتتلمذ على تلك الدول الاروبية المغيرة فياخذ عنها العلوم والفنون والاساليب التقنية . لقد كان يربا بنفسه بعد ان ظل قرونا قبل ذلك يقوم مقام الاستاذ ان يصبح اليوم في مقعد التلميذ امام تلاميذه الاقدمين . وفي تاريخ الامم تقلبات من هذا النوع تكون عبرة لذوي الافكار .

والحق أن المغرب توفق الى حد ما الى المحافظة على كيانه واستقلاله ، رغم قوة المعتدين وتفوقهم عددا وعددا . وهذا ما جعله يعيش في جو من الغرور والاعتداد بنفسه . كما ان عقيدته التي تجمدت وفقدت معنى الحرية كانت تابى عليه ان يلج أبواب العلم والمعرفة من غير الابواب التي الف أن يلج منها وهي أبواب اصبحت ضيقة اشد ما يكون الضيق . اضف الى هذا ان الجهل الشامل الذي كانت تعيش فيه العامة دفع بها الى ان تتشبث بتقاليدها ومعتقداتها مهما ران عليها من خرافات واباطيل وان ترفض أي اقتباس من الاجنبي واي اقتداء به .

واذن ، كان رد الفعل الاول للمغرب امام تفوق الاروبيين هو مركب الاستعلاء والاحتقار . كان المغرب وهو القريب من اروبا يشاهد نهضتها عن كثب ويرى تقدمها في الصناعة والتجارة ويستورد منها البضائع والمصنوعات الغربية ، ولكن ذلك كله ما كان يوقد في نفسه اي غيرة او يدفعه الى أي منافسة أو يشعره باي نقصان وتخلف .

ولكن هذا الموقف الذي دام ثلاثة قرون ما كان ليستمر دون نهاية ، فقد جاءت احداث القرن التاسع عشر فبينت الحقائق لكل ذي عينين . فهذه الجزائر المسلمة العربية يحتلها الفرنسيون ويتوغلون في ترابها ويقضون على دولتها ويلحقونها مستعمرة ببلادهم . وهذه موقعة ايسلي التي ينهزم فيها الجيش المغربي على الحدود الجزائرية تنذر دولتنا بانها لم تعد قادرة بوسائلها العتيقة ، على منازلة الجيوش العصرية . وهذه اسبانيا تحتل في اواسط القرن الماضي مدينة تطوان وتهدد اقاليم الشمال المغربي بالاحتلال ، وهذه احداث اخرى تنشبت هنا وهناك وتضع الدولة المغربية امام صعوبات واهوال وتعرض استقلال البلاد للخطر وتجعل الراي العام المغربي في حيرة وذهول وخوف .

كانت هذه الحوادث المفزعة اول منبه للمغرب حيث بدا ينظر حواليه بشيء من الواقعية فيرى نفسه عاجزا ضعيفا . وحينئذ تحول عنده مركب الاستعلاء الى مركب نقص وخوف . وغدا المسؤولون على مصير البلاد يشعرون اخيرا بضرورة التعلم على اوربا والاقتباس منها . والواقع ان كل شيء في البلاد كان متوقفا على الاصلاح من الجيش الى المالية الى الادارة الداخلية الى التعليم .

ثم ان المغرب الذي ارتبط تاريخه منذ زمن بعيد بالعالم العربي والاسلامي ما كان ليبقى غافلا عما كان يجري آنذاك في بلاد الشرق . فلا شك ان الاخبار كانت تتسرب اليه عن طريق بعض الصحف والمطبوعات والمسافرين والحجاج عن بلاد الشرق وخاصة عن مصر التي قامت فيها نهضة واسعة منذ ايام محمد علي ، ولسنا ندري مدى الاثر الذي تركته تلك الاخبار في الراي العام المغربي ، فهذا موضوع لم يقبل عليه المؤرخون بعد بالدرس والتحقيق وكل ما نعرفه ان عددا من المغاربة من ذوي العلم والفهم مروا من مصر في تلك العهود . وليس من المستبعد ان تكون المبادرات التي قامت بها مصر في ميدان التجديد والاصلاح من المشجعات التي دفعت بالدولة المغربية في القرن الماضي الى التفكير في بعض الاصلاحات .

فهذه البعثات من الطلاب التي وجهها السلطان مولاي الحسن الى عدة اقطار اروبية قصد تكوين بعض الاطارات لصالح الدولة شبيهة بما فعله قبل ذلك محمد علي باشا في مصر . كما ان المحاولات التي قام بها هذا السلطان في سبيل تنظيم الجيش وتحصين البلاد وانشاء اسطول بحري وتنظيم المالية تشبه نوعا ما مشاريع القائد المصري في هذا الصدد ، وان كان محمد علي استطاع ان يذهب اشواطا في برنامجه ، بينما الاصلاحات المغربية لم تترك اثرا كبيرا بعد وفاة مولاي الحسن .

ومهما يكن ، فان الاحتكاك العنيف الذي وقع للمغرب مع اوربا اثناء القرن التاسع عشر دفع ببلادنا الى ان تفكر في النهوض من خمولها والخروج من عزلتها ومحاولة اصلاح اوضاعها وشؤونها . ونظرا لحالة التاخر التي كانت تعيش فيها بلادنا ، فان الوسائل العادية والعلاجات الجزئية لم تعد ذات جدوى لتحقيق النهضة المنشودة ، بل كان الامر يتوقف على ثورة جريئة شاملة .

ثورة تصطدم بحيرة

هذه الثورة كان يفرضها الوضع التاريخي للمغرب والواقع اليومي . كما كان يؤمن بها كل العقلاء من مغاربة واجانب : فقد اثبتت الاحداث ان الاساليب التي كانت تتمشى بها البلاد في سائر الميادين قد افلست . ولم تعد حياة اي دولة ممكنة معها في القرن التاسع عشر ، بله في القرن العشرين .

ولكن ، اذا كانت الظروف التاريخية ثورية من عدة وجوه ، فهل معنى هذا ان الثورة الفعلية ستكون وان فكرتها ستتجسم في الواقع ؟

لا ، فقد تظهر عوامل معاكسة تقاوم التيار الثوري وتحصره في حدود معينة دون ان تتغلب عليه. والثورة اشكال وانواع ، فهنالك الثورة العارمة العنيفة التي تقلب الاوضاع راسا على عقب على نحو ما حدث في فرنسا وروسيا . وهنالك الثورة السلمية المنظمة التي قد يتزعمها الحكام انفسهم كما وقع في مصر ايام محمد علي وفي اليابان . وهنالك الثورة الجزئية التي تتناول بعض المرافق التي هي في حاجة الى اصلاح . وهنالك الثورة التدريجية التي تتمشى حسب تصميم مدروس وخطة معينة .

ولكن المغرب وقف حائرا لا يستطيع ان ينهج احدى هذه السبل ، لقد اعترف في قرارة نفسه بعجزه

وفساد اوضاعه ، وادرك ضرورة الاصلاح الشامل العميق والتتلمذ على اروبا لبلوغ هذا الهدف . ولكنه عند الشروع فى العمل كان يقف مكتوف الايدي مترددا ثم يعود الى السكون والركود . لقد كان يخاف من هذا التجديد الضروري وما يتولد عنه من مغامرات ومفاجئات فيؤثر ان يبقى فى حالته المالوفة وفى سيره المعتاد مهما كانت العواقب .

ومع ذلك ، فقد كانت بعض جوانب هذه الثورة تتسرب الى المغرب وتفرض نفسها عليه فرضا . فقد كان من نتيجة الاتصال العنيف باروبا ان اصبحت البلاد مضطرة بين عشية وضحاها الى ان تقتبس بعض اساليب اروبا سواء فى تنظيم الادارة أو المالية او الجيش . وكانت هذه التغييرات تحدث فى ظروف الضرورة القاهرة . ولكن الاصلاحات الثورية ، فى الحقيقة ، هي التي يريدها الشعب ، لا التي تنتزعها الاحداث قسرا . فالثورة هي العمل الاصلاحي الشامل الذي تقدم عليه الامة بعزم وارادة ورضى منها . فالارادة الجماعية ، كما يبين التاريخ ، هي التي تلعب الدور الرئيسي فى كل ثورة . ومتى لم تتوفر تلك الارادة ، وتظهر فى المجتمع علامات الرغبة الاكيدة فى التغيير ، فان الثورة مهما كانت الظروف تدعو اليها تظل مكبوتة متعثرة ، وهذا ما حدث بالضبط فى المغرب .

ثورة ينقصها الاستعداد الفكري

وسيطول بنا الكلام لو حاولنا ان نشرح اسباب نكوص المغرب عن كل خطوة ثورية فى تلك الحقبة . فهنالك ، ولا شك ، عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ، وما دمنا نحصر موضوعنا فى الميدان الفكري والثقافي ، فلنجتزىء بذكر اهم الاسباب مما ينسجم مع موضوعنا .

ان السير قدما فى الخطوات الثورية المنشودة كان يقتضي استعدادا فكريا من الجمهور المغربي بمختلف طبقاته ، حاكمة وغير حاكمة ، كما كان يتطلب قدرا من التحرر العقلي والايمان بالمنطق وفهم مقتضيات التطور . فكل ثورة اصلاحية فى التاريخ كانت تسبقها حركة فكرية واسعة تنتقد الافكار السائدة والاوهام المقبولة والمعتقدات الجماعية الباطلة وتصحح نظر الرأي العام الى الاشياء وتفتح امام عقله آفاقا جديدة ورحيبة ، كما تقدم انواعا من الحلول للمشاكل الموضوعة وتبين علاج الادواء التي يشكو منها المجتمع ، فهي ذات جانبين ، سلبي وايجابي ، جانب هدم وجانب بناء . الهدم لبتر الفساد والبناء لتوسيع الاصلاح . وهذه الحركة الفكرية كثيرا ما تحمل فى طياتها مكسبين : الاول يتناول الثورة فى مجموعها وبسائر مظاهرها التاريخية من سياسية واقتصادية واجتماعية وتشريعية الخ .. والثاني يختص بالجانب العقلي والثقافي حيث يتحول الفكر العام الى طور جديد وتتغير الاذواق والاحاسيس ، مما يظهر اثره العميق فى الانتاج العلمي والفلسفي والادبي والفني .

هذا الاستعداد الفكري لم يكن موجودا آنذاك فى الجمهور المغربي ، حيث كانت العامة تنظر بعين الارتياب الى كل ما يقتبس عن اروبا ، كما ان الطبقة المتعلمة من شباب وشيوخ وطلبة واساتذة لم يكونوا مستعدين فكريا لفهم الاحداث وادراك مقتضيات التطور ، بل كانوا يخشون كل تجديد وما ينطوي وراءه من مجهول ويعتقدون ان مهمتهم هي الدفاع عن علمهم الموروث وصيانته من كل تأثير اجنبي وسد الابواب امام العلوم العصرية حتى لا تنافسه فى ميدانه . ولا ادل على ذلك من هذه الصفحة التي ننقلها عن احد العلماء النبهاء فى القرن الماضي وهو المؤرخ الشهير احمد بن خالد الناصري السلاوي . وناهيك به دراية وذكاء واطلاعا ، فهو يقول فى آخر كتابه الاستقصا فى معرض الحديث عن مخالطة الفرنج ما نصه :

واعلم ان احوال هذا الجيل الذي نحن فيه قد باينت احوال الجيل الذي قبله غاية التباين وانعكست عوائد الناس فيه غاية الانعكاس ، وانقلبت اطوار أهل التجارة وغيرها من الحرف فى جميع متصرفاتهم لا فى سككهم ولا فى اسعارهم ولا فى سائر نفقاتهم بحيث ضاقت وجوه الاسباب على الناس ، وصعبت عليهم سبل جلب الرزق والمعاش ، حتى لو نظرنا فى حال الجيل الذي قبلنا وحال الجيل الذي نحن فيه وقايسنا بينهما لوجدناهما كالمتضادين. والسبب الاعظم فى ذلك ملابسة الفرنج وغيرهم من اهل اروبا للناس وكثرة مخالطتهم لهم وانتشارهم فى الآفاق الاسلامية . فغلبت احوالهم وعوائدهم على عوائد الجيل وجذبته اليها جذبة قوية .

وانا احكي لك حكاية تعتبر بها وتستدل بها على ما وراءها وهي اني ذاكرت ذات يوم رجلا من اهل جيلنا في هذا المعنى فقال لي : ان لي راتبا سلطانيا اقبضه في كل شهر قدره ثلاثون اوقية قال : فكنت في حدود الستين ومائتين والف اقبض فيه عشر بسائط لان صرف البسيطة يومئذ ثلاث اواق ، فلما اخذت السكة في الارتفاع بعد الستين صرت اقبض فيه تسع بسائط وفلوسا . ثم بعد ذلك بسنة او سنتين صرت اقبض ثماني بسائط وفلوسا ، ثم سبع بسائط وفلوسا وهكذا الى ان صرت اليوم في اعوام التسعين اقبض في الثلاثين اوقية بسيطة واحدة وشيئا من الفلوس . اهـ. فانظر الى هذا التفاوت العظيم الذي حصل في الجيل في مدة ثلاثين سنة او نحوها . فقد زادت السكك والاسعار فيها كما ترى نحو تسعة اعشار . والعلة ما ذكرناه . ويكثر بكثرة الاختلاط والممازجة مع الفرنج ويقل بقلتها . والدليل على ذلك ان اهل المغرب اقل الامم اختلاطا بهم فهم ارخص الناس اسعارا وارفقهم معاشا وابعدهم زيا وعادة من هؤلاء الفرنج . وفي ذلك من سلامة دينهم ما لا يخفى . بخلاف مصر والشام وغيرهما من الامصار فانه يبلغنا عنهم ما تصم عنه الآذان فليتأمل هذا الذي ذكرناه وليعرف منه سر الله في خلقه .

« واعلم ايضا ان امر هؤلاء الفرنج في هذه السنين قد علا علوا منكرا وظهر ظهورا لا كفاء له واسرعت احواله في التقدم والزيادة اسراعا متضاعفا كتضاعف حبات القمح في بيوت الشطرنج حتى كاد يستحيل الى فساد ، وعلم عاقبة ذلك وغايته الى الله تعالى المنفرد بالغيب » .

فمؤرخنا الكبير لا يرى في مخالطة الفرنج الا النتائج الاولية وهي غلاء المعيشة . ولكنه ينسى ان المغرب سيجني من وراء تلك المخالطة فوائد حيوية وهي ترويج بضاعته في الخارج ومضاعفة مبادلاته وتنمية رأسماله الوطني . فهو يفضل ان يبقى الاقتصاد في شكله التقليدي العتيق على ان يتطور ويزاحم الاقتصاد الاجنبي . ثم انه رغما عن اعترافه بتقدم الدول الاروبية وتفوقها ، فهو يحمد للمغرب بعده في الزي والعادة عن الفرنج وينعي على بلاد الشرق انغمارها في مخالطتهم والاقتداء بهم . ولا يفكر مطلقا ان المغرب سيجني من وراء الاتصال باروبا علما بحضارتها واساليبها في شتى الميادين وانظمتها وسياخذ عنها علوما وفنونا ترفع من مستواه الفكري وتضاعف قواته المادية والمعنوية .

ومثل هذا الراي الذي نجده عند احد العلماء النابهين في وقته كان هو السائد لدى جمهرة المتعلمين في سائر انحاء المغرب . والواقع انه يمثل الاتجاه المعتدل بالنسبة لما كان يروج من افكار غريبة عند اصحاب الطرق في زواياهم ومجامعهم حيث كانوا يرون في كل اقتباس من الاروبيين بدعة وتشبها بالكفار ويشنعون على اصحابه ويرمونهم بالزندقة والالحاد .

اما سواد الشعب ، فقد كان هو ايضا مؤمنا بهذه الافكار تابعا لعلمائه ومشايخه ، غير متعظ بالاحداث ولا منتبه الى ما يخبئه المستقبل . وقد اظهرت العامة استياءها من كل اتصال باروبا وخاصة لما بدات اثمان البضائع ترتفع في أواسط القرن الماضي نتيجة لنمو المبادلات التجارية مع اروبا . وكان هذا الاستياء ، كما هو معلوم ، من الدوافع للحرب التي قامت بين المغرب واسبانيا ونتج عنها احتلال اسبانيا لتطوان ازيد من سنتين .

وقصارى القول ، ان الظروف الثورية التي دخل فيها المغرب منذ اواسط القرن الماضي لم تجد التجاوب الفعال مع الطبقات التي كان يتكون منها المجتمع المغربي ، سواء منها طبقة الموظفين او طبقة المتعلمين او الطبقات الشعبية على اختلافها .

* * *

بيد ان المد الثوري ، بالرغم من المقاومة الجماعية التي صادفها وبالرغم من الكبت الذي استهدف له في سائر الجهات ، ظل يعمل عمله في الخفاء وبصورة تلقائية . فقد توالت الاحداث بمفاجئاتها وتكاثرت الدلائل على ضرورة الخروج بالمغرب من جموده الفكري . ولم تزد المدنية الغربية الا تاثيرا على مجتمعه . وتضاعف تدخل الدول الاروبية في شؤونه واصبح نفوذها بارزا في اقتصاده وماله ، وانفتحت الابواب على مصراعيها للوافدين من الاروبيين عليه . ولم يبق للثورة الفكرية الا ان تنتظر الجيل الذي يحققها بنية وعزم .

سلا : محمد زنيبر

أدب المقاومة والتجمع في الأدب العربي الحديث

للأستاذ : أنور الجندي

ليس ادل على اصالة نظرية الوحدة العربية الشاملة من استجابة الادب العربي المعاصر كله فى فترة من الزمن لمقاومة النفوذ الاجنبي من البصرة على الخليج العربي الى الدار البيضاء على المحيط الاطلسي

وقد بدأ ذلك منذ عام 1830 عندما احتلت الجزائر ، وكانت قد سبقت ذلك محاولات لاحتلال مصر 1799 بواسطة الحملة الفرنسية (نابليون) ، و1807 بواسطة الحملة البريطانية (فريزر) ، ولم يمض بعد ذلك اكثر من ربع قرن حتى سقطت الجزائر فى قبضة الاستعمار الفرنسي وتوالت البلاد العربية ، ولم تلبث ان اسفرت الحرب العالمية الاولى عن خطة شاملة تم بها احتلال اجزاء المنطقة كلها ما عدا الحجاز واليمن ، وهنا بدات مقاومة كان للادب شعرا ونثرا وقصة ، وللصحافة وللكتاب اثرهما البعيد فى هذه المعركة .

قام الادب العربي فى هذه المرحلة الضخمة بدوره كاملا فهو فضلا عن انه استجاب للتطور وتمثل مختلف الالوان التي عاشها الادب العربي فى تاريخه الطويل ، قد ابتدع (الادب الوطني) الذي حمل لواء المقاومة للاستعمار والاستبداد وطغيان الحكام والامراء، ونادى بالتجمع والوحدة ، وكشف عن اصالة الامة العربية وقدرتها على المقاومة ، وكان هذا الادب نشيد الثورات المتوالية التي لم تتوقف فى خلال قرن وربع قرن . وكان الصوت المدوي الذي يهز القلوب ويدفع الجموع الى الاستشهاد والفداء .

وعندما نستعرض هذه الصورة لقرن وربع قرن من ادب المقاومة والتجمع نجد ان هناك عوامل موحدة تنتظم المنطقة كلها : ايمان بالحق الطبيعي فى الحرية ، اصرار على المقاومة ، صيحات عالية مدوية للتجمع ، قلوب تخفق وتتلاقى من انحاء الوطن العربي تستطيع بايمانها ان تقاوم كل حلقات الارهاب التي قام بها الاستعمار ، وحركات التغريب واساليب التمزيق ومؤامرات التضليل ، كان الشعر ينفث السحر ويهز القلوب ويدعم الروابط ، كانت الامة العربية تتنادى من المحيط الى الخليج وتتجاوب .

ولعل الادب العربي لم يتأثر بحدث كما تأثر بمأساة فلسطين وحرب التحرير الجزائرية ، فصور فى الاولى حقيقة الغدر الغربي وحمل صورة الحقد والثأر . وعبأ الشعور .

وكان مفتاح اليقظة التي شملت العرب ، والينبوع الذي تفجرت منه عواطف الكتاب والادباء ، ووحيا والهاما للشعراء ، وقد صور هذا الادب اكثر اثرين خلفتهما النكبة : وهما ضياع فلسطين والنازحين كما رسم صورة الشوق والحنين بذكر الوطن ، وابرز صورة « العودة » والايمان بها ، والاعداد لها .

وكان ادب معركة التحرير الجزائرية عنوانا على الايمان بحق الجزائر فى الحياة ، ودفاعا عن روحها وتصويرا لبطولتها القوية فى المقاومة والاستشهاد ، وهو ادب اشترك فيه كل قطر عربي وامتزجت فيه صورة فلسطين المضيعة، بالجزائر التي تصمد المقاومة والحرب وتقدم الشهداء والضحايا .

فاذا تساءلنا ماذا يمكن ان يعطينا هذا الادب فى خلال قرن وربع قرن من الزمان ، وجدنا انه يعطينا صورة عقل « الامة العربية » وعاطفتها فى ادق مرحلة من مراحل كفاحها وصراعها واثبات شخصيتها .

ذلك ان هذه الفترة منذ بدأ الاستعمار يغزو العالم العربي سنة 1830 حتى اليوم تمثل احدى الملاحم الضخمة التي خاضتها الامة العربية في مقاومة مطامع المغيرين الذين كانوا يتطلعون دائما الى هذه المنطقة ليضعوا ايديهم عليها .

وهي حلقة من حلقات الصراع بين العرب وخصومهم ، سبقتها ثلاث ملاحم ضخمة مع التتار والصليبيين والعثمانيين . ومن كل ملحمة من هذه الملاحم ، كانت الامة العربية تقاوم بكل قوتها معتزة بشخصيتها وتاريخها وموقعها وتراثها الثقافي ومكانتها الروحية .

ولقد كانت هذه الملحمة الرابعة (الاستعمار الغربي الحديث) من اضخم هذه الملاحم من غير شك ، نظرا لتضخم السلطان العسكري للغرب الذي اكتشف البخار ودخل دور الصناعة الحديثة باختراعاته وكشوفه وسلطانه المادي في الوقت الذي غفل فيه العرب عن القوة فاكتسحوا بالغدر والخيانة والمؤامرة.

وقد صور الادب هذه المؤامرة الضخمة وكشف عن طريق النثر والشعر والمقال والقصيدة والصحيفة والكتابة والخطابة ، عن عمليات الابادة التي قام بها الاستعمار في ليبيا والجزائر وفلسطين ، وكان القوة الدافقة التي تجمع الجموع وتدفع المجاهدين الى الصفوف الاولى .

تستطيع هذه الصورة ان تعطينا عددا من الحقائق التي تكشف عن جوهر الامة العربية ، فقد كان الادب (شعره ونثره) هو ديوان العرب ، وكانت اللغة العربية هي قوام هذه الرابطة الضخمة رابطة القومية العربية على العصور .

وقد حاول الاستعمار في تجربة ضخمة حشد لها كل قواه ، وجند كل امكانياته وعلمائه القضاء على هذه اللغة وابدالها باللهجات المحلية سعيا وراء جعلها لغات اقليمية ، ولكن دون جدوى ، فقد ذهبت جهوده ادراج الرياح ، وبقيت الامة العربية ملتفة حول سارية عالية لا سبيل الى تحطيمها ، وظلت (اللغة العربية) التي كانت قد ضعفت في أواخر العهد العثماني تنمو من جديد ، وتتجدد وتنصقل وتتطور على السنة الشعراء واقلام الكتاب ترسل الصيحات المدوية فتعبىء المشاعر وتحفز الهمم ، وكانت العربية شرارة الثورات المتوالية التي انفجرت في العالم العربي ، وتوالت وتتابعت ولم تتوقف ، وكانت زاد الشهداء الذين قدموا أرواحهم فداء للفكرة العربية .

وقد كان ابرز مظاهر الادب العربي الحديث في هذه الفترة : هذا اللون الوطني - ولا اقول السياسي - الذي اطلقنا عليه «ادب المقاومة والتجمع» فقد ساد هذا اللون وطغى ، واتسع نطاقه ، وكان ابرز الالوان واقواها واشدها اصالة وحملته الصحافة في الاغلب فكانت رسالته وحمله الكتاب ، ونقلت هذه الاثار من الاوطان المضيق عليها الى غيرها ممن كانت اكثر حرية ، بل انتقل الادباء انفسهم وهاجروا من مناطق الظلم ، ولم يقف امرهم عند هذا بل قدموا الضحايا من اهل العلم وسجناء ومهاجرين ومشردون.

ويمثل هذا الادب جانبا ضخما من اهم جوانب الادب العربي في قرن وربع قرن يكشف عن صدق الاحساس واصالة العاطفة ووضوح روح المحبة والاخوة والتلاقي .

وفي الوقت الذي كان الاستعمار فيه يضغط على الحدود المصطنعة او يدفع المذاهب التغريبية في محاولة للحياة ، ويوجه صنائعه من حكام الاقطار ليضاعف من قسوة التجزئة ، ويضع بذور الفتنة والشقاق بين قطر وقطر ، كانت قصيدة واحدة تحمل معنى الاخوة العربية والمقاومةوالتجمع كافية لان تجعل هذه السدود كلها تنهار ، وهذه الحصون كلها تتحطم ، فقد تهتز لها القلوب فتجري على الالسنة وتتناقلها الركبان ، فاذا اردنا ان نصور التيارات الفكرية التي كانت تضطرم في المنطقة فلا شك ان الدعوة الوهابية كانت منارا قويا للحركة الفكرية ، وكانت مقدمة لرسالة جمال الدين الافغاني وما تلاها من حركات فكرية حملت رسالة الادب والثقافة في المهدية السودانية ، والسنوسية الليبية ، وخير الدين التونسية ، والالوسية العراقية ، ودعوة الكواكبي في مصر وسوريا ، وابن باديس في الجزائر ودعوة محمد عبده في مصر وهي تمثل الدعوة الى الحرية والمقاومة للاستبداد الهادفة الى العودة الى المنابع الاولى للعقيدة .

وكان الشعر بالطبع ابرز من النثر أثرا فقد هاجم شعراء العراق والشام الاستبداد العثماني ، ثم اتجه الشعر الى مقاومة الاستعمار الفرنسي والبريطاني في مختلف انحاء الوطن العربي ، وقد كان الوجود

السياسي للعرب سبيله الادب كتابة وشعرا وخطابة ، فلم يكن العرب بمدافعين عن وجودهم الا باللغة العربية في مقالات وقصائد ومطبوعات اثارت نوازع الحمية العربية واطلقت الالسنة والاقلام .

وقد قاوم الشعر العربي مقاومة فعالة ودعا الى التجمع ، واضطر الشعراء الى ان يكتبوا سخط الحاكمين وعداوتهم ، ومن هؤلاء الزهادي والرصافي في العراق ؛ كما هاجر من اجل ذلك الكاظمي من العراق الى مصر ؛ وفي الشام فؤاد الخطيب وشفيق جبري ، واليازجي من قبل وشكيب ارسلان الذي اضطره الاستعمار الى الهجرة .

المعركة في المغرب العربي :

وقد ارتقت لغة الكتابة بعد التحرر من سلطان الاتراك واستهدف الادب العربي القومية العربية والوحدة الاسلامية ، وافاد الادب العربي من الاساليب الحديثة في الادبين الفرنسي والانجليزي .

وكان اعلان الدستور العثماني 1908 في العراق والشام والحجاز اعلانا لتطورالادب العربي من الاسلوب التقليدي الى دعوة الحرية ومهاجمة الاستبداد مع الحماسة وذكر البطولة والاشادة بالامجاد والدعوة الى النضال ، وكما انشا طاهر الجزائري المدارس العربية في الشام ، انشا عبد الحميد بن باديس المدارس العربية في الجزائر لمقاومة التيار الفرنسي الذي كان يحمل سموم التغريب .

وقد حمل الاستعمار معه مؤامرة التجنيس والتجزئة ، والفصل بين عنصري الامة ، العرب والبربر والادماج ، وحاول في كل وحدة من هذه المؤامرات ما سمته المحاولة .

فعل ذلك في تونس ومراكش والجزائر والشام ، وفعلت ذلك ايطاليا في ليبيا ، وانجلترا في مصر والسودان وفلسطين والعراق ، وقد رفض البربر الذين كانوا قد امتزجوا مع العرب هذا الاتجاه وتمسكوا بوحدتهم مع العرب ، وسقطت سياسة الادماج، بعد ان عجزت سياسة التجنيس ، وكانت سياسة التغريب اكثر فشلا .

وحاولت فرنسا احلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية ، فلما عجزت حاولت احلال الفكر الغربي المنحرف محل الفكر العربي ، ثم دعت الى بعث امة مغربية تقوم على فكرة الجنس البربري ثم حاولت تشويه رسالة الاسلام واتهمته بانه يتنافى مع العلم والترقي .

ثم عمدت الى القضاء على كل مقومات النهوض بالامة ، ولكن « الادب العربي » الذي حملته الصحافة كان اداة قوية للقضاء على هذه المؤامرات جميعا ، فقد تعالت الصيحات من كل انحاء الشمال الافريقي تقول: « نريد انسانيتنا لا انسانية الآخرين » واننا « لا نعتبر انفسنا احرارا الا اذا حررنا فكرنا من اللغة الاجنبية، وحررنا كلماتنا من الدلالات الاجنبية » .

وبالرغم من القيود التي فرضها الاستعمار الفرنسي على الثقافة ، فان الشمال الافريقي كله قد سبق الى توجيه الثقافة العربية عمليا عندما بعث بابنائه شطر الازهر في الوقت الذي قصر فيه المشرق على الالتقاء بالمغرب ، وقاومت جمعية العلماء في قسنطينة ووهران الثقافة الفرنسية مقاومة جبارة، وكان باديس والابراهيمي والعقبي وبيوضي اقوى عقبة وقفت في وجه مؤامرات التغريب .

ودليل ذلك ان فرنسا قاومت تعليم اللغة العربية في الجزائر 126 عاما مقاومة عنيفة ، لا يوجد الآن في الجزائر من يتكلم غير العربية اكثر من عشرة في المائة من العرب .

وقد اضطر مفكرو الغرب الى الاعتراف بفشلهم في القضاء على الوحدة بين اجزاء المغرب الثلاثة ، ولم تفلح كل الوسائل الفرنسية في تحويل اذواق الجزائريين عن اللون العربي الخالص .

وقامت الزوايا والكتاتيب باخطر مهمة في تاريخ اللغة العربية وهي حفظها من اللهجات ، وحاولت فرنسا ان تجعل من المثقفين الذين تعلموا في فرنسا عملاء لها ، وانصارا لثقافتها ولكنها فشلت ايضا ، فقد تكشف لهؤلاء انهيار القيم الانسانية في نظر الاستعمار الفرنسي فاندفعوا الى صفوف المجاهدين لمقاومة ثقافة فرنسا التي تطمع في (تغريب العرب) .

وكانت الصحافة في تونس والجزائر ومراكش (المغرب) وليبيا ، والصحف السورية أيضا عماد هذه المقاومة تحمل المقالة والشعر ، وبذلك افلتت الشخصية العربية من محاولة القضاء عليها بالرغم من جميع

وسائل القمع ، وباتت اهداف الادب العربي واضحة بانها الدعوة الى الوحدة الوطنية ، والتحرر من الافكار الاستعمارية .

وكما شارك الشعر العربي فى الجزائر وتونس ومراكش وليبيا فى معارك فلسطين ، شارك الشعر العربي فى الشام ومصر والعراق فى معارك الجزائر، ووقف الادب العربي كله وراء ثوار الجزائر يؤجج عواطفهم ورجع الى الامة العربية محمد ديب ، ومولود معمري ، ومولود فرعون من كتاب الجزائر الذين تاثروا بفرنسا فى أول الامر ، والذين ما زالوا يكتبون بالفرنسية . يقول محمد ديب : « نحن معشر الرجال فى جبالنا هذه يجب ان تقف البلاد باسرها وتبصق احتقارها فى وجوه الطغاة » ، وقد تاثر المغرب العربي كله بجمال الدين الافغاني والعروة الوثقى ، وكان قباد والزيتونة والصادقية والخلدونية فى تونس ادوات القوة الفكرية التى حملت دعوة المقاومة للتغريب والاستعمار كله .

وكان الثعالبي وعلي باش حمبة والبشير صفر صحفيين حملوا اقلاما مؤمنة صادقة دافعت عن الامجاد العربية ودعت الى المقاومة والتجمع .

وقد تاثر المفكرون فى اقطار الشمال الافريقي بالادب فى مصر وأثار جمال الدين الافغاني ومصطفى كامل والمويلحي وحافظ وشوقي ، وهبت فى وقت واحد محاولات لاحياء التاريخ العربي القومي ، وتجمعت الامة بعد ان تفرقت ودعمت كيانها القومي ثم تداخلت عناصرها فان ما حدث فى الجزائر حدث مثله فى تونس .

تجاوب المشرق مع المغرب :

ونشر الثعالبي مقالات وطنية نارية هاجم فيها فرنسا ــ وهو التونسي ــ فى صحف مصر وسوريا والعراق والحجاز والهند ، وكانت هذه المقالات تترجم الى الفرنسية وتنشر فى صحف تونس ، كما نشرت فى صحف مصر مقالات نارية وقصائد من العراق وسوريا فى مهاجمة الاستبداد العثماني ، وترابطت الافكار والاقطار فكان للرصافي شاعر العراق فى تونس مكان مرموق . وكان لشوقي فى الشام ولحافظ فى لبنان مكانة بارزة .

وتعد مسالة التجنيس من ابرز القضايا الفكرية فى تاريخها الطويل ، وكان للصحافة فى تونس اكبر اثر فى توسيع دائرة الحركة الفكرية ، وكان للجمعية الخلدونية اثرها فى التجاوب مع الشرق العربي فى جميع احداثه ومواقفه ، فقد احتفلت بشوقي وحافظ وعززت مواقف جهاد فلسطين ، وضرب دمشق بالقنابل واحداث مصر والعراق .

وكان قوام الادب العربي فى هذه المرحلة الايمان بالحياة والارض والحرية ، وابان الانتاج الفكري عن عمق الايمان بالوطن ، وبرزت معه صورة التطلع للمستقبل بروح الامل والتفاؤل ، وتاكيد الروابط بين اقطاره مع تاكيد الوحدة العربية الكبرى ، وكما ذهب شكيب ارسلان من لبنان فاقام فى جينيف ، ذهب الثعالبي من تونس الى مصر ، والبشير السعدادي من ليبيا الى دمشق ، وكانت مصر بالنسبة لليبيا مركزا لمقاومة الايطاليين .

وكانت من قبل بالنسبة لسوريا مقر الجمعيات السرية لمقاومة العثمانيين ، وقد تجاوبت مصر وسوريا وتونس وفلسطين ، وحملت صحافتها لواء الدفاع عن ليبيا وكشفت جرائم الاستعمار الايطالي؛ وفى الوقت الذي اوصد الاستعمار الايطالي ابواب ليبيا عن الكتب والصحف العربية كان الشباب الليبي نفسه يندفع ليربط نفسه بالفكر العربي مهاجرا ، وقد فرضت ليبيا تعلم اللغة الايطالية وقاومت اللغة العربية حتى انها اودعت السجن مجموعة من الشباب كانت تقرأ كتاب (العبرات) للمنفلوطي .

كما ان صحف الاستعمار اخذت تذيع الافكار المدمرة للعقل العربي ، فضلا عن انها اشعلت النيران فى المكتبات العربية الضخمة ، وساقت الجماهير لتشاهد واد ثقافتها ، ولكن هذا لم يطفىء جذوة النضال ضد المستعمر ، بل زادها اشتعالا ، ومن وراء سقوف الحرب كانت القصيدة العربية الليبية تهز المجاهدين وتدفعهم الى الاستشهاد . وساهم الشعر الليبي فى بث الوعي العربي ، ولم تشغله معركته الوطنية عن الدعوة للوحدة الكبرى .

واضاف المعهد (الجغبوبي) الى الازهر والزيتونة والقرويين مزيدا من طلاب الثقافة ، وفشلت محاولة ايطاليا فى سحق اللغة العربية وافنائها ، والغاء تراثها فى ليبيا ، ولم تستطع ثلاثون عاما من مقام اللغة

الايطالية فى ليبيا ان توهن من اللغة العربية او تضعف مكانتها .

وفى السودان ومصر جرت المحاولات لعزلهما ، ولكن الفكر العربي ارتبط بين مصر والسودان من ناحية وارتبط بين البربر والعرب فى السودان ، فاصبح من العسير ان تمزق قوة قد امتزجت ولقد لقي السودان من عنف الاستعمار البريطاني مثل ما لقيت مصر ، ولذلك قاوم فى ثورات متتالية ، وقد انبعثت فى انحاء السودان بعثات بيكر وغردوب وجي وكازاتي تعمل على استئصال جذور الوحدة، ومنع الامتزاج بالقوة ، مقاومة كل زعماء العرب السودانيين الذين يحملون اللغة العربية الى مختلف الانحاء وقد جرى قتلهم وطردهم الى منطقة البحيرات ، وتجمعت كل هذه الاضطهادات فى اطار ثورة ضخمة تحمل علم المقاومة العربية وتمثل رد فعل حقيقي عنيف ضد اعمال الابادة والتجزئة .

وكانت المهدية كالسنوسية معاصرتها والوهابية من قبل ، حركة سياسية فكرية تهدف الى المقاومة والتجمع حتى ان المهدي كان يطمع فى ان يفتدي (عرابي) المحكوم عليه بالنفي بفردون ، ولم تستطع الثقافة الانجليزية التي حاول الانجليز اقرارها القضاء على الثقافة العربية واللغة العربية بالذات ، واستطاع السودان ان يستوحي سلالاته وقبائله وماضيه وتراثه ، دون ان يؤثر ذلك فى روابطه العربية وتأكد ان العناصر البشرية فيه قد امتزجت الى درجة يستحيل معها الاحتفاظ بفكرة البقاء العنصري وكذلك حدث فى تونس وليبيا ومراكش والجزائر .

* * *

وساهم الادب السوداني بشعره ونثره فى احداث الامة العربية مساهمة فعالة وتجاوب مع الامة العربية ، وبدا فيه عمق الروابط بين مصر والسودان: وحدة الدين واللغة والمصالح المشتركة والمقاومة لكل اسباب الاستبداد الاحتلال .

وحمل الشعر السوداني كراهية الاستعمار الغربي واستمرار المقاومة وبروز العامل الوطني الذي التقت فيه الاجناس السودانية ، وفشلت مؤامرة القضاء على اللغة العربية فى السودان ، وفى الجزيرة العربية كانت المقاومة واضحة فى الادب اليمني وادب الخليج ، وكان للبترول اثره الاجتماعي والفكري البعيد المدى حيث بدات المجتمعات تأخذ صورة جديدة فى بناء مجموعات ضخمة من المباني مع ادخال مظاهر الحضارة الغربية وبعض مخترعاتها النافعة .

وفى اليمن ادب يحمل معنى المحافظة على الاستقلال والمقاومة لكل ما هو من شانه ان يؤثر فى الحرية ، وفى عمان والبحرين وقطر ادب يقطر دما ، ويصور البطولة والفداء .

وفى الحجاز ادب فيه الاحساس بالبكاء على المجد العربي القديم والدعوة الى اليقظة والاتجاه نحو المعالي .

وفى الكويت ادب فيه قلق فكري وتطلع الى الغد وفى لبنان ادب تمتزج فيه المدرسة اليازجية والجبرانية المنطلقة الشاعرية ، « والارض » هي اقوى ابطال القصة اللبنانية و « الهجرة » اهم موضوعاتها .

وفى سوريا ادب فيه ايمان عميق بالقومية العربية والوحدة ، وفيه تطلع الى الافاق البعيدة ، وابرز مظاهرة الايمان بالحرية والعروبة .

وقد قاوم الادب الشامي صراع اللغة التركية كما قاوم صراع الثقافة الفرنسية .

واصطبغ الادب العراقي بصبغة التمرد على الحياة، والضجر من الطبيعة ، والتأفف من الناس ، وكما وسم بالثورة وسم بالسخط .

وقد نافح الادب العراقي عن الحرية ، كما نافحت الصحافة العراقية وقدما ضحاياهم من كتاب وشعراء للسجن والقتل والتشريد .

وقد قاسى الادب العراقي كثيرا فقد كانت الصراحة فى الادب والتعبير تلقى جزاءها ثمنا غاليا فادحا من المطاردة والحرمان .

اما الادب العربي فى مصر فقد قاوم طغيان اسرة محمد علي وخديويها ، وكانت ثورة عرابي والاحتلال ودنشواي وثورة 1919 احداثا ضخمة تأثر بها الادب العربي . وقد شرد كتاب مصر ونفوا وسجنوا وقاسوا الارهاب .

وكانت كلمات جمال الدين الافغاني ، ومصطفى كامل ، وعبد الله نديم ، وعبد الرحمن الكواكبي وعبد العزيز شاويش تهز الشرق كله ، وقد هزت اشعار شوقي وحافظ والبارودي ضمير الامة العربية .

وقد هاجمت الامة العربية الاستعمار البريطاني والفرنسي والايطالي بصحافة مصر وكتابها ، وامتزجت عوامل الفكر والثقافة والادب بين مصر وسوريا ، وكان للسوريين اثر واضح فى صحافتها وادبها .

* * *

وهكذا صور الادب العربي معركة المقاومة والتجمع ، صور ادب فلسطين : ادب الدم والثأر ، وصور ادب المغاربة الاشداء ، وصور الجزيرة العربية بصحرائها ووهادها وجبالها ، وصور هجرة السوريين واللبنانيين من وجه الظلم والمجاعة والاضطهاد الى امريكا واقامتهم هناك يصنعون المجد والثروة . فكان ادبهم هناك ذو حنين ، وصيحة ايمان بالعروبة ، ودعوة الى التحرر ، وكان لمجزرة سطيف بالجزائر وميسلون بالشام ، ودنشواي بمصر رنين فى الادب .

وظهر الشعر الاجتماعي يدعو الى تحرير المرأة ويطالب بالعدالة الاجتماعية ، وبالرغم من ان الادب ظهر فى مصر وفى لبنان وفى السودان ، وفى اجزاء كثيرة من العالم العربي يحمل الدعوة الى الوطنية الضيقة ويفاخر بالامجاد الفرعونية او الفينيقية او غيرها ، فان ذلك قد اصبح على مرور الزمن ايمانا بان الادب الوطني قد يستمد من مجده الفرعي قوة على الدعوة للمجد العربي الاصيل .

وانه حين يمجد رقعته الضيقة انما ينظر اليها على انها جزء من الوطن العربي الكبير .

ولا شك ان عظمة لبنان هي عظمة للعرب ، وان شجاعة سوريا جزء من الشخصية العربية ، وان امتزاج الاجناس فى تونس ومراكش والسودان هي حقيقة قائمة وراء الايمان القوي بالامة العربية .

وكذلك لم يعرف الادب العربي فى هذه الفترة العزلة والانكماش ولم يعرف السلبية ، وانما امدته هجمات الاستعمار ومؤامرات التغريب ودعوات الانفصالية والتجنيس والتجزئة قوة على أن يحيا ويعمق ويتسع فاستفاد من الادبين الفرنسي والانجليزي فى الاسلوب والمعنى ، وفى العرض والاداء ، وامتص منهما ما زاده قوة فى نفس الوقت الذي ظلت ملامحه الحقيقية واضحة لم يضعفها الامتصاص .

وبذلك لم يتحقق لدعاة التغريب من الغرب مطمعهم فى ان ينتقل من العربية الى العامية ، او من الاصالة الى الركاكة ، او يتنكر لامجاده ويزدريها ، او يستجيب للقومية الضيقة وينفر من التجمع ، وسافرت البعثات متوالية من القاهرة ومن تونس ومن لبنان ومن كل انحاء العالم العربي الى اوربا وعادت دون ان يغير ذلك من فهمها سوى افراد قلائل كشفهم العرب ونبذهم ، بل ان الذين ذهبوا الى اقصى الارض وعاشوا فى قلب التيار الغربي ، لم يستطع هذا التيار ان يطويهم .

يقول الشاعر القروي فى مهجره عن الوطن العربي: (امتي . **اذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعة فكانما أكلوا جوارحي . واذا اهدروا عربيا فى لبنان او تطوان فكانما شربوا نخبة من دمي ، وكان كل بلد قوي من بلادي ساعدي مفتولا ، وكل شعب خامل زندي مشلولا ، بل ما اعد ذاتي الا خلية فى جسد امتي . انا وحدي من سبعين مليونا من العرب كل واحد منهم انا . فينبغي أن احبهم سبعين مليون ضعف حبي لنفسي . من افتداهم فكانما احياني سبعين مليون مرة ومن خانهم فكانما قتلني مثلها**) .

وهكذا غلبت قوة الادب العربي الاصيلة على التيارات الضالة التي ما تزال تتردد فى خفوت ، ويحملها عملاء للغرب من العرب يدعون لها باسلوب او بآخر ، ولكن ليس فى حماسة ما كان فى الماضي ولا قوته ، ونحن نثق بانه لم يعد ممكنا بعد أن بلغ عمق دعوة الوحدة فى الادب ما بلغ ان تستطيع هذه المذاهب التغريبية ان تنتصر او تجد سوقا رائجة

ولكن الادب العربي مع ذلك يجب ان يظل من اليقظة بحيث يواصل معركة المقاومة التي لم تنته ويضرم نارها .

وصدق الرصافي اذ يقول : « اننا امة تدرأ الضيم ولا تستكين قط لوال او لغاصب » .

وامكن خلال هذه الفترة ان تدحض نظريات كثيرة كانت متألقة فى اول القرن ، فلم يعد صدقا ما قيل من ان النهضة العربية مستقاة من الثورة الفرنسية .

وقد مضى عهد الخداع الذي بكى فيه شعراء العرب بأحاسيس انهيار بعض الدول الاجنبية ولم تعد كلمات اوربا ذات مكانة فى النفس بعد مجازر الاستعمار فى الوطن العربي .

وجملة القول ان الادب العربي المعاصر قد ساده خلال فترة المقاومة والتجمع اتجاهان واضحان : التجديد فى الاسلوب والموضوع ، والتطور مع روح العصر ومقتضيات الزمن ، والمحافظة على القديم والتمسك بالتراث العربي واحتذائه وبعثه ، وقد كانت الحرية هي ابرز دعوات الادب العربي المعاصر .

وفى كل قطر عربي ظهرت اناشيد كتبتها الايدي التي قاست الجراح . وكانت معركة مقاومة استبداد عبد الحميد ، واسماعيل ، وتوفيق ، وعباس ، ودعاة الطورانية من الاتحاديين هي ابرز معاركنا ثم كانت معركة فلسطين والجزائر .

وقد كان طابع الادب فى اول القرن مزيجا من التشاؤم والشكوى والدموع والبكاء على الامجاد ولكنه لم يلبث ان اكتسب الايجابية والاصالة ودخل المعركة فى قوة حمل دعوة المقاومة والتجمع واعلن ثورية على الظلم والطغيان وعلى الاستعمار واعوانه . ولاشك أن معركة فلسطين وحدت العرب وكانت بعيدة الاثر فى ادبهم وتاريخهم كله .

القاهرة ــ انور الجندي



الحياد وعدم التبعية في إفريقيا وآسيا

للأستاذ محمد المغربي

يتصور الكثيرون في عالم اليوم بأن معطيات الحرب القائمة بين الهند والصين وهما من دول باندونغ وبلغراد واحداهما اعتبرت منذ سنوات زعيمة للعالم الثالث ، وبأن زيارة الماريشال تيتو الى موسكو ، وميلاد حياد اللاووس الذي يعد مخلوقا عجيبا في عالم الحياد ، لأنه الى التسكيني السياسي والاضطرار الوطني أقرب منه الى أي شيء آخر ...

يتصور الكثيرون أن كل ذلك ـ بالاضافة الى المرونة التي باتت من نصيب سلوك المحايدين ـ قد يتسبب في نكسة قد تودي بصلابة بعض الأفكار التي كانت غذاءا فكريا لسكان قارتي آسيا وافريقيا .

فهل سيخرج العالم الثالث بعد هذه التجارب وهو حقيق بدوره التاريخي الذي يؤهله للوقوف بين المعسكرين وخدمة التطور الانساني والحضارة البشرية ؟ .

ثم هل كلمة ((الحياد)) في حد ذاتها تحمل الجدية التي تبرر وتضمن الكفاح من أجل ما ترمي اليه ؟

الحياد وعدم التبعية

لقد ظهرت كلمة الحياد بشتى حدودها ومراميها في مؤتمر باندونغ الاول الذي عقد في ابريل سنة 1955 ، وقد تولدت تلك المعاني من اعلان بعض الدول التي كانت تقول ((بالتعايش السلمي)) عن عزمها **على الوقوف في الحياد بين المعسكرين المتحاربين من جهة وقدرتها على التكتل لمنع وقوع الحروب ، واستعدادها للمساهمة في خدمة التقدم البشري .**

وكان في طليعة تلك الدول : الهند ومصر واندونيسيا .

وبمرور السنين ظهرت بعض الدول التي تنادي بهذه السياسة في اشكال وايديولوجيات متعددة تتصل بتطورها ومصالحها وتتناسب مع كل شعب وكل بيئة ومنطقة .

وهكذا أصبح تفسير معنى الحياد من الصعوبة بمكان ، خاصة عند الذين يقولون بسياسة ((الحياد الايجابي)) ، ولتسهيل تفسير هذه الكلمات أصبحت كلمة عدم الانحياز تشيع اكثر من غيرها وتقول بها اكثرية الشعوب .

ولا زال تفسير معاني **الحياد وعدم الانحياز وعدم التبعية يقتضي دراسة أقوال وتصرفات وظروف الشخصيات التي تنادي بها ،** تلك الدراسة التي تتصل خاصة باتجاهات وبتوجيهات تلك الشخصيات في السياسة العالمية .

ويمكن القول بأن الدور الذي لعبته الهند منذ عام 1949 الى ان انكمشت منذ سنتين هو الذي أعطى لهذه الفلسفة قيمتها الحقيقية في الميدان الدولي ، كما ان اتصال هذه الفلسفة بالنضال من أجل الحرية والسلام زادها اعتبارا في انظار مختلف الشعوب .

1) ((الحياد الايجابي)) عند جمال عبد الناصر

لقد جاءت سياسة الحياد عند جمال عبد الناصر كنتيجة لمحاربته لمظاهر الانحياز التي كانت بعض الدول العربية تاخذ بها ، ويظن عبد الناصر بان عدم الانحياز هي السياسة التي يجب أن تكون راسخة في الوطن العربي لانها الضمانة الوحيدة للتطور القومي . لان الانحياز يفقد القومية أولى خصائصها وهي الحرية التي تدفع الى التطور ، ويقضي على كل نزعة تحررية، ويجعل العرب لا يقومون بواجبهم التاريخي في تطوير البشرية .

ولكن يجب أن ننتبه الى ان هذه السياسة اصطبغت أول الامر بكراهية شديدة للغرب ، وللاستعمار ، ووجدت سندها الوحيد في الدول الشرقية الشيوعية مما جعل النقد يتجه بشدة الى جمال عبد الناصر .

على أن اجتماع عبد الناصر المتكرر بتيتو ونهرو (وخاصة في مؤتمر بيروني 1956) اثر على فهمه لهذا الحياد ، على الرغم من الحرب التي شنتها فرنسا وانجلترا واسرائيل على مصر ، وهذا التاثير كان فوضويا ومضطربا .

وقد صرح عبد الناصر بعد هذه الاتصالات :

((لعل اعتناق مصر لسياسة الحياد الايجابي والابتعاد عن التكتلات واتباع سياسة عدم الانحياز ، كل ذلك تاييد ايجابي مثمر لفكرة **التعايش الايجابي**))

وهكذا اختلطت معاني الحياد عند جمال عبد الناصر حتى اصبح يقولها جملة في خطبه ، على ان الجديد فيها هو كلمة ((التعايش الايجابي)) .

ولكن عبد الناصر اراد ان يتايد حياده الايجابي بتطور الوضع الداخلي ولذلك بدا يصرح « بان توطيده قوة الحياد في الشرق الاوسط يجب أن تنبع منه ، ولذلك يجب القضاء على اعوان الاستعمار : الاقطاع والاحتكار وسيطرة راسمال على الحكم)) .

ولكن يظهر أن فكرة الحياد قد استقرت وتوضحت قليلا عند عبد الناصر فقد قال في شتنبر 1960 : **((ان الدول الكبرى لا تملك وحدها كلمة السلام أو الحرب ، وانما الجنس البشري كله ، مستمدا الحق من تضحيات شعوبه على اختلافها من أجل صنع الحضارة ودفع التطور ومن تطلع الشعوب كلها الى الامن . اننا فيما يتعلق بالسلام ننحاز ولا نحايد اننا ننحاز الى جانب السلام وضد الحرب))** .

2) التعايش السلمي والحياد عند نهرو :

في أول الامر اقترنت فكرة نهرو المثاليه بانشاء **قوة ثالثة** تستمد روحها من تعاليم غاندي . اي تنشد السلام وعدم العنف والتعاون الواسع .

وتقوم فكرة نهرو على :

1) السلم عن طريق كسب صداقة جميع الشعوب.
2) تحرير الشعوب المغلوبة .
3) صيانة الحريات .
4) القضاء على التميز العنصري .
5) تكوين رقعة حيادية لا هي كتلة ولا هي جبهة بل منطقة لا تريد الحرب ، ومن ناحيتها الايجابية تستهدف السلام وتعمل من اجله عن طريق التعاون الوثيق بين الدول")) .

ومن هذه الخطوط استمد نهرو المبادىء الخمسة التي اصبحت تعرف باسم ((الباتشيلا)) وهي :

1) الاحترام المتبادل بين الدول لاراضي كل منها
2) عدم الاعتداء
3) عدم التدخل في الشؤون الداخلية .
4) المساواة بين الدول وتبادل النفع فيما بينها
5) التعايش السلمي .

وهذه السياسة سواء في النطاق المحلي او العالمي كانت تفرضها أوضاع الهند وموقعها الجغرافي وحاجتها الى المعونة من جميع الجهات . ولذلك سموا حياد الهند بكونه (الحياد التجاري) ، اي انه لا يمنع تعامل الهند مع الشرق والغرب وتلقي المساعدات منهما .

3) التعايش السلمي الايجابي عند تيتو :

ينادي تيتو بالتعايش السلمي الايجابي وهو يجمع بصورة ذكية اتجاه نهرو وعبد الناصر ،

ويستجيب لوضعية يوغوسلافيا كدولة شيوعية تتلقى العون من الغرب .

ويفسر تيتو فكرته بقوله :

((لست اعني بالتعايش الايجابي أن تترك الحرية لجميع الدول ذات النظم المختلفة لتمارس حياتها فحسب ، بل لابد ان تتآزر كلها في سبيل الخير العام، وان تحاول أن تحل مشكلاتها بطرق سلمية)) .

وقد ساعد هذا التوجيه على اقتراب يوغوسلافيا من دول كثيرة محايدة مما ركز مكانتها الدولية وابعدها عن الاخطار الخارجية وسمح لها بمقاومة الاستعمار والاحلاف ، ثم الاستفادة من الغرب (امريكا) دون أن تثير ضدها حنق الدول الشيوعية.

4) الحياد المجرد عند سوكارنو :

يفسر سوكارنو رأيه في الحياد بقوله :

((ان سياستنا الخارجية ليست فقط لتوحيد القوى الوطنية والقوى الدولية ضد الاستعمار انما تهدف ايضا الى كسب صداقة جميع الشعوب ، وهي تتفق مع تعاليم ((بانشاسيلا)) كما ان سياستنا الخارجية تهدف الى المساهمة في تحقيق السلم العالمي)) .

وسياسة سوكارنو يعرفها هو نفسه ((**بالسياسة المستقلة**)) ولكنه يقول في كثير من المناسبات بأن بلاده لا يمكنها ان تتفرج على الصراع العالمي ، ولذلك فهي تسلك سياسة ((**الاستقلال الايجابي**)) وعدم الانحياز .

والمبادىء الخمسة التي تقوم عليها فلسفة الحكم في اندونيسيا هي :

1) الايمان بالله
2) الانسانية
3) القومية الاندنيسية
4) سيادة الشعب
5) العدالة الاجتماعية .

اما في المحيط الخارجي ، فعلى الرغم من المشاكل المحيطة بالبلاد (الثورات وقضية ايريان الغربية وبور بتو ، وتهديد استراليا) فان سوكارنو يتشبث بروح باندونغ القائمة على الحياد المجرد والتعاون مع جميع الدول .

5) الحياد ((الغامض)) عند نكرومة :

فلسفة نكرومة فيما يتعلق بالحياد لا تظهر الا على مظهر واحد وهو اجتماعه بزعماء الحياد في العالم. والتصريح الوحيد الذي يمكن ان يكون متصلا بهذا الموضوع هو الذي فاه به نكرومة في الامم المتحدة يوم 1960/9/23 حيث قال :

((وفيما يتعلق بالسياسة الدولية يجب :

1) على الدول الكبرى الذرية أن تتخلى عن قواعدها

الذرية في افريقيا كبداية للجهود التي تبذلها لتحقيق نزع الاسلحة النووية .

2) على الدول الافريقية ان تتجنب المحالفات مع الدول الكبرى ((ولا شك ان وقوع غانا ضمن اطار مجموعة تابعة لفرنسا وقربها من نيجريا زميلتها في الدومنيون ، وتنافس الزعامة بين القادة الافارقة قد دفعت بنكرومة الى البحث عن مجال حيوي واسع للعمل ، وهذا ما جعل اتجاهه لا يظهر بوضوح ان لم يكن متصفا ببعض الاضطراب والتناقض خاصة عندما يتطرق الحديث عن موضوع الاستعمار بانواعه .

6) الحياد والتعايش والشخصية الافريقية عند سكوتوري

اراد سكوتوري ان يجعل من الحياد فلسفة وايديولوجية وسلوكا والتزاما . ولعله أكثر قادة الحياد حديثا وتعميقا لهذه المفاهيم .

يقول توري :

((ان الدول المحايدة تريد أن تكون بمنحى عن المنازعات التي قسمت العالم الى كتلتين متعارضتين كل منهما منطوية على نفسها مغلقة داخل اطار من المنطق الخاص)) .

((لقد كان التاريخ حتى يوما هذا تاريخ اشخاص ، واصبح الآن يدور حول الفكر الانساني)) .

((ان كلا الكتلتين تعتبر اصدقاء اعدائها اعداء لها ، وترفض باصرار وعناد ان تدرك ان كل شعب يرى لزاما عليه لكي ينمو ويتقدم ان يرتبط بعلاقات مع جميع الشعوب)) .

((ولكن لكل شعب طبيعته وخصائصه المميزة ومن ثم يجب أن يكون كل شعب قادرا على التعبير عن فكره وان يساهم بنصيبه في الثقافة الانسانية))

((فالحياد هو معارضة لنظم الادماج ، ورفض صريح للتنازل عن الحرية)) .

((والحياد هو حقيقة تاريخية نابعة عن الضرورات الواقعية تهيء للدول الصغرى الفرص والامكانيات التي تيسر لها تأكيد شخصيتها والاضطلاع بدورها في ميدان التقدم الوطني والانساني على أساس من الشخصية المستقلة الاصلية والسيادة القومية)) .

ويؤمن سيكوتوري ـ لمبررات كثيرة ـ **بالشخصية الافريقية** التي لا يمكنها ان تظهر وتنمو وتتكامل الا في نطاق الحياد التام والسلام والحرية .

7) ((الحياد السلبي)) عند السودان :

يميل السودان منذ ثورته العسكرية الاخيرة الى العزلة الدولية شيئا فشيئا ؛ وان كان مركزه الاستراتيجي الهام يهيئه ليقوم بدور حاسم في معركة الحرية . فالسودان هو مفتاح افريقيا الشرقية والجنوبية والوسطى، وعلى حدوده يقع كل المستعمرات التي لا زالت في افريقيا ويشترك مع الكونغو بحدود مشتركة طولها 650 كلمترا . والاسباب في ابتعاد السودان وعزلته هي :

1) انهماكه في البناء الداخلي (المشاريع الانمائية الكبرى)
2) ايمانه بدور الامم المتحدة .
3) اعتباره أن المؤتمرات مضيعة للوقت .
4) اتساع رقعته وخوفه من الثورات الداخلية الممونة من الخارج .
5) وجود قبائل مشتركة بينه وبين جيرانه قابلة للثورة

ولاجل هذا فان السودان يرغب في أن يتعاون مع الجميع ويهادن الجميع ولا يرتبط بأي احد . وقد رفض ان تمر من ارضه المعونة المصرية لحكومة كيزانكا في ستانلفيل ، ولم يسمح للهيئات التحررية الافريقية بالعمل في ارضه ، ولا يقدم اية معونة أو يسمح بها للمناطق المجاورة .

وهو بهذا يسلك سياسة ((التعايش السلمي والحياد السلبي)) .

8) الحبشة والطوغو :

تنادي كل من الحبشة والطوغو سياسة الاستقلال الخارجي فيما يتعلق بالصراع بين المعسكرين ولكن تعاونهما مع الغرب (وامريكا خاصة) واضح في الميادين الاخرى .

فالحبشة هي مستعمرة امريكية بصفة غير معلن عنها ، كما ان الطوغو ينسق سياسته مع ليبريا في نطاق التعاون الواسع مع امريكا (وكانت تلك هي زبدة سياسة الرئيس السابق سلفانوس اولامبيو) .

وتحرص كل من الحبشة والطوغو على تلقي العون من المعسكر الشرقي ، وذلك لابعاد الشبهة عنهما ؛ وهكذا اصبح للصين مصالح مهمة في الحبشة وخاصة في الميدان الاجتماعي .

ولعل حضور غانا في مؤتمر الدار البيضاء وعدم حضور ليبريا هو الذي اخر الطوغو عن المشاركة ، اما اشتراكها في مؤتمر منروفيا فيرجع الى عوامل داخلية محضى وتأثير الرئيس تويمان ورغبة الطوغو في الخروج من عزلتها لانها لم تشترك في كتلة الدار البيضاء أو كتلة برازافيل .

9) ((الحياد الدفاعي)) عند كوبا وافغانستان والكامبودج

بينما يجثم الخطر الامريكي على جزيرة كوبا القريبة من سواحل الولايات المتحدة الامريكية ، تقع افغانستان في اخطر موقع بالنسبة للاتحاد السوفياتي وتحيط بها مناطق متشيعة في ايران .

واذا كانت كوبا قد اعلنت عن قيام الجمهورية الديموقراطية الشعبية بعد فشل الهجوم عليها ووسعت

صلاتها بالمعسكر الشرقي فانها وصلت الى مرحلة « الحياد الدفاعي » الذي اجتازته مصر فى سنة 1955 عند عقد صفقات الاسلحة مع الروس والتشيكيين .

اما الافغان فانهم يتشبثون بحيادهم لانه ضمان حريتهم واستمرار نظامهم على الرغم من تعاونهم الواسع مع الاتحاد السوفياتي ، وقبولهم لجميع الاعانات الغير مشروطة بشروط .

وتعقد الافغان كل آمالها فى السلام والتعايش السلمي على الامم المتحدة . والحاجة الى الحياد فى مملكة الكامبودج شبيهة تماما بالحاجة اليها فى كوبا وافغانستان .

الحيــاد الاسيــوي

الحياد فى آسيا يختلف نتيجة للظروف فى هذه القارة — عن مفهوم الحياد فى افريقيا ، لان القارة الأسيوية تخلصت من الاستعمار نهائيا ودخلت ميدان الحرب الباردة منذ اعوام ، ولان علائقها الاستعمارية مع الغرب ومع الشرق كانت متشابهة الى حد كبير .

ووقوع جنوب آسيا تحت رحمة الشيوعيين ، ووجود حلفين غربيين فى هذه المنطقة وهما ((حلف جنوب شرقي آسيا)) ، والحلف المركزي ((يجعل **الحياد ياخذ شكله العملي المادي المباشر** .

وهذه الظروف لا توجد فى افريقيا على هذا النحو ومن ثم كانت الفكرة الحيادية تتصف بلون خاص يمكن ملاحظته كما يلي)

— حياد بين المعسكرين المتناحرين .
— التعايش والتعاون مع الجميع .
— مبادىء عدم التدخل فى شؤون الغير الداخلية المبادىء الخمسة)
— اقامة توازن بين المنح والاعانات الأجنبية

الحيــاد الافريقــي

وعلى الرغم من أن الحياد سواء فى آسيا أو افريقيا تقتضيه ظروف التشبث بالحرية والسيادة والتعايش والسلام من اجل اقامة اقتصاد ومجتمع متطور فان الحياد الافريقي له لونه الخاص او سيكون له لونه الخاص فى المستقبل وذلك يرجع الى الظروف الآتية :

— الكراهية النامية ضد الاستعمار باشكاله المتعددة
— شيوع الروح الثورية التحريرية المتطرفة
— شيوع فكرة الوحدة التي لا يمكن ان تقوم ما دام هناك توجيه استعماري وحرب باردة فى افريقيا .
— رد الفعل الطبيعي عند السود ضد البيض واحساسهم بشخصيتهم الافريقية .
— قوة المنظمات التقدمية (السياسية والنقابية) فى البلاد المحايدة .

الخصائص المشتركة للحياد العالمي

ان دراستنا لمظاهر الحياد فى آسيا وافريقيا وفى بعض دول اوربا وامريكا الجنوبية تقودنا الى ابداء الملاحظات الآتية :

1) ان مفهوم الحياد يختلف من بلد الى بلد تبعا لظروفه الخاصة .
2) ان مفهوم الحياد يختلف وفى نفس البلد من سنة الى سنة اخرى .
3) ان معاني الحياد الايجابي وعدم التبعية ... الخ لا زالت غامضة وقابلة للاجتهاد .
4) انه لا يمكن ان نقول بوجود دول محايدة الا بقدر ما نقول بوجود اقطاب محايدين .
5) ان الجانب المحايد لم يتعاون لحد الآن بقدر الذي يكفي لفرض وجوده كما انه — من اجل ذلك ايضا — لم يفكر فى ايجاد القوة الثالثة التي كان يفكر فيها نهرو .
6) ان الحياد اصبح فى الواقع شيئا مجردا واقتصرت كثير من الدول على الاخذ بمظهر (التعاون الحر)

اســس قيام الحياد العالمي

لقد مرت تجربة الحياد بمعناها الفلسفي بتطورات كثيرة منذ القرون الوسطى ، وبعد الحرب الاخيرة ، وبعد ظهور معسكرين متطاحنين وجدت بعض الدول أن

من مصلحتها ان تبتعد عن هذا الصراع لتحافظ على حريتها وامنها وتضمن تطورها وشخصيتها ، وكانت الهند هي السباقة لذلك .

ولقد استطاعت الهند بمثالية دعوتها أن تكتسب النجاح لهذه الفكرة التي بدأ بعض القادة كتيتو وناصر والمغفور له محمد الخامس رحمه الله يأخذون بها .

غير ان فكرة الحياد لها مظهران :

— مظهر متطرف (الحياد الايجابي)

— ومظهر معتدل (عدم التبعية)

وبين هذين المظهرين توجد فكرة وسطى وهي (عدم الانحياز)

وهذه الاشكال موجودة في جميع القارات على انواع متعددة .

ومن الصعب أن يتحدث الآن في الدول المتخلفة عن الدور الانساني والثقافي للجانب المحايد ، كما انه من الصعب أن يتحدث عن القوة الثالثة .

ولذلك فان نظرية الحياد كما يفهمها عبد الناصر لا يمكن أن تلقى الاجماع من الافريقيين ، خاصة ولها اتصال بالناحية العنصرية (القومية العربية)

اما الحياد كما يفهمه تيتو فقد بدا ان تأييده موجود في افريقيا وحتى في آسيا ، لانه يضرب خاصة على نغمة **التعاون الحر وعدم التدخل** .

ولم يفسر المغرب لحد الساعة ماذا يريده بعدم التبعية الا ما يظهر من المعنى اللغوي لهذه الكلمة ، اما المبادىء الاخرى للحياد فهي تظهر في تصرفات المغرب لا في تنبيهه وشعاراته .

ويظهر أن محاولة وضع مبادىء عامة تدخل تحت هذه الكلمة سيستفيد منها الجانب المحايد الذي ننخرط فيه .

فالمسطرة الحيادية التي يمكنها ان تشمل آسيا وافريقيا اذا ما تم هذا التكميل يمكن اجمالها في الفقرتين الآتيتين :

فعدم التبعية يقصد بها الابتعاد عن الاحلاف والتكتلات ، وعدم الارتباط بتخطيط استراتيجي وعدم السماح باستعمال الاراضي لاقامة القواعد او في اغراض هجومية او استكشافية او دفاعية .

ويقصد بها كذلك عدم التبعية الاقتصادية او المذهبية او الفكرية .

والتعايش الايجابي : يعني ان تترك الحرية لجميع الاقطار ذات النظم المتباينة لتعيش الحياة التي تختارها، وتتآزر في سبيل الخير العام وتحل مشاكلها بالطرق السلمية ، وتبتعد عن التدخل في الشؤون الداخلية للغير .

وهذا التعايش يضمن الحق لكل دولة في أن تسهم بنصيبها في تقدم البشرية ويخلق في العلاقات الدولية ما يطمئن العالم على مصيره .

سلا : محمد احمد القربي



الهند

بين الاشتراكية والحياد واللاعنف

للأستاذ : المهدي البرجالي

التطور العام بالهند وشعبتاه الرئيسيتان ـ السمات العامة للاشتراكية الحديثة بشبه القارة الهندية .

سياسة التخطيط الهندي وآفاقها المختلفة ـ ادوات التنفيذ : القطاع الخاص والقطاع العام .

المشاريع الخمسة بالهند ومشاكل السوق المشتركة ـ الحياد الهندي والمساعدات الأجنبية ـ الحياد بالهند بين مميزاته الايجابية والسلبية ـ الحياد والنزعة التوفيقية الهندية ـ الامكانيات الايجابية التي يمكن أن تنطوي عليها هذه النزعة .

الاهمية التي تكتسيها الهند من حيث مالها من مركز حساس في نطاق المجتمع الدولي الحاضر هذه الاهمية لا تعود ـ فقط ـ الى سعة امتدادها الارضي ، او ضخامة هيكلها الديموغرافي النامي باستمرار ؛ وانما يؤول ذلك ايضا ـ وفي الدرجة الاولى ـ الى وضعها الايديولوجي الذي يثير ـ في كثير من جوانبه ـ الاهتمام المتزايد ، ويعتبر من بين الظواهر الدولية الكبرى في عالم اليوم ، ذلك ان السبيل الذي اختارته الهند ـ في معالجة مشاكلها الانسانية والسياسية والاقتصادية ـ ولم تزل محتذية اياه باصرار ـ وعلى الرغم من مختلف التقلبات العالمية الراهنة ـ ، هذا السبيل هو من ابرز ما يثير الالتفات في الحياة الهندية المعاصرة ، باعتبار انه يشكل تجربة خطيرة وبعيدة النتائج ، لها كبير الارتباط بمستقبل الاوضاع العامة بجنوب شرقي آسيا ، وتمس بالتالي اتجاه التطورات الدولية على وجه العموم .

ولهذا السبيل الذي اختطته الهند لنفسها شعبتان رئيسيتان ؛ تتصل اولاهما بسياستها التطورية الداخلية ، وتتمثل في تجربتها الاشتراكية الخاصة ، اما الشعبة الثانية ، فلها ارتباط بعلاقتها الدولية العالمية ، وتتمثل في منهجها الحيادي الدقيق ، الذي يكاد يلامس مفهوم السلبية احيانا .

وتكاد الشعبة الاولى في سبيل الهند نحو التطور تستبد بانتباه كافة المراقبين في العالم على اختلاف المذاهب ووجهات النظر التي يحتضنونها ، وتتجلى هذه الشعبة ـ كما ذكرنا ـ في النهج الاشتراكي الخاص الذي تقتفيه الهند ببطء ، ولكن بعزم وتصميم ، وتبتغي من ورائه التوصل الى حل المشاكل الخطيرة التي تعترضها باستمرار ، وفي المقدمة : المعضلات الاقتصادية والاجتماعية والانمائية وما يندرج في اطار ذلك من قريب أو بعيد .

والواقع ان الكثير من الدول الاخرى ـ وهذا شيء مسلم به ـ قد اصبحت تنتهج اساليب متعددة ومتباينة من الاشتراكية ، تبعا لتعدد الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، داخل هذه البلاد ؛

وتنوع الخاصة التي تقودها الى اعتناق هذه النظرية او تلك ، واحتضان هذا النهج او ذاك ، ومن غير شك فان القيم الاشتراكية التي تتبناها الهند ، وتسير على منوالها بشكل او آخر شانها في ذلك شان الكثير من البلدان المتخلفة في آسيا وافريقيا ممن آثرت سبيل الاشتراكية المعتدلة في مجال العمل على مناواة التخلف وتحقيق القدر الكافي مما تفتقر اليه من نهوض وتطور، نقول ان القيم التي تقتنيها الهند في هذا السبيل تعتبر – على العموم – مشاعة ومتداولة – نوعا ما – سواء عند هؤلاء او اولئك ، وليس فيها من حيث خطوطها الاساسية ما يمكن ان يعد بصفته استحداثا وابتكارا ، الا انه من جانب آخر يجب الاعتبار بان وضعية الهند الدولية الخاصة ومركزها السياسي والفكري في آسيا المعاصرة من شانه ان يضفي على تجربتها الاشتراكية ولو انها لا تشكل الا مجرد امتداد للتجارب العديدة التي تمارسها اقطار اخرى في هذا المضمار ، يضفي على هذه التجربة قدرا كبيرا من الاهمية والاعتبار ، ويجعل المراقبين وخاصة داخل المعسكرين العالميين المتنافسين يتتبعونها بكامل اليقظة والحذر ، اذ انه على نجاح هذه التجربة او اخفاقها تتوقف كثير من الاعتبارات الاساسية التي تساعد على تقييم الوضع العام في جنوب شرقي آسيا بل وتبلور ظواهر هذا الوضع وآفاقه حاليا او مستقبليا سواء بسواء ، ويلعب العامل الجغرافي المذهبي دورا هاما له نصيب كبير من التاثير في هذا المقام ، ذلك ان وجود شبه القارة الهندية بمتاخمة الصين ومضاهاتها للدولة الشيوعية الكبرى في كثير من المجالات سواء باعتبار الجانب الديموغرافي (اكثر من ستة وثلاثين واربعمائة مليون نسمة) ، او الجانب الاقتصادي (مشاكل الانماء والتطور ، وارتباطها بمعضلة التزايد المستمر في عدد السكان) ، او غير هذا وذاك من وجوه الشبه بين الاحوال في البلدين الاسيويين الكبيرين ، ان ذلك بنظر كافة المراقبين من المعقول ان يثير كما قدمنا كل الانتباه نحو الهند ويحفز على الاهتمام بتطورات التجربة الكبرى التي تمارسها والتي لم تستنفد من اهدافها لحد الآن الا قدرا محدودا جدا ، والواقع ان هناك عاملا رئيسيا له بالفعل كل الاهمية في هذا المقام ويعود اليه السبب في خلق ظروف الموازاة الحاصلة هكذا بين الهند البرلمانية من جهة ، والصين البروليتارية من جهة اخرى ؛ بل انه يؤثر عمليا في اصطناع عوامل المنافسة الحادة وغير المباشرة بين الجانبين في مختلف الميادين ، وبالنتيجة لذلك يضفي كما ذكرنا قدرا غير محدود من الاهمية على واقع التجربة التطورية الهندية وخاصة اللون الاشتراكي الخاص الذي تصطبغ به هذه التجربة وتتاثر به الى مدى غير قصير ، وهذا العامل يتمثل في طبيعة الاختلاف الحاصل بين هؤلاء واولئك حول مدلول الاشتراكية والآفاق التي تتفتح عليها سواء في المجال الاقتصادي او الاجتماعي او السياسي او الروحي او غير ذلك مما يمتد على مختلف المناحي والابعاد . ان اشتراكية الهند هي بالطبع غير اشتراكية الصين ، كما ان الاشتراكية العربية هي بالبداهة غير الاشتراكية السوفياتية سواء من حيث المبادىء العامة او باعتبار التفاصيل ، فعند الهنود تمتزج الاشتراكية في الغالب بالنظريات الفكرية الهندية ، وتتسع كثيرا لاستيعاب مقتضيات الواقع الهندي بكل ما يعكسه من قيم خاصة وما يسوده من مفاهيم ومثاليات معينة ، كما ان هذه الاشتراكية تمتاز بطابع ليبرالي واضح يبقي للفرد ولمجموعات الافراد قدرا كافيا من حرية الملكية وحرية البادرة الشخصية وحرية المصير السياسي والاجتماعي مع ما يقتضيه ذلك من سلوك سبيل الديموقراطية البرلمانية الغربية في اكثر اشكالها كلاسيكية ومنهجية ، وفي نطاق كل هذا فثمة مجال واسع لتحقيق الكثير من المقاصد الاشتراكية الاساسية ، وذلك عن طريق انتهاج سياسة التاميم وخاصة بالنسبة للمرافق ذات المصلحة العامة ، وتوسيع نطاق الاصلاح الزراعي، والتقليل من سعة الفوارق الطبقية وغير هذا وذاك مما يؤول الى اعادة تنظيم المجتمع المعاصر ، على اسس اكثر ايجابية ومعقولية .

يقول رئيس الحكومة الهندية في مجال تعريفه لبعض جوانب النهج الاشتراكي الذي تتبناه بلاده ، وخاصة طبيعة النظرة الفلسفية التي تسود هذا النهج وتتحكم في تكييفه وتوجيهه يقول في موضوع ذلك متسائلا : (... ماهي الاشتراكية التي يتحدثون عنها في جميع المناسبات ؟ ان اعطاء رد دقيق على هذا السؤال يعد من الامور العسيرة وذلك لانه توجد ثمة تعريفات لا حصر لها لمفهوم الاشتراكية ، لكن الاشتراكية في اعتبارنا ستبقى دائما تتمثل في العمل على تحسين احوال الفرد والتخفيف من مظاهر اللامساواة ، هذا مع عدم اغفال الجوانب الاخلاقية والروحية في الحياة .. هذه الجوانب التي تشكل في نهاية الامر الاساس الذي قامت عليه الثقافة والحضارة والتي اعطت بعض المعنى للحياة ...) ، ويقول في موطن آخر : (.. ان الاشتراكية قبل كل شيء ليست فقط طريقا للحياة ، ولكنها ايضا تناول

علمي للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية ، وقد قيل : انه اذا دخلت الاشتراكية بلدا متخلفا فانها تقلل من هذا التخلف بين يوم وليلة ، وكل ما سيحدث في الحقيقة اننا سنجد انفسنا امام اشتراكية فقيرة متأخرة ، ومما يؤسف له ان الكثير من الجوانب السياسية للشيوعية قد اتجهت الى تشويه نظرة المحايدين الى الاشتراكية ، كما ان اسلوب الكفاح الذي تتبناه الشيوعية اعطى للعنف دورا بارزا ، غير ان الاشتراكية عندنا تعتبر شيئا منفصلا عن هذه العوامل السياسية وعن حتمية العنف ، والطريق اليها فقط هو طريق العمل الشاق ، وزيادة الطاقة الانتاجية للامة ، وتنظيم التوزيع العادي لمنتجاتها ...) ، وعندما انعقد مؤتمر حزب الكونغرس الهندي الحاكم خلال السنة الراحلة اتخذ في نهاية جلساته عدة مقررات ونصوص يهمنا هنا في هذا الموطن ما يتصل منها بموضوع الاشتراكية وما يتضمنه المفهوم الهندي لها من معان ومعطيات اساسية ، وقد جاء في ضمن القرارات المتخذة بهذا الصدد حيث نلاحظ مدى العناية بالجانب العملي من مفهوم الاشتراكية ، والحرص على مجانبة الاشتهواءات النظرية الجوفاء التي لا تتناسب في شيء مع مقتضيات الواقع الماثل . تقول المقررات المتخذة في هذا المضمار : (.. ان اي بلد متخلف لايمكن ان يكتفي بالمؤسسات الموجودة ، بل ينبغي له ان يكيفها على صورة تضمن مساهمتها في تحسين احوال المجتمع وتنمية ثرواته ومقدراته ، وان اغلبية القرارات المتخذة والمتعلقة بالانتاج والتوزيع والاستهلاك والتمويل ، وبعبارة اخرى جميع العمليات الاقتصادية والاجتماعية يجب ان توضع تحت اشراف مؤسسات تعمل على خدمة الاهداف الاجتماعية ، وان المشكلة الهامة هي في اتاحة الفرصة للفرد البسيط المغمور لكي يساهم لا في تحسين احواله فحسب ، بل ايضا في الرفع من مستوى البلاد بصورة عامة ، وليس هناك من ضرورة لكي تبقى الاشتراكية مذهبا متحجرا اذ ان لكل بلد ان يطبق مقتضياتها فحسب بما يتفق مع عبقريته ، ويفهمها على ضوء ماضيه ، وان التنظيم الاقتصادي للدولة لاينبغي ان يحتذي دائما سبلا واحدة لاتتغير ، يجب اذن ترك المجال واسعا امام المحاولة والتجربة ، ومن اللازم اتباع سبيل اللامركزية في الجهاز التنفيذي ، وذلك لاعطاء المنشآت المؤممة كل الحرية في العمل ضمن اطار التعليمات العامة ، وقد قيل ان الديموقراطية هي طريقة للعيش اكثر مما هي مجموعة من التنظيمات المنشآتية ، وليس هناك ما يحول دون اعتبار هذه الصيغة ايضا بالنسبة الى الاشتراكية ذاتها ...)

* * *

وهناك ناحية هامة تعتمدها التجربة الاشتراكية في الهند ويعول عليها قادة حزب المؤتمر ورئيس الحكومة بصورة اخص كما يتبين ذلك من خلال ارائه والنظريات التي يدين بها في هذا المجال ، وتتمثل هذه الناحية في مبدا التصميم والتخطيط : التخطيط لمختلف المشاريع الانمائية والتطويرية التي ترمي الى توسيع امكانيات البلاد وتركيز مقدرتها الطبيعية والاصطناعية ، والتخطيط ايضا كذلك للعمليات الهادفة الى « تشريك » الاقتصاد الهندي والمجتمع الهندي وما ينشا عن هذا التشريك من مصاعب وتعقيدات يعتبر بعضها محرجا الى حد بعيد ، وخاصة بالنسبة الى قطر كشبه القارة الهندية يعتبر السابع في العالم من حيث المساحة ، ويعيش فيه اكثر من 436 مليون نسمة تختلف اوضاعهم وعاداتهم وعقلياتهم ولغاتهم واتجاهاتهم ودياناتهم ، ويصلون من التباين في هذا المضمار الى درجة كبيرة جدا . وغني عن البيان ان الاطار التخطيطي قد اصبح في عالم اليوم الاساس الضروري لكل عملية انمائية او تطورية سواء عند الامم المتخلفة او شبه المتخلفة وسواء ايضا عند الراسماليين او الشيوعيين ، والملاحظ ان هؤلاء الاخيرين يعتبرون من المغرمين بالتخطيط في جميع الميادين وذلك الى حد الهوس احيانا ، اذ ان البعض من بين الدول الشيوعية الكبرى يذهب في هذا المجال الى درجة الحرص على تخطيط الانسان نفسه ومحاولة العمل على قولبته ضمن اطار تخطيطي محدد الافاق والابعاد) ، وعلى كل فان الذي يبدو واضحا بصورة عامة ان جانب التخطيط بمفهومه الدقيق لاينفك يحتل في مضمار التجربة الهندية مكانة خاصة واستثنائية ، ويكاد يعد كاهم ما يتوافر لهذه التجربة من حظوظ وعدد ووسائل ، وذلك الى حد ان المخططات الموضوعة او المفترضة توشك ان تعتبر البديل الوحيد لما يعوز الهند من امكانيات وما يقوم فيها من مشاكل ناشئة في اغلبيتها عن التفاوت المطرد بين الموارد والسكان ، ومما يلفت الانتباه في هذا المضمار ان مفهوم الاشتراكية الهندية يكاد في بعض الاعتبارات يمتزج بمعنى التخطيط في عرف الكثيرين من القادة الهنود بما فيهم رئيس الحكومة نفسه ، فالامر بالنسبة للفكر الاشتراكي الهندي هو امر تقنين

وتنظيم وتنسيق قبل ان يكون امر حرب طبقية او صراع اجتماعي او غير ذلك مما يدخل احيانا في مضمون الاشتراكية عند الماركسيين وغيرهم ، ولهذا فاننا نلاحظ انه بجانب التشديد على دور الدولة في تنظيم الانتاج وتطويره والى شدة الحرص على مكافحة ادواء التخلف والتفاوت الطبقي الشاسع ، هناك الى ذلك مجال واسع ينفتح في الهند لاصحاب المبادرات الخاصة وممولي المشاريع الفردية في مختلف الافاق والميادين ؛ لكن على اساس ان يخضع انتاجهم بصورة من الصور للاعتبارات المصلحية العامة وينسجم بشكل مباشر او غير مباشر مع المقتضيات التخطيطية الحكومية التي تستهدف التوسع والتنسيق على مختلف المستويات ، وعلى ضوء هذه الاحوال فليس هناك اذن من غرابة في ان يلاحظ المرء ان صناعات حيوية جبارة كصناعات الفحم والفولاذ والبترول ومشتقاته ، وكذا صناعة الاسمدة والمولدات والمطاطيات والعربات والصناعات التجهيزية المختلفة ، ليس من غرابة في ان يلاحظ المرء ان صناعات عظيمة من هذا القبيل مازال القطاع الخاص في الهند يقوم فيها بدور حيوي واساسي تعتمد عليه المخططات الحكومية العامة، ويدخل في اعتبار الكثير من المشاريع الرئيسية التي تتبناها الهند على اوسع نطاق ممكن .

على ان ميادين النشاط الانتاجي الخاص وان كانت تساهم هكذا في تركيز دعائم السياسة التخطيطية الهندية الا انها مع ذلك لابد ان تعتبر كما اسلفنا مجرد عنصر من عناصر هذه السياسة ومظهرا من مظاهر تنفيذها ؛ اما العنصر الآخر الذي لايقل عن ذلك اهمية واعتبارا فهو ما يتمثل في نشاط القطاع العام حيث تتولى الدولة الاشراف على كثير من المشروعات الصناعية الثقيلة (كالمشاريع الفولاذية والكيميائية والفحمية والالكترونية والكهربائية والنووية وغير ذلك كثير) ، وتركز في ذلك اعتمادات مالية ضخمة ، وقد درجت الهند في هذا المضمار منذ ان استقلت سنة 1947 درجت على احتضان سلسلة متواصلة من مشاريع الخمس سنوات تستقطب في مجموعها مختلف المقتضيات التخطيطية العامة وتستهدف منها تحقيق المقاصد الاساسية المتوخاة من مبدا التخطيط ذاته ، واحدث من هذه المشاريع عهدا مشروع الخمس سنوات الثالث المقدر له ان يمتد على فترة تتراوح ما بين سنة 1961 و 1966 ، اما التوظيفات التي يقوم عليها فتبلغ نحو 24360 مليار من الدولارات ، واذا ما قورن هذا القدر بحجم المصاريف التي استنفذها مشروع الخمس سنوات الاول والثاني (من سنة 1951 الى سنة 1961) ولا تتجاوز في مجموعها اقل من عشرين مليارا من الدولارات اذا قارنا على هذا الاساس بين قيمة الاعتمادات المقدرة للمشروع الاخير وبين ما كان مخصصا للمشروعين الاوليين امكننا حينئذ ان نلمس بعض مظاهر التطور الحاصل .. هذا التطور الذي تأمل منه الهند الشيء الكثير وخاصة امام التحديات الشيوعية التي تواجه مستقبل النظام البرلماني السائد بالبلاد وتساهم في التاثير على احوالها النقابية والدولية من وجهة اعتبارات كثيرة .

وكما هو الامر بالنسبة الى الصين فان للفولاذ في مجال الصناعات الهندية المتطورة مقاما كبيرا جدا سواء كما ذكرنا في حظيرة القطاع الخاص ، او في نطاق القطاع العام ؛ الا ان التشديد على هذه الصناعة في كلا القطرين الاسيويين الكبيرين لاينبغي بالضرورة ان يدعو الى المقارنة بين الاهداف المتوخاة عند هؤلاء او أولئك ، والعوامل البعيدة التي تتحكم في هذا المقام سواء عند الصينيين من جهة او الهنود من جهة اخرى، والا لجاز لنا ان نقارن فعلا بين كثير من الاوضاع السائدة في البلدين ونوازن بين اتجاهات الاحوال فيهما بصورة عامة وذلك مالايبدو متيسرا على اي وجه كاف بالنظر لما هنالك من اختلافات جذرية بين القطرين وتناقض عميق في مختلف الاتجاهات التي يتخذانها والوسائل التي ينتهجانها والمقاصد التي تحدو كلا منهما وتقوده الى وجهته التاريخية الحاسمة .

❋ ❋ ❋

ومهما يكن من امر فان سياسة التخطيط على وجه العموم لاتنفك تسير سيرها الطلائعي الرائد في مجال العمل الانمائي التطوري بالهند الحديثة ، وثمة بحق الكثير جدا من المصاعب الداخلية المختلفة التي تعاكس بصورة متفاوتة حظوظ النجاح الكلي للسياسة التخطيطية هذه ومن اخطر هذه المصاعب وادعاها الى الاعتبار ما هو ناشيء عن تعقيدات الاوضاع التقليدية بالبلاد وخاصة في المناطق القروية والريفية ، ثم ازمات حالات البطالة وضآلة الشغل ، هذا الى بعض مظاهر الخلل واللامسؤولية احيانا في بعض الاجهزة الموجهة كما يؤكد ذلك بالفعل بعض الملاحظين هنا وهناك . واذا كانت المصاعب الداخلية هكذا تحدث احيانا بعض البطء في سرعة التطور العام بالهند ، فان هناك مصاعب اخرى يمكن اعتبارها اشد من ذلك خطورة واكثر

تعقيدا وهذه الصعوبات ليست ناشئة كسابقاتها عن عوامل داخلية بحتة وانما تتصل على العكس من ذلك بتطورات الاوضاع العالمية واتجاهات الاحوال بين الدول منفردة او متكتلة سواء على هذا الصعيد او الآخر ، ومن اجل ذلك فان المصاعب من هذا القبيل يجوز ان ندعوها بالمصاعب الخارجية ، ولهذا السبب بالذات كان من الممكن ان تحدث للهند بعض الاحراج في سياستها التطورية الحالية دون ان تتوافر لهذا القطر القدرة الكافية على مواجهتها بصورة فعالة ، لقد كادت الاحوال ان تتعقد على هذا الاساس منذ بضع سنين وذلك عندما تطور نظام السوق الاوربية المشتركة وصار من الضروري ان تندمج فيها المملكة المتحدة التي ترتبط بها الهند ارتباطا اقتصاديا متينا الامر الذي كان من شانه ان يضع كثيرا من العراقيل امام الصادرات الهندية الى اوربا وبريطانيا بصورة اخص ، ويؤثر بذلك في بعض الحدود على حظوظ السياسة التطورية التي تنتهجها الهند وتعتمدها كاساس لتركيز شخصيتها في آسيا والعالم عبر العواصف الشيوعية المترائية .

ولا يعني الترابط الاقتصادي بين الهند وبريطانيا ان هناك بالضرورة تبعية حقيقية للاولى لفائدة الثانية، ان الاتجاه الذي يتبناه الهند بالفعل يعتمد في اساسه على مبدا التحرر الاقتصادي بما يستلزمه ذلك من العمل على توفير عوامل الاكتفاء وتنمية امكانيات الانتاج والتصدير المصنع ، غير ان ذلك لايجب ان يحجب عن الذهن ان الصلات التي تربط بين الهند والمملكة المتحدة هي صلات الكومنولث الذي ترتكز اكبر مقوماته على الاعتبارات الاقتصادية والتجارية ضمن دائرة المنافع المشتركة للدول الاعضاء ، وقد كان من شان اندماج بريطانيا في نظام السوق الجديدة ضرورة التزامها بمقتضيات جديدة في مجال التجارة والتبادل تستهدف اساسا مصالح الدول المشتركة في السوق ، وبالتالي يمكن ان تحدث بالغ الاضرار للاقطار الاخرى الخارجة عن نطاق هذه السوق والتي تعتمد مع ذلك على جانب التعامل مع الدول الست او السبع او مع بعضها على الاقل .

ولا نزال نستذكر جميعا مدى ردود الفعل التي كان من الطبيعي ان يثيرها ذلك في مختلف بلاد الكومونولث سواء بآسيا او افريقيا او الاقيانوسية . وتعتبر الهند بالطبع من بين هذه البلاد المتعرضة اقصى ما يكون التعرض لعواقب هذه التطورات الناشئة عن امكانية انخراط المملكة المتحدة في نظام السوق المشتركة ، وقد تطورت الاحوال بهذا الصدد الى حد انه اصبح من المعتقد حينذاك في وقت من الاوقات ان الكومونولث قد يتعرض لعاصفة هوجاء من المصالح والعواطف ربما تطيح به ، او على الاقل تضعف من شدة تماسكه الى الابد ، فبالاضافة الى « غانا » مثلا التي ما فتئت ترى في اقحام الكومونولث على السوق الاوربية بادرة حقيقية للرجوع الى وضعية استعمار مقنع ، وكندا التي ترى ان هذا الاتجاه بما يستوجبه من انظمة تبادلية جديدة لابد انه سيؤثر على نسبة المنافع التي تستخلصها من صادراتها وخاصة الحبوب التي يعتمد عليها التصدير الكندي الى حد بعيد ، واستراليا التي ما برحت تخشى على مصير الفوائد التي تجنيها من مبيعاتها من الخامات والمواد الزراعية ، بالاضافة الى كل ذلك فان الشعور الذي استبد بالاهتمام طويلا داخل شبه القارة الهندية بما فيها الهند والباكستان وذلك بالنسبة لهذا الموضوع ، هذا الشعور كان داعيا حقا الى الخوف على مصير المشاريع الانمائية التطورية بمجموع المنطقة ، ومن المعلوم ان هذه المشاريع تعتمد في جوانب منها على محصول العملات الاجنبية الثمينة التي تدرها مبيعات القطن وغيره من المواد الى بريطانيا والدول الست ، وقد يبدو من اللازم ان يطرأ على نظام هذه المبيعات مايؤدي الى انخفاض العرض وسوء الاحوال التي يتم فيها البيع او التبادل ، وذلك كنتيجة حتمية لالتزام المملكة المتحدة بنظام السوق الاوربية ، وبالتالي ضياع المنافذ البريطانية التي كانت دائما متفتحة لاستيعاب جميع الواردات الآتية من اقطار الكومونولث ، لكن الذي اخذ يتراءى بعد ذلك انه من الممكن ان تتحسن الظروف في هذا المضمار وخاصة بالنسبة للهند والباكستان اللتان حصلتا خلال مفاوضات بروكسيل على وعود مطمئنة ومشجعة ، وقد قامت الهند بهذا الصدد بمساع حثيثة ومتواصلة لدى الدول التي يعنيها الامر ، بل ان وفدا هنديا رسميا قد طاف سنة 1959 بمختلف انحاء اوربا الغربية وبذل الكثير للوصول مع فرنسا وايطاليا وبلجيكا والمانيا الى اتفاقيات تجارية خاصة تضمن وضعية معقولة لكلا الطرفين ، بيد ان التطورات المثيرة التي حدثت اخيرا في موضوع العلاقة بين بريطانيا والسوق المشتركة وامكانية ابتعاد المملكة المتحدة عن حظيرة السوق ، ثم الاحتمال بان تدخل في سوق اخرى تتالف منها ومن الولايات المتحدة ودول اطلسية اخرى بما فيها اسبانيا على ما يمكن ان يفترض ان جملة هذه التطورات اذا ما افضت الى اي انفصام بين لندن والدول الست من شانها حينئذ ان تحدث

تعديلا جذريا على مختلف الافاق التي كانت تحتمل من قبل وتقود الهند ومجموع دول الكومونولث الى استخلاص العبرة من كل ذلك والقيام بمراجعات راديكالية للمواقف التي ما برحت تتبناها في هذا المضمار .

* * *

على ان ارتباط الهند بمجموع هذه الاوضاع سواء في ذلك انتسابها الدائم الى رابطة الشعوب البريطانية ، او احتمال تطور العلاقات بينها وبين منظمة السوق المشتركة ، وسواء في ذلك ايضا صلاتها المتينة بقرنسا والعالم الغربي بوجه عام وعلائقها مع الاتحاد السوفياتي من جانب آخر ، كل ذلك لم يكن من شانه ان ينسيها حقيقة الواقع الشرقي الاسيوي الذي يميز شخصيتها الخاصة ويحدد مصيرها الدولي والعالمي بصورة حاسمة ، وكل ذلك لم يكن من شانه ايضا ان يحول بينها وبين الالتزام اشد ما يكون الالتزام لمبدا الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، بل والتمسك بذلك الى ابعد الحدود راقصاها وتتلقى الهند مساعدات دولية من جميع الجهات في الشرق او الغرب ، فقد استنفدت من الولايات المتحدة خلال العشر سنوات المتراوحة من عام 1951 الى عام 1961 استنفدت ما يفوق ثلاث مليارات ونصف من الدولار ؛ واستفادت من بريطانيا ما يقارب مائة وخمسة وعشرين مليون جنيه استرليني ، ومن المانيا الغربية ما يناهز مليارا ونصفا من المارك الالماني ، اما الاتحاد السوفياتي فقد حصلت من مساعداته خلال سبع سنوات ما يقارب قليلا ثلاث مليارات من الروبلات الجديدة ، هذا علاوة على مساعدات وقروض اخرى استخلصتها من اليابان وتشكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وبولونيا والبنك العالمي وجهات دولية اخرى من هذا القبيل ؛ غير ان اية واحدة من هذه المساعدات التي استقبلتها الهند في فترات مختلفة لم تستطع ان تؤثر على وجهتها العامة ولم يكن لها ان تساهم في تعديل الروح الاساسية التي تحدد هذه الوجهة وتمنحها صبغتها المميزة ، فالحياد الهندي لم يزل دائما على مستواه المعهود على الرغم مما تواجهه الهند كنتيجة لمجاورتها للصين واشتداد حدة المنافسة بينهما في مختلف الميادين ، ويتميز الحياد هذا كما يبدو ذلك جليا من استقراء الظواهر العامة بتميز بدقته واستعداداته الكبيرة للمصابرة والتحمل ولعله يستمد بعض هذه الخصائص من طبيعة التفكير الهندي التقليدي ، ومن مؤثرات العقلية الا عنفية التي تتحكم احيانا في توجيه سلوك المسؤولين الهنود كما يتجلى ذلك من مواقفهم تجاه الصين ، وكما يتمثل ايضا في صبرهم الطويل بالنسبة الى قضية « كـوا » وبقية الجيوب البرتغالية السابقة ، لكن من جانب آخر فان المرء يحار احيانا في تعليل بعض مظاهر السياسة الهندية وخاصة من ذلك ما يتصل بموضوع الحركات المناوئة للاستعمار سواء في هذه المنطقة او تلك من مناطق العالم الثالث ؛ ذلك ان هذه الحركات وان كانت تلاقي في العادة تاييدا معنويا من الهند ومساندة ذات صفة مبدئية ، الا ان هذا التاييد والمساندة لا تتجاوزان في الكثير من الحالات نطاقا محدودا قد يضيق احيانا الى درجة كبيرة جدا ؛ فهل من الجائز ان ينسب هذا الى عقلية اللاعنف التي قد تؤثر احيانا كما اسلفنا في تحديد بعض وجهات النظر الهندية ؟ وان كانت هذه العقلية قد كادت تفقد فاعليتها نهائيا بصدد الموقف الذي اتخذته الهند منذ سنين في موضوع الحرب حول « جامو » و « كاشمير ») أم ان الامر قد يكون ناشئا عن شدة الالتزام لمبدا الحياد ، على اعتبار ان الفكرة الحيادية الدقيقة من شانها الا تبيح الاقدام على ممارسة التدخلات العنيفة ولا تتفق مع مبدا التساهل في مراعاة القوانين الدولية ولو لاسباب وجيهة كالاعتراف بحكومة ثورية وطنية في المنفى او ما هو في حكم ذلك من قريب او بعيد ؟

كيفما كان الامر في هذا المجال وبغض النظر عن هذا الاعتبار او ذاك فان الهند مع ذلك قد استطاعت في كثير من الحالات ان تمارس نوعا من التاثير الايجابي غير المباشر على تطورات الاوضاع في العالم بما في ذلك الاوضاع الاستعمارية ايضا ، وهذا بالنظر لامكانياتها الذاتية العظيمة ، وبالنتيجة ايضا لسياستها الاقناعية السلمية وسلوكها المرن القابل للتلاؤم ، او على الاقل اجتناب التصادم مع الكثير من وجهات النظر الدولية القائمـــــة .

على اننا اذا ما حاولنا ان نبلور الجانب الاكثر اهمية في مجال السياسة الدولية الهندية فاننا لا نجد ذلك في مؤازراتها للشعوب الصغيرة المناضلة بقدر ما نجده على نطاق اوسع في عملها الدائب من اجل التوفيق بين الدول الكبرى ومساعيها المتلاحقة ضد ازدياد مظاهر التوتر الدولي سواء اكان هذا التوتر يبدو كنتيجة لانفجارات ذرية تجريبية ، او كان ناشئا عن مصادمات لفظية او نزاعات مسلحة او غير ذلك ، وقد لعبت الهند دورا هاما في الظروف الحاسمة التي ادت

الى انهاء حرب كوريا ، وذلك في نطاق سياستها العامة القائمة كما ذكرنا على تفادي الاصطدام بين الدول الكبرى وتلافي العواقب التي يمكن ان تنشأ عن حدة التناقضات السياسية والايديولوجية بين الجهات الدولية الاساسية المتنابذة في العالم ، وكما كان للهند دور بارز في ظروف نهاية الحرب الكورية وذلك الى حد ان السلطات الهندية نفسها هي التي تولت الاشراف على ترحيل الاسارى الصينيين والكوريين الشماليين الى اقطارهم الاصلية ، فان دلهي كذلك قد سلكت سبلا ايجابية ملحوظة في موضوع حرب الهند الصينية وسارت بعيدة في مجال التوفيق بين الاطراف المعنية في النزاع المسلح الذي كان قائما بالمنطقة ، وعندما تم التوقف عن اطلاق النار بين القوات الفرنسية من جهة وثوار الفيتمينة من جهة اخرى كان الوفد الهندي هو المضطلع برئاسة لجنة الهدنة التي عهد اليها بالسهر على تطبيق الاتفاقيات المعقودة بجنيف سنة 1954 .

وما زالت سياسة الهند التوفيقية بعد ذلك تتطور اتجاها وتتسع افقا وتنزع الى استيعاب مختلف المشاكل العالمية الكبيرة ، كالتسابق النووي ، ومناطق الاحتكاك الدولي ، وفكرة اللجوء الى الحرب لفض المنازعات وغير هذا وذاك مما يستبد باهتمام العالم ويؤثر على اوضاعه ، وقد يكون مما يلائم طبيعة هذه العقلية التوفيقية ان تنجح الهند في الاتفاق مع الباكستان حول معضلة كاشمير المزمنة اذ انه لا يبدو مفهوما جدا ان تعجز دولة تتركز كل اهتماماتها على قضايا التوفيق والملاءمة بين اقطار العالم ان تعجز مثل هذه الدولة عن حل مشكلة تعتبر الى جانب النزاع مع الصين من اكبر المشاكل الدولية التي تمسها في الصميم .

وقد امكن للهند ان تصل في دائرة التعايش السلمي الى تصفية معضلات حادة مع منازعيها من الدول الكبرى ، ولم تتوقف في ذلك على معارك او اصطدامات واسعة ومن اهم الامثلة على ذلك قضية المراكز الفرنسية السابقة بالهند التي استطالت السيطرة الاجنبية عليها زهاء قرنين ، ولكن ما ان ارتقت الهند الى درجة الاستقلال سنة 1947 حتى بدات المفاوضات حول هذه القضية بين باريس ودلهي وما زالت التعقيدات تزاح حول الموضوع حتى اعترفت فرنسا سنة 1954 بالاستقلال الواقعي لهذه المناطق ، ثم بالاستقلال القانوني لها بعد ذلك بوقت طويل ، والذي يبدو معقولا جدا ان ضرورة الوفاق مع الباكستان الجارة الكبرى هو اهم بكثير من اي حالة وفاق معينة تحصل على الدول الاخرى ولو ان مبدا المسالة على العموم يجب ان يسود في الاحوال المعقولة جو العلاقات العامة بين امم العالم وشعوبه ، ولعل من بين احسن التطورات الايجابية التي اسفر عنها لحد الآن واقع الصراع الدامي مع الصين ان بدات افاق محدودة للتفاهم تلوح من بعيد بين الهند والباكستان وعلى الرغم من ان المفاوضات الاخيرة حول المشكل لم تفض بالفعل الى نتائج عملية فان الامل لا يزال معقودا على الامكانيات السيكولوجية الحسنة التي اصبحت تتوافر عند الجانبين ، هذه الامكانيات التي من اللازم ان تقود الى انهاء نزاع طال مديدا ولم يكن هناك موجب معقول يقضي بضرورة استطالته ابعد مما تقدم .

ان التطورات الحديثة بآسيا وخاصة على صعيد العلاقات بين « بيكين » و « موسكو » وفي مجال السياسة الشيوعية الصينية خاصة ، هذه التطورات من شانها ان تقود مختلف القادة في الشرق الاقصى الى مراجعة ستراتيجيتهم السياسية والديبلوماسية وتكييف هذه الستراتيجية على ضوء الحقائق التي تنم عنها التطورات الواقعة والافاق والارهاصات التي تترای من خلال كل ذلك ومن دون ريب فان تحولا فكريا من هذا القبيل لابد ان يكون قد اصبح ذا تاثير على قطاعات هامة من الراي العام بشبه القارة الهندية الامر الذي من الطبيعي ان يساعد على افتتاح سبل امام المشكلة القائمة بكاشمير ، ويبعث على التماس حلول معقولة لها وبصورة حاسمة الا ان الذي سيبقى اساسيا في الموضوع هو ان تزداد عوامل هذا التحول وتتركز حوافزه على اصول غير واهية او متارجحة وذلك ما من شانه ان يؤدي الى توضيح كثير من الاحوال بمنطقة المحيط الهندي وشرقي القارة الاسيوية ويذهب بقضية السلام والاستقرار الدولي في هذه الربوع بعيدا الى الامام .

سلا : المهدي البرجالي



هذا محمد شعبه وحبيبه..
في صورة الحسن العظيم الثاني..

للشاعر: عبد الرحمان الدكالي

لك مهجتي وقصائدي وبياني ... يا ايها الحسن العظيم الثاني

فرض علي لكل حفل وقفة ... تقضي حقوق العرش والاوطان

لا اكون شاعر امة مغلوبة ... فاذا استقلت لم اكن بمكاني

كم قلت في اعياد عرش محمد ... يا شعب لذ بالعرش والسلطان

يا شعب انت محرر بمحمد ... لا تخش من ظلم ومن طغيان

ما ربع قرن في الجهاد بهين ... احداثه اهواله ديواني

كم من قصائد صغتها ونظمتها ... عقدا من الآلام والاحزان

هيهات ينسى ما مضى من محنة الـ ... ـايام رغم تباعد الازمان

ما محنة الماضي سوى أس لما ... يبنيه للاجيال هذا الباني

هذا الذي عاش الخطوب وكان في ... تلك المعامع سيد الفتيان

هذا الذي ما شم عطر شبابه ... وزهى به في ناصع الالوان

هذا الثبات على المبادىء حينما ... كثر العثار وزلت القدمان

هذا الكبير بهمة علوية ... هذا القوي العزم والايمان

هذا محمد شعبه وحبيبه ... في صورة الحسن العظيم الثان

مولاي ان الله جل جلاله ... يرعاك في سر وفي اعلان
فابلغ بشعبك كل ما املته ... فرجاؤه ما فيك من ايمان
واليك بعد الله ارجع امره ... فالامر امرك قائم البرهان
انجزت عهد محمد فمحمد ... راض عليك بجنة الرضوان
ما عيد عرشك مهرجان قائم ... بل سره حبان ممتزجان
شعب اردت له الحياة كريمة ... وتسوسه بالعدل والاحسان
شعب احب اباك حبا خالدا ... وفداه بالارواح والابدان
شعب رءاك بجنبيه متمسكا ... بالحب والاخلاص للاوطان
شاركته في كل معترك وكنـ ... ـت امينه في صولة العدوان
ما زلت في المنفى تواسي اخوة ... وتحوط اسرة ملكنا بحنان
الشعب لا ينسى امير المومنيـ ... ـن مواقف الابطال في الميدان
والشعب يعرف انه بك مدرك ... في الدين والدنيا اجل مكان
فاهنا بعيدك بل بشعبك انه ... شعب وفي مخلص متفاني

يا ايها الحسن الامام المرتجى ... للعدل للاصلاح للعرفان
احييت في شهر الصيام لياليا ... تحيي اجل مقاصد ومعاني
وتتبع الشعب الكريم دروسكم ... في السنة الغراء والفرقان
في كل جمع كنت تسمع مثنيا ... يثني على الحسن الحبيب الثاني
بالدين يا مولاي ترفع شاننا ... فبه الهدى والرشد للانسان
الله قسم خلقه من ءادم ... قسمين في هذا الوجود الفاني
سعداء من شهدوا بدين محمد ... في الارض اضحى ناسخ الاديان
والاشقياء هم الذين اذا رأوا ... نور الهدى فروا الى البهتان
الحق يزهق باطلا ويبيده ... والحق يعلو ساطع البرهان
لله هذا الدين وحي منزل ... وحديثه الباقي على الازمان
دين التساوي والعدالة والاخا ... والنصح والاخلاص والاتقان
دين الجديد من الحضارة والقد ... يم تراهما بالحق يلتقيان
ما احوج الدنيا لدين محمد ... لبناء صرح المجد والعمران
يدعو الجميع الى عبادة واحد ... ويكرم التقوى من الانسان
لا ميز بين بنيه لا عصبية ... بين القبائل او على الالوان
الله اكبر كم جنت من هديه ... امم وكان لها اجل ضمان

مولاي يا مجد البلاد وعزها
يا سيدي يا فارس الفرسان

ارضيت ربك والرسول ودينه
اثنت عليك ملائك الرضوان

ولسان حالك قال قولة صادق
: اني اصون الدين فى اوطاني

اعلي منار العلم ارفع قدره
هذا لعمرك فى الحقيقة شاني

شعبي نظمت صفوفه كقلوبه
ان قدته فى مممع ارضاني

شعبي اريد له الحياة عزيزة
يكفيه ما قد مر من حرمان

فليستردن الذي قد ضاع من
امجاده فى غير ما ميدان

وليبرزن الى الوجود معبأ
بالعلم بالاخلاق بالايمان

الله حسبي فى الجهاد لاجله
حتى ينال مراده بزماني

ولينصرن الله من نصر الهدى
وينال ما يرجو من الرحمان

مولاي يا حسن البلاد وروحها
يا سيدي يا رافع الاوطان

لله ما حققت من ءامالنا
بالصلح بين الاهل والاخوان

المغرب العربي فى اقطاره
لا لن يكون ضحية الاضغان

توحيده فرض على ابنائه
وبه اذا ما تم حفظ كيان

مولاي هذا الشعب شعبك كله
جيش وراءك ليس فيه الواني

لكن الاستقلال ليس بثابت
ما لم يصن بالجحفل الصوان

لا نستظل بظل وحدتنا ولا
نرضى بالاستقلال دون ضمان

لا يحتمي قوم بالاستقلال ما
لم يفخروا بفيالق الشجعان

جيش البلاد مجهز ومنظم
هو حصنها من اي ما عدوان

اني لاكبر فى الجنود محبة التـ
ـعليم والارشاد والتبيان

فى ظرف عامين انمحت امية
فالكل يكتب درسه ببيان

سبعون بيتا للصلاة تهيأت
بجهودكم لعبادة الرحمان

لله ما ابهى الجنود توجهوا
لصلاتهم بعد استماع اذان

جيش من الشعب الكريم محبب
اعماله للشعب للبنيان

مولاي هذا قصدك الاسمى وما
يبنيه للاوطان نعم الباني

مولاي ان قصيدتي عنوان ما
لك فى القلوب وطي كل جنان

هي نقطة من ذلك البحر الذي
اعيا فحول الشعر بل اعياني

ان كنت قد احسنت انت وهبتني
شعري وقد بلغته بلساني

وانا الخديم كما عهدت لعرشكم
ديني الوفاء وحبكم ايماني

عبد الرحمن الدكالي

بمثلك تزدان العروش

للشاعر: إدريس الجاي

وفائي لهذا العرش ما كنت تعهد ... وحبي لاحفاد (الشريف) مؤبد

الا فاشهدوا ان الوفاء شريعتي ... لمن قلدوا الفخر التليد وقلدوا

اذا ما طوى التاريخ امجاد غابر ... فمجدهمو فى الغابرين مخلد

بهم عز آبائي واني بعزهم ... اباهي ملوك الخافقين فاحسد

اذا انتسبوا صلى عليهم مسبح ... وان ينتموا فالاطلس الفرد محتد

يجدد منهم قائم مجد راحل ... متى غاب منهم فرقد لاح فرقد

فهم سؤدد من سؤدد كان قبله : ... كذا الحسن الثاني ابوه محمد

مليك اذا ما قيل : اين نظيره ؟ ... اجاب لسان الدهر : تالله مفرد

بمثلك تزدان العروش فتزدهي ... ويفرح شعب بالاماني ويسعد

وما تاجك الوهاج بالدرس ساطع ... ولكنه بالمكرمات منضد

سلوا عن امير المؤمنين مناقبا ... ستبقى على الايام تروى وتحمد

كحزم امير المؤمنين وعزمه ... اذ الافق فى ليل النوائب اسود

فما غره برق الوعود ولم يهب ... وعيدا اذ العرش العتيد مهدد

ولا غربة المنفى الانت قناته ... وما شوكة المغوار فى الخطب تخضد

اما كان صديق الهمام (محمد) ... يشد به أزر الكفاح ويعضد

الم يك فى عين البغاة وحزبهم ... قذى سهروا منه الليالي وسهدوا

بلى ؛ يشهد الاحرار شرقا ومغربا ... وحتى العدى كرها بذلك تشهد

صرامته فى الحق اعشت عيونهم ... كذلك يعشي اذ يسل المهند

لكم رد فى نحر المراوغ كيده ... وكان له الراي الذي لا يفند

ذكاء اياس فى جـراءة خالـد   وثاقب فكر كالـهـام مسـدد
صبور عنيد ، لا يشـاء مشيئـة   من الامر الا والقضـاء مؤيـد
على الدين قوام ، وللحق ناصـر   وبالبر امـار ، وللخيـر مرشـد
كذلك فخر الملك من نقتدي بـه   ونفـرح فى افراحـه ونعيـد

❊ ❊ ❊

امولاي طاب المدح فيـك واننـي   وحقك لولا الصدق ما كنت أنشـد
ولكن عيد العرش هز قريحتـي   فطاوعني شعري ، وكـم يتمـرد
فامسكت قيثاري وقلت ترنمـي   عرائس شـعري فالطيـور تغـرد
وارز بلادي مال فـوق جبالهـا   تـرنحـه انفـامـه وتـؤود
واعلامنا الحمراء للعيد صفقـت   تداعبهـا انسامـه وتهدهـد
وانجمها الخضراء وشت جمالهـا   كما ازدان بالشامات خـد مـورد
شقائق نعمان الاماني يغـار مـن   براعمها الخضـراء ذاك الزمـرد
شعار بلادي ، رمز مجدي وعزتـي   حماه من الابطال ملـك مسـود
وشعب عريق فى الشهامة ان دعـ   ـاه داعي فداء العرش لا يتـردد
وان ضيم بارى فى النضال كماتـه   نساء وولدان ، وشيـخ وامـرد
فهب كاعصـار من اللـه عـارم   يزلزل صرح البغي ، يبرق يرعـد

❊ ❊ ❊

ويوم يد الانذال مـدت لعرشنـا   وما عرشنا ممـا تمـد لـه يـد
ضربنا بعرض الكارثات فلو لهـم   فآمن بالابطـال من كـان يجحـد
فلم يغنهم كيد وبطـش وخدعـة   وما حشدوا من غادرين وجنـدوا
فلما التقى الجمعان باءوا بخزيهم ،   ومن مثلنا يوم الكريهـة يصمـد ؟
فعاد لنا الملك الهمام واسرة الهمام(م)   بالاستقـلال ، والعـود احمـد
وها نحن والنصر المبين حليفنـا   ومن حول رب العرش جند مجنـد
سنبني امير المؤمنيـن بعزمكـم   على هامهم صرح العلا ونشيـد
ونرفع ما هد الطغـاة وقوضـوا   ونصلح ما كان الثعالب افسـدوا
مضى امسنا المشؤوم ، فاليوم عيدنا   واروع منه ـ عشت ياملكي ـ غـد
ومن يعتصم باللـه وابـن محمـد   فلا بد عقبـاه القريبـة تحمـد

امولاي بالاصلاح عهدك حافل ... وما كنت غير الخير للشعب تنشد

وكللت بالدستور الف فضيلة ... فما انا محصيها ولست اعدد

دابت على الشورى فكنت زعيمها ... وكان لها فيك النصير المؤيد

وقد قال للدستور شعبك : اي نعم ... لما قلت ان الشعب حر وسيد

ولقنتنا انا كرام اعزة ... وان اباة القيد لن يتقيدوا

ومثلك من يرعى كرامة شعبه ... ومن مثلك الافضال ترجى وتعهد

قدم يا امير المؤمنين زعيمنا ... ومن خلفك الاحرار صف موحد

على يدك البيضاء كم ادرك المنى ... رعاياك ، نعم البر ولتسلم اليد

فان محضوك الحب فالشكر واجب ... ومن يزرع المعروف لابد يحصد

❊ ❊ ❊

ليهنا امير المؤمنين بعيده ... ولا زال في اوج السعادة يصعد

ولا زال محفوفا باكرم هالة ... من الامراء الامجدين يمجد

ولا زال عيد العرش للشعب موسما ... تعاد به افراحنا وتجدد

الرباط : ادريس الجاي



وارث السر !!

للشاعر: المدني الحمراوي

الى ملك اعجزت آيه — عباقرة المجد والعزة
الى الحسن الاحسن المرتضى — معز العروبة والملة
الى وارث السر فى مهده — ونادرة الدهر فى الفطنة
الى ابن الرسول ونفحته — سليل الطهارة والعفة
اليك من القلب تهنئة — تحيط بها هالة الغبطة
بعيد جلوسك - في هيبة - — على عرش آبائك الجلة
على عرش عز رفيع الذرى — عريق الدعائم فى الرفعة
فانت - وحق السما - كفئه — بما نلت من رائع الحكمة
الست المليك الذي ابدعت — مواهبه باهر الخطة ؟
الست الحكيم الذي اخرست — شمائله ناعق الفتنة ؟
جعلت من الحكم شورى فلم — تسسه - كغيرك - بالقوة
وشرعت دستور حق شفى — باحكامه غلة الامة

دعوت فقلت نعم قولة — محت باطل الافك والشبهة
تناقلها الشعب فى فرحة — وطار بها البرق فى لحظة
فسرت بها امة حرة — وساءت دعاة الى الفرقة
فيالك من مالك منصف — يقارع بالحق والحجة
ويالك من سيد ماجد — تذرع بالحلم والرحمة
وتلك لعمري احدوثة — قتلت بها ساسة القسوة

تبلج عهدك فى افقنا — صباحا تهلل بالبهجة
فعاد به امل مشرق — واينع غرسك فى ضحوة
توالى نجاحك مسترسلا — فتم لك الفوز فى وثبة
« جلاء » و « تعبئة » اثره — وفوز الجزائر بالمنية

ودستورك الحر اعقبته ... بسعي حميد الى الوحدة

تلاقت وفود هنا جددت ... عهود الاقارب والاخوة

بفضلك تمت لها بغية ... بجمع القلوب على الالفة

فكان التصالح فى لحظة ... وعاد الوئام بلا كلفة

وتم الاساس على وحدة ... تضم المغارب فى زمرة

فابشر بشكرين : شكر الورى ... وشكر الاله على الخطة

وطب يا همام فؤادا فما ... راينا قريعك فى الحلبة

ويا قوم من مثلكم امة ... لها مالك فاز بالذروة ؟

كذا فليكن من اراد العلى ... لعرشه والعرب والامة

كذا يكتب الفخر بين الورى ... ويكتب في سيرة الدولة

ولكنها رتبة خصصت ... ببيت النبوءة والامرة

فان افلح الحسن المرتضى ... فذاك ارث بلا كلفة

ومن كان آباءه جلة ... من الرسل يكمل فى لحظة

وهل يعرف النقص فى عترة ... لهم شرف القرب والحظوة

فيا حسن اسلم لشعب يرى ... حياته فيك بلا مرية

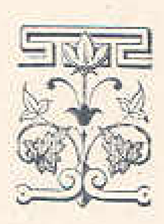
ومات بغيظه ذو احنة ... يجادل فى الحق بالفرية

اليك انتهى كل فخر اذا ... تفاخر قوم بلا حجة

عليك القلوب حنت كلها ... ولو قدرت كنت فى الحبة

فيا ابن الرسول عليك الرضى ... عليك السلام بلا منة

الرباط : المدني الحمراوي



ذبت في الشعب فارتضاك وليا

لشاعر الثورة الجزائرية : مفدي زكرياء

انـا ـ لولا الفدآ ـ وحـق شبابك   باعث الشعب ـ ما خشعت ببابـك

ولـو ان الرحـاب ما كنت فيهـا   تصنع المجد ... لم اصل برحابك

فيك قدست ـ مذ عرفتك ـ نبلا   عربيـا ... كم عـز فى اترابـك

فيك خلدت عبقـرا يلهـم الفكـ   ـر ، فيختط نهجه من صوابـك

وضميـرا يشـع مـلء حنايـا   ك ، وروحـا تموج مـلء اهابـك

وشبـابا موفقـا يصـدع الغيـ   ـب ، فتجري الامور طـوع طلابـك

وحفاظـا ، يصـرف القـدر العـ   ـاتي ، فينساب عدله بانسيابـك

وبئـآل الرسـول شـرفـك اللـ   ـه ، فشرفـت آلـه بانتسابـك

ذبت فى الشعب فارتضاك وليـا   ومضـى للحيـاة خلـف ركـابـك

مذ تناسـى الملـوك حرمـة شعب   ضيعـوه ... لم تنسه من حسابك

ودعـا للفـدا ... فكنت المجلـي   وتنـادى ، فصلت قبـل جوابـك

وابتغـى الحكـم فى المصيـر فقـرر   ت ـ وفـاء ـ مصيره بانتخـابـك

فيك كـم حقـق ابن يوسف عهـدا   يـوم حققت عهـده فى انتدابـك

فيـك آمنـت بالتنـاسـخ لـمـا   أن تبينت روحـــه فى ثيـابـك

اعذروني ـ ان شئتم ـ او فلومـوا   انـا الهمت حجتـي مـن خطابـك

انـا صدقت يـوم صدقت بالشعـ   ـب ، وقدست وحيـه فى كتابـك

انـا ايقنت يـوم ايقنت ان الـ   ـحكم للشعب وحده ... فسما بك

ورايـت الملـوك تحتكـر الامـ   ـر ، ففوضت أمره ... فاحتمى بك

ملك الصاعدين ... ان جاد شعري   فيك ـ مولاي ـ فهو مـن آدابـك

واذا قمـت فى مغـانيـك اشـدو   ان للقلـب شعبـة فى شعـابـك

وطنـي مغربـي ... واهلي بنـوه   ان ما بـي من حبه ... مثل ما بك

ذكـريات ملء الحشى ـ خالـدات   عـابقـات ، نـديـة كـترابـك

سوف القاك بعـد (عشر) بأرض(*)   شاقهـا الوجـد حرمـة لجنابـك

بلـد جـل فى فـداك فـداه   وتعـالـى غـلابـه مـن غـلابـك

اينما كنت ... انت فى المغرب الحـ   ـر ، وبيـن الاباة مـن أصلابـك

رضى الله عنك .. ما دمت تبنـي   وحـدة عـزهـا كعـز شبـابـك

الجزائر : مفدي زكرياء

(*) يشير الشاعر الى الزيارة التي يقوم بها العاهل الكريم الى الجزائر الشقيقة

الظلام والأحزان

للأستاذ : محمد السرغيني

كان الليل معتما كأنه يريد ان يلف هذه المرئيات في عمى متصل ، واغلب الظن ان المصابيح النابتة على رؤوس الجدران الخربة القديمة ، والخيوط الضوئية التابعة من مرابض تقف بتحد على واجهات الشوارع فيما يوازي الافق ، كانت هي الاخرى متضامنة مع هذا العمى الليلي الحالك .

لم يفتر هذا الليل عن شرارة ضوء : النجوم والكواكب اللامعة منطفئة ، وكل شيء منبثق من الاعماق يفشل في امواج القتامة الابدية .

كانت الشوارع القديمة الضيقة في فاس تسترخي مستلقية في حضن سراب ظلامي كالح ، فكأنها كانت تتاوه من ثقل الشعاعات الكهربائية الخاطفة ، تلك التي تمحو عنها روعة الماضي وجلاله .

في هذه الاثناء ، كان رجل متهرىء يزحف وراء حماره : عمامة خلقة ترسو بغير عناية على صلعة اجهد في ان يغطيها ، وراس تقبع في سواحله شعريات بيضاء بينما يكتسح الصلع كل ما يوازي العمامة في قمته ، ووجه مثلث ناتيء العظام ، وفم ذو لثة جوعية حين ينفتح عن اسنان مطحلبة غير منتظمة ، وعينان غائرتان تندران بالضياع ، وهما تطلان من القمة على انف مستطيل معوج الى اليسار من ارنبته .

كان هذا الرجل على العموم ذا سحنة بربرية ، تفصح قامته الصفصافية وتجمد بشرته على العظام ونتوء العروق من اغلب ما ظهر من اعضائه عن ذلك ، كان يزحف وراء حماره ، من غير ان يسمع حفيف وقع قدميه المنتعلتين حذاء مطاطيا ، اما حماره ، فقد كانت الصفائح الحديدية الاربع التي تتشبث بحوافره ، تحدث نقيقا منتظما وهي تصطدم بالحجارة الغرانيتية التي رصفت بها شوارع فاس القديمة .

وصاح صيحة مكتومة وهو يتحسس الحائط بيده ، بينما يدفع حماره باليد الاخرى ليستحثه على السير : (أراه يخيل الي ان ليس هناك غير الحمير) ، وتابع تحسسه للجدار الاجرب مظهرا برمه بهذا الظلام السائد ، وفكر :

(هذا الظلام لا يستطيع ان يستمر ، انا لا احبه ، ومع ذلك ، فهناك ظلام آخر ، ينبثق من خلال هذه الاشعة نفسها ، من (النيون) ايضا ، هناك ظلام ياتي من الاعلى ، ظلام يجعلني اكثر ارتباطا بهذا الحمار مني باي شيء آخر) ، وتنبه فجاة الى انه مدعو الى ان يبدد عن نفسه وعن الحمار ايضا هذه الزوبعة الحاقدة ، وساعدته ذاكرته على ذلك ، فبدأ يلهج بخفوت ببعض الاذكار والامداح النبوية ، وكان حينما يندمج بصوفية في اذكاره ، لا يلبث صوته ان يعلو ، فيتطاير شذرات مع تدواة الفجر لتتلقفه الجدران التي يخفيها الظلام ، كان مؤمنا : فقد كان لا يخرج حماره من مربطه الا بعد ان يكون قد انهى حسابه مع السماء ، وهو فوق ذلك : من الذين يقومون قبل الفجر ، ليرضي الله ، وليسبق الآخرين في البحث عن الخبز ، وحتى حماره ، كان يلقي منه معاملة شيقة : كان يملأ مدوده بأحسن انواع العلف ولم يكن ليتركه كنبتة برية يعيش ، بل كان يخضعه الى تقبل حياة منتظمة من اجل صحته ، من اجل ان (يحيح عليه) لانه ضمانته الوحيدة .

وتحرك وهو يتارجح على امواج الظلام ، ونهر حماره حتى سمع نفسه ، وحين جد الحمار في السير ، اخذ يسبح ويدعو متمتما :

(اللهم ارزقنا رزقا حلالا) ، واضاف بخشوع : اللهم صلي على الطاهر المطهر) ، وهنا بدا صوته يعلو برنة حزينة منغمة (اللهم صل على الشفيع المشفع . اللهم صل على صاحب التاج . اللهم صل على صاحب المقام المحمود) ، وخمد الصوت النغمي كانه اصيب باغماءة مفاجئة ، ثم ارتعش من جديد اقل خفوتا من السابق ، ولكنه غير منغم : (هـذا الصباح مبارك : تدواته وروعة ظلامه ، والاذان الفجري الذي جلجل فى سكونه ، كل هذه الاشياء تدل على البركـة . يـا رب الارباب ، يامن عنده علم الكتاب ، يا مقسم الارزاق) ، وتفل فى يده رشاشا من ريقه ، وقبل اصابعه بحنان ، كما يفعل الذين يحصلون على اول درهم فى الصباح .

كانت بعض الخيوط البيضاء قد بدات تتسـرب الى الافق ، كاشفة بروعة ذلك الحقد الملتهب الـذي اشاعه الظلام فى كل ارجاء هذه المدينة القديمة ، كـان هذا البكور رائعا فى عيني الرجل ، اذ انه كان يتلقـى بشهية جائعة طراوة الريح وهي ترتطم بوجهه ، وتتكسر على المباني العتيقة التي يمر بها ، وكلما ازداد الاشراق وضوحا ، الا وازداد تعلقه بتلك الحمرة الواهنة وهـي تتحشرج فى الافق كانها احتضار . وصل الرجل الى البطحاء ، فامتدت عيناه الى مـسافات شاسعـة مـن السماء ، كانت الجدران الخربة والاسطح العالية قد حجبتها عنهما ، ودقق النظر فيها ، وضـاع فى نوبـة تلاش فى روعتها : كان هذا الرجل ذا نزعـة صوفيـة سطحية ، ولم يكن ذلك ليمنعه من التغلغل فى كل روعة بشكل وجداني يوحد ذاته بها .

وعاد متهالكا على اذكاره وتهويماته : اللهم بجـاه هذا الصباح المشرق ، ارزقنا ما يحفظ علينا الحياة ، اللهم صـل على خاتم الانبياء) . وصل الرجـل الـى سوق الخضر متهلل الوجـه ، ضاحـك الاساريـر ، واختلط مع حماره بهذا الضجيج النملـي ، وبتلـك الروائح العفنة التي تتصاعد من وسط هذا الســوق الواســـــع .

كان سوق الخضر الكبير الرابض وراء السجن المدني فى فاس ، خلية نحل تنزع من الصباح المشرق على هذه الناحية ، كل الابداع الذي يهل به على الناس، بعد ليل محمل ببعض قـساوة حرارة النهار : النـاس يتناكبون فى كثير من العداء ، ورائحة الدراهم تفضح ان هناك كثيرا من الخداع والخيانة ، والحلوق الجافة والوجوه الصفراء ، ترغي من اجل الحصول على كسب جديد ، والواقع ان هذا السوق كتلة بشرية للتدليس باجزة حكومية ، يدل على ذلك تلك الاكوام المتراصـة من الخضر النتنة التي تباع للانسـان الادون .

كان الرجل يذرع وسط السوق بعصبيـة ، وكان ينظر الى الحمير المتربصة للخضر المباعة بحقد ، وارتاع حينما شاهد المربط الملوث بروث الحمير يكاد يجلو عنه اخر حمار مثقلا باحمال يرزح تحتها كما لو كانت قيدا يشده الى الارض . كان حماره فى هذه الاثناء منزويا ببلاهة فى عمق المربط ، يرفع راسه ويحركه من اليمين الـى الشمال بعنف ، فتصطدم قمتا اذنيه ، فيحدث ذلـك صوتا بليدا ، ونظر الرجل الى حماره باشفاق وتامل (على الاقل ما اسد به رمق الحمار ، ان البكم اجدر منا بكل عناية) ، ونقل عينيه الى داخل السوق الذي بدا يقفر شيئا فشيئا ، وابتسم ابتسامة صفراء يـداري بها المه ، وتعلق برجل كان يربت على جراب منتفـخ بالدراهم ، كان هذا الرجل يضع مع خصمه الصيغـة النهائية للاتفاق على البيع ، وتمت الصفقة : ظهر ذلك من الابتسامة التي سطعت من وجنتي البائع ، وتنهد الرجل بارتياح ، وكان يتهيا لاقل اشارة من المشتري ، ونظر الى حماره بحب ، وتصنع انه كان لاهيا عن هذا المشتري ، حين دفن خديه الى مـا يوازي عينيـه فى راحتيه ، وهو جالس على صندوق خشبي متآكـل ، ليلاحظ بنفاذ صبر آخر حركات هذا المشتري . وصعق الرجل ، حين غادر المشتري السوق متعجلا .

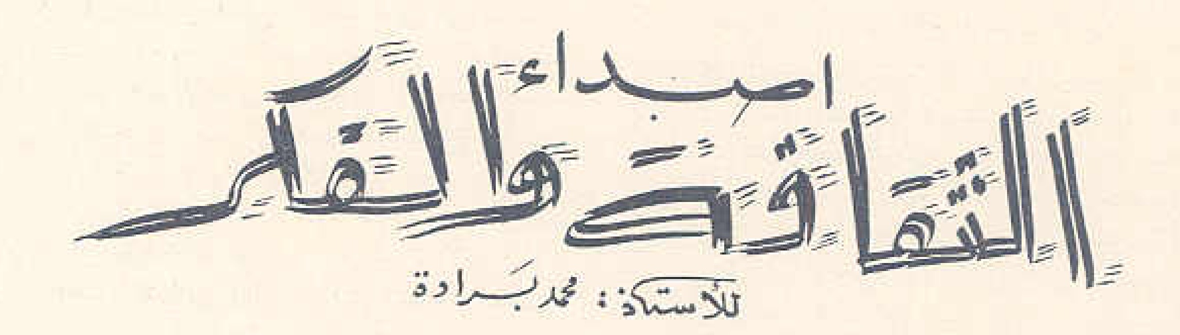
وكان لابد للرجل من الرجوع ، فقد كانت هـذه الصفقة هي الجولة الاخيرة ، ورجع منهلكـا على ذيـل حماره يلكزه بآلة حديدية مسننة .

كانت الشمس تذوب فوق قفا هـذا الحمـار ، هذه القفا التي يتكسر عليها العرق والذل والحاجة .

وبدات المباني والمرئيات تتـساقط امام عينـي الرجل : السجن المدني . اطلال تاريخية متهرئـة . المدرسة الثانوية . المحكمة العصرية . المتحف . الدور المتخمة الرابضة على اكمات ترية . وشتم بحقد :

(الناس حمير ، هذه مرابطهم) واشـار الـى المباني بحركة مسعورة واضاف : (ليست هناك بركة . ما جدوى كل هذه الاذكار والتهويمات ؟ هذا النهـار كان مكفنا فى اقماط ظلامية حين مولده . آه . الظلام . الظلام لا يمكن ان يحمل بشارة . الظلام ظلام دائما . الظلام ملعون ، وهو جزء من احزان الناس) .

فاس : محمد السرغيني



موسمنا المسرحي لهذه السنة

« انطلق سيئا »

ان الجملة الثانية التي اقتبسناها في عنواننا عن آخر كتاب اصدره الاخصائي الفرنسي « روني ديمون » تعبر بدقة عن حقيقة مؤلمة يدركها كل من تيسر له ان يشاهد المسرحيات التي قدمتها اهم فرقنا التمثيلية .. ولكي لانطلق الكلام على عواهنه ، فاننا سنحاول ان نقف قليلا عند كل مسرحية مثلت ، اعتبارا من بداية هذه السنة ..

هناك مسرحية « المصادفة » التي اقتبسها الطيب الصديقي عن مسرحية « لعبة المصادفة والحب » لـ « ماريفو » ملخصها ان شابا نبيلا خطب له والده فتاة لم يسبق له ان عرفها .. والفتاة حائرة تتطلع الى التاكد من اخلاق خطيبها ، فتتفق مع خادمتها على ان تتقمص شخصيتها ليتاح لها ان تطلع على سلوك خطيبها عندما يحضر لرؤيتها .. وبالصدفة يعقد الشاب نفس الاتفاق مع خادمه .. وليس هناك من يعرف السر سوى والد العروسة واخيها . وطبعا فان هذا الوضع المقلوب مهد السبيل لحبك مفارقات مضحكة ، استمرت مستولية على الجمهور الا فى الفصل الاخير عندما انكشفت العقدة للابطال باستثناء الشاب ، فهبطت درجة الحرارة ، واصبحت الحركة بطيئة خالية من الطرافة .. ويتوجب – قبل ابداء الملاحظات ان اسجل ان الاخراج والاداء كانا موفقين الى ابعد حد .. وان الجمهور ضحك كثيرا لحركات الممثلين والممثلات ، وللغة الدارجة المختارة التي صاغ فيها المقتبس حواره ..

وبما ان الراي الذي اعتمد عليه للحكم بالانطلاق السيء على موسمنا ، ينطبق على جميع المسرحيات الثلاث التي قدمت لحد الآن فانني اوثر ان الخص المسرحية الثانية وهي «اولاد العاقرة»، اما المسرحية الثالثة فلا تحتاج الى تلخيص لانها معروفة متداولة ، سبق لجمهورنا ان شاهدها عدة مرات .. واقصد مسرحية « مريض خاطرو » التي اقتبسها احمد الطيب العلج عن مسرحية موليير الشهيرة « الطبيب بالرغم منه » .

وحتى مسرحية « اولاد العاكرة » فانها ليست جديدة ، لان فرقة الاذاعة سبق لها ان مثلتها منذ سنتين .. وهي – كما قيل لي – مقتبسة عن فلم اجنبي .. ولعل ذلك هو السبب الذي لم يذكر من اجله اسم المؤلف او المقتبس .. « اولاد العاكرة » كوميديا من فصل واحد ، محورها زوجة عاقر ، تحتال هي واختها للحصول على اطفال ، تدعي انها انجبتهم لتتمكن من ارجاع زوجها الثري ، وجعله يقلع عن هجره ، والتفكير فى الزواج بامراة اخرى .. وفكرة البحث عن اطفال زاخرة بامكانيات الاضحاك .. والزوج المغفل لا ينتبه الى شيء من حوله ، الى ان ياتي آباء الاطفال « المستعارين » للمطالبة بفلذات اكبادهم ، فتنكشف خطط الزوجة ، ولكن قصدها النبيل يحمل الزوج على مسامحتها ، وتهز الاريحية آباء الاطفال ، فيأتون ليقدموهم هدية الى الزوجين العاقرين ..

لا شك أن القاريء لاحظ ظاهرة خطيرة يعانـي منها مسرحنا ، وهي انعدام المؤلفين المسرحيين عندنا تقريبـا .. فاهـم المسرحيـات المعروضـة مقتبسـة .. الا ان الاقتباس نفسه لايعفي من تحمل مسؤولية الاختيار .. فهل هي مجرد « مصادفـة » ان تكون المسرحيات الثلاث لهذا الموسم مقتبسـة ، ومحورهـا الاضحـاك ..

هل يعقل ان تصرف اهم فرقنا (وكلهـا تمولها مصالح حكومية) جهودها وامكانياتها ؛ لتقديم اعمال تسلي وتضحك ، من غير ان تنطـوي على أفكـار أو مشاكل مستوحاة من بيئتنا ؟

اني لا اتجاهل ـ وانا القي هذه الاسئلة ـ مايمكن ان يرد به اصحاب هذه المسرحيات من انعدام الجمهور الواعي الذي يمكن ان يقبل على الاعمـال الجـادة المميزة ، ومن اعتماد رجال المسرح على مدخـول « الشباك » .. كل هذه الاعتراضات لا تزيل عـن كاهلهم مسؤولية توجيه مسرحنا ، خصوصا اذا كانت هذه الفرق تتلقى مساعدات هامة من الدولة .

اننا لسنا في حاجة الى التذكير باهمية الـدور الذي يمكـن ان يلعبـه المسرح في توعيـة وتوجيـه الجماهير .. واذا كنا نعيش ازمة ثقافيـة شاملـة بما فيها المسرح .. فان فرص الخروج من الورطـة متاحة للمسرح ، أكثر من بقية فروع الفـن والفكـر الاخرى .. شريطة ان يحـرص المشتغلـون بالمسرح عندنا على الاخلاص والجدية .. وقد اثبتت بعـض المسرحيات الناجحة خلال المواسم الفارطة ، امكانية تقديم انتاج مسرحي نظيف يتوفـر على العناصـر اللازمة من حيث الاختيار والتوعية والترفيه . اذكر على سبيل المثال المفتش العام لجوجول التي اقتبسها الطيب الصديقي ، والطاحونـة من اقتبـاس احمـد الطيب العلـج .

وعندي ان ازمة « المسرح » التي أخذت تتضح بدورها ـ خلال هذا الموسم ـ ناجمـة عن عشوائيـة وانعدام تخطيط يقي من العثرات . ذلك أن المقاديـر التي تصـرف على الفرق المسرحية ضخمة ، ولكنهـا مبعثرة وغير مستغلة استغلالا يضمن للمجلة أن تدور الى الامـام .

فالى جانب ضرورة الحرص على حسن اختيار ما يقدم للجمهور ، هناك مطلب أساسي للصفوة المثقفة التي تتطلع الى مسرح يقدم الروائع ، ويتجاوب مـع تطورات هذا الفـن في مختلف العواصم الكبـرى .. ونفس الازمة عاشها المسرح في الجمهورية العـربيـة المتحدة ، ولكنه الآن اخذ يسير في درب حافل بالزهور والآمال نتيجة للتخطيطات الدقيقـة .. فقـد اعلـن هذه السنة ، بالقاهرة ، عن ميـلاد « مسـرح الجيب » الخاص بالمثقفين الذين يمكنهم مستواهم من تـذوق روائع المسرح العالمي ، وسيقدم مسـرح الجيب خلال هذا الموسم الاعمال الآتيـة :

- لعبـة النهايـة ـ تأليـف صمويـل بكـت .
- الكراسي ـ تأليف يوجين ايونسكـو
- دراسة عن مسرح انطون تشيكوف في المسرح العالمي مع مقتطفات ممثلة من مسرح تشيكوف
- القاعدة والاستثناء ـ تأليف برتولـد بريخـت
- دراسة عن المسرح الاغريقي وصداه في المسرح الحديث مع مقتطفات ممثلـة
- من مسرح الطليعـة المصـري

ان مثل هذه الخطوة من شأنها ان تساعد علـى بلورة ذوق مسرحي رفيـع ، وان تلقـح مسرحنـا القومي ، وتحث الكتاب على ارتياد آفاقه . وليس من الصعب البتة ، تحقيق مشـروع مماثل في بلادنا ، لان المسرح الرفيع قادر على فرض نفسـه ، وجلب المثقفين والمحترميـن للاعمال الجادة .. امـا الاستمـرار في تقديم مسرحيـات للاضحـاك سعيـا وراء الربـح المادي ، وتصفيقات الجمهور ، فانه يمهد لواد حركتنا المسرحيـة .. تلـك الحركـة التـي سجلـت ـ في السنوات الفارطة ـ تفوقها على بقية الاشكال الفنيـة الاخـرى ببلادنـا ..

※ تعتزم رابطة القلم الجديد بتونس اقامة الذكرى الالفية للشاعر المغربي عبد الجبار احمد ياسين ، وهو من مواليد صقلية ، وعاش ما بين افريقيا في المغرب والجزائر وتونس والاندلس .

※ ستنظم غانا في الصيف القادم مهرجانا ثقافيا للدول الافريقية .

※ يتم قريبا في مالي تدشين ست مدارس اقليمية للتكوين الفني .

※ صدر للمستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس العضو في مجمع اللغة العربية كتاب « مختارات من الادب العربي » منذ العصر الجاهلي الى العصر الحاضر .

※ « المسرح » مجلة جديدة ستصدر قريبا في القاهرة .

※ « مديحة » مجموعة قصص لعباس خضر ، صدرت في القاهرة .

※ سيقام في الازهر معهد خاص لتخريج مدرسين يقومون بالتدريس في الدول الافريقية ، سيدرس فيه طلبة الازهر تاريخ البلاد التي سيعملون بها وتاريخ كفاحها السياسي والاجتماعي واللغوي ، واللغات التي يتكلمها اهالي هذه البلاد .

※ سيترجم مجلس الفنون والآداب في القاهرة الى الانجليزية كتب « نزهة المشتاق في ذكر الامصار والاقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق » تاليف الادريسي و « مسالك الاقاليم » تاليف الاصطخري و « المسالك والممالك » تاليف البكري ، وهذه الكتب كلها في الجغرافية .

※ يصدر في القاهرة كتابان عن نجيب محفوظ الكتاب الاول من تأليف الدكتورة فاطمة موسى ، والثاني من تاليف غالي شكري .

※ افتتحت عائلة سلامة موسى مكتبة بالقاهرة لا تبيع غير مؤلفات سلامة موسى .

※ نعت القاهرة الاستاذ الكبير احمد لطفي الملقب باستاذ الجيل عن سن يناهز الثمانين ، ولقد كان لنعيه صدى مؤلم في البلاد العربية والاسلامية . وقد شيعت جنازة الفقيد في موكب عسكري رهيب حضرها ممثل عن الرئيس جمال عبد الناصر ، وكبار الشخصيات والمثقفين في ج.ع.م.

رحم الله الفقيد ، وتعزيتنا الحارة لذويه ولتلامذته ومقدريه .

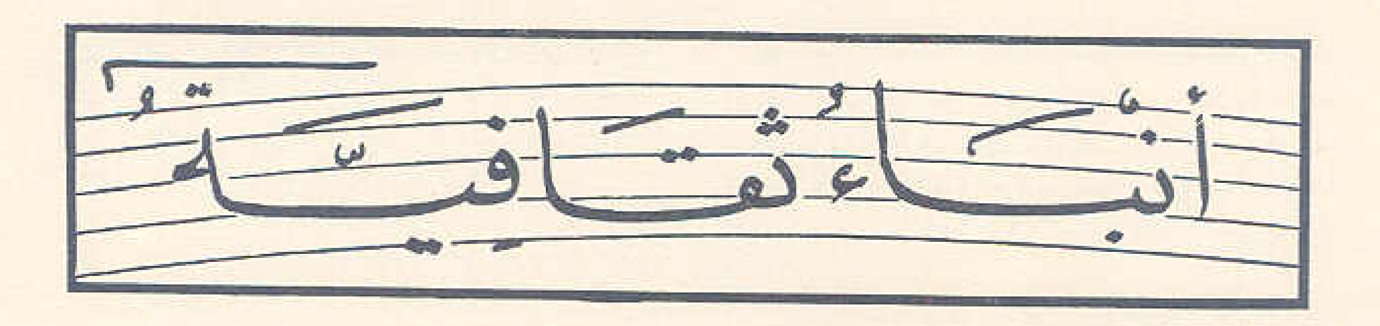
※ افتتح وزير البحث العلمي في الجمهورية العربية ، نيابة عن الرئيس جمال عبد الناصر ، المؤتمر الكيميائي الخامس المنعقد بالقاهرة في اوائل هذا الشهر .

وقد اعلن السيد الوزير ان سياسة الوزارة قائمة على الاهتمام بالعلم والعلماء وتشجيع الانتاج العلمي والبحث العلمي في كل القطاعات .

كما قرر الوزير مكافاة تشجيعية لاحسن ثلاثة بحوث تلقى في المؤتمر ، وتبلغ هذه المكافئات 22 الف درهم .

※ اعدت وزارة الثقافة والارشاد القومي بالجمهورية العربية المتحدة برنامجا حافلا للنهضة المسرحية وتعتبر اكبر نهضة مسرحية في تاريخ الشرق الاوسط ، ويشمل هذا البرنامج : تقديم 90 مسرحية جديدة ، تقديم 10 برامج جديدة للفنون الشعبية ، تقديم 4 اوبريتات جديدة ، تقديم 4 برامج استعراضية جديدة ، تقديم 4 برامج منوعات غنائية جديدة ، تقديم 20 حفلة موسيقية سمفونية ، اقامة مهرجان عالمي للمسرح ، اقامة مهرجان عالمي للموسيقى ، اقامة مهرجان عالمي للتلفزيون ، تقديم 4 مسرحيات تجريبية عن طريق مسرح الجيب .

وقد تطلب امر التوسع في هذه النهضة المسرحية، زيادة فرق التليفزيون المسرحية الى 10 فرق ، وانشاء فرقة جديدة للمسرح القومي ، وانشاء 3 فرق للفنون الشعبية ، ويساهم في هذا النشاط الفني الكبير اكثر من 1000 فنان كما سيصاحب هذه النهضة ادخال تجديدات حديثة في المسرح ، منها اقامة اول مسرح دائري كبير في الشرق الاوسط ، وانشاء نافورة مياه راقصة على المسرح ، واحداث نظام المناظر المتحركة .



* تقدم الاستاذ عبد الهادي التازي برسالة الى كلية الادب بالرباط لنيل دبلوم الدراسات العليا . وقد كان موضوع الرسالة تحقيق كتاب « المن بالامامة » الذي يتناول فترة مهمة في تاريخ الموحدين بالاضافة الى الاحداث السياسية التي عاشها المغرب وافريقيا والاندلس ، واتى على آثار الموحدين المعمارية وتراثهم الفكري . وبعد المناقشة اعلنت النتيجة في قرار حيث نال الاخ التازي دبلوم الدراسة العليا بدرجة (حسن جدا) ، والمجلة تتمنى له اطراد التوفيق والنجاح .

* خصص جلالة الملك الحسن الثاني الفي نسخة من المصحف الكريم لاهدائها الى الجزائر بقصد توزيعها على مختلف المساجد الجزائرية . كما اهدى الفا وخمسمئة مجلد لمكتبة الجزائر .

* عقدت في تونس مناظرة موسيقى دول البحر الابيض المتوسط ، وقد شارك المغرب بوفده الموسيقي في هذه المناظرة التي اهتمت بدراسة المميزات الفردية الخاصة بالموسيقى المحلية في كل قطر من أقطار حوض البحر الابيض المتوسط ، وقد اعطى الوفد المغربي المشارك في مداولات المناظرة نظرة على موسيقانا التقليدية والفولكلورية من خلال عصور التاريخ .

* ستصدر لسفير المغرب بسورية الاستاذ احمد بناني مجموعة قصصية بعنوان « فاس في سبع قصص » كما يعكف الاستاذ بناني على ترجمة كتاب « الحكم » لابن عطاء الله الى اللغة الفرنسية .

* تبرع البابا يوحنا الثالث والعشرون بنصف مليون فرنك وعدد هام من الكتب الى مكتبة جامعة الجزائر التي حطمتها عصابات الجيش السري الفرنسي في شهر يناير 1961 .

* « الثورة الافريقية » صحيفة اسبوعية صدرت عن الجزائر يديرها الاستاذ جاك فيرجي .

* قررت النيابة الخاصة للعاصمة الجزائرية ان تطلق ابتداء من الذكرى الثانية لوفاة محمد الخامس قدس الله روحه اسمه الكريم على شارع سان سانيس وهو اكبر شارع في قلب المدينة الجزائرية .

* « نحو عربية افضل » كتاب جديد للكاتب الجزائري الجنيدي خليفة ، يبحث فيه أهم القضايا المتعلقة باللغة العربية من مصطلحات علمية وفنية ، ويعرض فيه لمشكلة النحو العربي القديم وكيف يمكنه ان يكون مطواعا .

* « دخان من قلبي » مجموعة قصصية أصدرتها الشركة التونسية للنشر والتوزيع بقلم الكاتب الجزائري لطاهر وطار ، قدم المجموعة الهادي العبيدي فتحدث عن القصة في المغرب العربي الكبير واعطى رايه في هذه المجموعة القصصية الجديدة .

* كلفت وزارة الثقافة بدمشق الاستاذ فريد انطونيوس بترجمة كتاب « الذي يذكر البحر » الى العربية ، والكتاب من تاليف الاديب الجزائري محمد ديب .

* اصدر المفكر الجزائري مالك بن نبي كتاب « ميلاد مجتمع جديد » .

* « سرير من الوحل » عنوان القصة التي فازت بجائزة افريقيا الفتاة التي تصدر بالفرنسية في تونس لمؤلفتها الجزائرية دانييل عمران .

* طالب الاتحاد العام للطلبة التونسيين بعدم توظيف الاساتذة الاجانب في سلك التعليم وتعريب التعليم العالي بصورة تدريجية ، وادخال برامج جديدة تتماشى مع الواقع التونسي كما استنكر الاتحاد سيطرة الاساتذة الفرنسيين على مرافق التعليم العالي .

الشعر بخيـر ... في الاتحاد السوفياتي

يكاد يجمع مختلف النقاد على ان الشعـر في العصر الحديث يعيش ازمة حادة ، ناجمة عن منافسة الرواية والقصة ، وعن النزعـة الواقعية التـي جعلت القراء يعزفون عن تحليقات الخيـال ، وتنغيمـات الالفاظ .. ولا يعنينا في هذا المقام سرد اسباب هـذه الازمة ومناقشتها ، لانها ظاهرة ملموسة مهما تباينت التشخيصـات والتعليلات ..

ولكن حال الشعر في الاتحاد السوفياتـي يختلف عما هو عليه في بقية الاقطار .. فالاخبار الادبية التي تنشر في الصحافة تسجل نفاق سوق الشعر ، وارتفاع اسهمه ، وتسجل بصفة خاصة اقبال الجمهور علـى الساحات والمنتديات التي ينتصب فيها الشاعر لينشد قصائده وملاحمه وسط عاصفة مـن التصفيقـات والهتافات ..

ولعل السبب في هذه المكانة التي يتمتع بهـا الشعراء الروسيون ، يرجع الى الادوار العظيمة التي لعبها بعضهم ، فأعطوا للشعـر بعدا خاصا يمتزج فيه الخيـال والابداع ، بالحماس والبطولة ، وتلتقي قيمه الملاحم ، بالتضحية الملموسة .. مما جعل بعض النقاد يذهب الى القول بان روسيا لا تعتبر شعراءها مجردين سادة الكلمة ، تكاد تبوءهم منزلة الانبياء . وهناك اسماء شعـراء روسيين اقترنت اسماؤهم بالشعر والبطولة والوطنية المثالية .. مثل بوشكيـن ، ومايكوفسكـي شاعـر ثورة 1917 .

اما الشاعر ـ النجم لهذه الفترة في الاتحادالسوفياتي، فهـو اوجيـن افتوشنكـو Eugène Evtouchenko الذي قام اخيرا بزيارة لباريس ، وتحدثت عنه معظم الصحف والمجلات بتقدير كبير ، وعدته في طليعة الادباء الذين يفهمون رسالة الادب فهمـا عميقا بعيدا عـن تقنينـات « الحزب » واوامـره ..

وقد بدات اسبوعية « اكسبريس » في عدد 21 فبراير ، نشر مذكرات الشاعر افتوشنكو تحت عنوان « اعترافـات احـد ابنـاء الجيـل السوفياتـي » Confession d'un enfant du siècle soviétique

وهذه الترجمة الذاتية لشاعر الاتحاد السوفياتي الاول ، تكتسـي اهميـة خاصة لانها تلقي الاضواء علـى كثير من المفاهيم المواكبة للتطورات الجديدة التـي يعيشها الادب السوفياتي بعد فترة « ذوبان الجليد » لذلك اردت ان اترجم للقـارىء فقـرات من هـذه المذاكرات . يقول افتوشنكو :

« لقد ظل كثير من الشعـراء السوفياتييـن ـ خلال امد طويل ـ محجمين عن اظهار افكارهـم الخاصة وتناقضاتهم ، وما لهم من مشاكـل ذاتيـة معقدة ، فكان من الطبيعي ان ينتهوا الى السكـوت عن تصوير ما يعانيـه اولئك الذيـن يحيطـون بهم ..

وبعد قيـام الثورة ، اسس الشعراء الشيوعيون جمعيـة « الثقافة البروليتارية » وقرروا ـ معتقدين عن سذاجة ان في ذلك خدمة لمثلهـم الاعلى ـ ، قرروا الا يستعملوا في نتاجهم الا ضمير الجمع : « نحـن » وهكذا اخذوا يضربون ـ في يأس ـ طبول مواهبهـم ليحققـوا الحانهم الخاصـة . .

« ان الافكار والعواطف الجديـدة التي توجـد في اشعاري ، قد وجدت في المجتمع السوفياتي قبل ان اشرع في الكتابة . صحيح انها لم تكن قد صيغت بعد في قالب شعري .. ولكنني لو لم اقم انا بذلك ، لوجد شاعـر آخـر يعبـر عنهـا .

قد تقولون بانني اتناقض مع نفسـي ، لانني بعد ما امتدحت الفرديـة التامة للشاعـر ، صـورت نفسي كشاعر مترجم لافكار جماعية ، الا ان هذا ليس بتناقـض ، ذلك انني اعتقد انه لا مناص من التوفـر على شخصية مستقلة ومحـددة بدقـة ، ليستطيـع الشاعر ان يعبر في انتاجه عما هو مشترك بين كثيـر من النـاس .. »

الرباط : محمـد بـرادة

❊ قررت وزارة الاوقاف بالجمهورية العربية المتحدة اقامة مؤسسة اسلامية فى سان باولو عاصمة البرازيل ، تضم مدرسة عربية ومكتبة عربية ومركزا ثقافيا ، وذلك لفائدة المغتربين العرب ، ونشر اللغة العربية فى البلاد الامريكية .

❊ قررت هيئة اليونيسكو منح وزارة التعليم العالي بالجمهورية العربية المتحدة ، مبلغ 000 619 2 دولار لتنفيذ انشاء مشروع المعهد العالي الفني بالمنصورة وتجهيزه ، وتزويد معهد البترول بالسويس بالخبراء والمعدات والبعثات اللازمة لمدة خمس سنوات .
وتعتبر هذه المنحة أكبر منحة منحتها اليونيسكو فى تاريخها لاحدى الدول الاعضاء .

❊ قدمت الجمهورية العربية المتحدة 200 منحة للطلبة الجزائريين للدراسة بمعاهد وجامعات الجمهورية وهذا عدا المنح التي تقدمها هيئة اليونيسكو لطلبة الجزائريين للدارسة بالقاهرة .

❊ قررت الجمهورية العربية المتحدة اقامة تقليد جديد فى الاحتفال بذكرى العلماء العرب عن طريق اصدار طوابع بريدية تذكارية فى العام القادم .
وستبدأ الجمهورية العربية باصدار طوابع بريد تذكارية فى العام القادم .
وستبدأ الجمهورية العربية باصدار طوابع بريد تذكارية فى ذكرى كل من : ابو بكر الصائغ ، ابن رشد القرطبي ابن الهيثم الفلكي ، ابن البيطار الملقي ، الزهراوي ، عائشة التيمورية ، عبد الله ابو السعود ، حسين توفيق العدل .

❊ فاز بجائزة الدولة التقديرية فى مصر ، وقدرها 2000 جنيه وميدالية ذهبية المرحوم محمد حسن فى الفنون ، ونال جائزة الآداب احمد حسن الزيات ، وعلي بدوي فى العلوم الاجتماعية ، وكان توزيع جوائز الدولة التشجيعية وقدرها 500 جنيه وميدالية فضية كما يلي : فى الفنون : جمال السجيني عن تمثاله « نهضة افريقيا » وعبد الحميد عبد الرحمن عن « سماع فى قصر الرشيد » وزكي طليمات عن اخراجه مسرحية « يوم القيامة » ومحمد عماد عن ديوانه « عماد الجزء الثاني » ومحمود غنيم عن ديوانه « فى ظلال الثورة » والدكتور محمد مندور عن كتابه « المسرح النقدي » والدكتور عبد الرحمن بدوي عن تحقيقه لكتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » لابي الوفا البشر بن فاتك، والدكتور عماد الدين اسماعيل والدكتور نجيب اسكندر عن مؤلفهما « الاتجاهات الوالدية » والدكتور عبد الحميد متولي عن كتابه « القانون الدستوري والانظمة السياسية » والدكتور حسن بجيرة عن كتابه « فصول فى القانون » والدكتور أحمد سلامة عن كتابه « الاحوال الشخصية لغير المسلمين » .

❊ ستصدر فى دمشق رواية « اليك » للسيدة خديجة الجراح .

❊ وصل الى حمص ثلاثة من كبار علماء الآثار الدانماركيين للقيام بالتنقيب عن قطعة اثرية يقال انها مدونة فى مكان قريب من قرية المشرقية ، ولهذه القطعة قيمة تاريخية عظيمة تكشف الستار عن حياة البرائية .

❊ « غرفة بملايين الجدران » مجموعة شعرية جديدة صدرت فى دمشق لصاحبها الشاعر محمد الماغوط .

❊ « خمر وشعر » ديوان سامي الكيالي صدر عن دار الرائد فى حلب .

❊ ستقوم وزارة الثقافة السورية بطبع مخطوطة « تاريخ المعرة » لمؤلفها الفقيد سليم الجندي .

❊ صدرت عن دار الثقافة بدمشق كتاب رواية (الشرارة الاولى) للمؤلف مراد السباعي .

❊ اعد الياس الفاضل ديوانا للطبع بعنوان « تحت سماء آسيا » .

❊ « أغاني منتصف الليل » عنوان المجموعة الشعرية الرابعة التي اعدها للطبع سليمان عوان وستصدر فى دمشق .

❋ « انسانيـون » كتاب نشرته مجلة « الكلمة » بحلب من تأليف المحامي فتح الله الصقـال .

❋ زار حلب المستشرق الامريكي ادوار ستيوارت كندي بحثا عن المخطوطات الفلكية العربية لابن الشاطر الموقت في الجامع الاموي بدمشق ، وقد وجد بعضهـا في مكتبة الاوقاف الاسلامية بحلب ، وقام بدراستهـا لانه يرى ان ابن الشاطيء وغيره من الفلكيين كانـوا الرواد لنظريات العالم الفلكي كوبرنيك .

❋ كلفت وزارة الثقافة بدمشق الدكتور صـلاح الدين المنجد بتأليف كتاب عن مصدر الثقافة العربية، سيضم الكتاب ابوابا هامة عن امهات الكتب التي الفت في العلوم والآداب والمعارف العربية منذ عهـد التدوين حتـى اواسط القرن العشريـن .

❋ يعكف الاب بروند سينكلوس مؤسس المكتبة المارونية الفنية بالمخطوطات بحلب على كتابة مؤلـف جامع عن الادب العربي ، وقد انهى منه ستة مجلدات يضم كل منها الف صفحة ، ويعتقد الاب المذكـور ان العلامة جورجي زيدان سها عن ذكر الكثير مـن الشواذ في كتابة تاريخ اداب اللغة العربية .

❋ يعكف اللغوي الحلبي الاسدي . خير الدين عن تأليف كتاب عن حلب ، وقد توصل الى اسـرار الكثير من الافعال التي يستعملها الحلبيون في لهجتهم العاميـة .

❋ صدرت عن دار الرائد بحلب مجموعة شعرية لمصطفى أحمد النجار بعنوان « تجارير بيضاء » .

❋ القاص السوري عدنان الدعواق اعـد للطبـع مجموعة قصصيـة عنوانهـا « الثأر الكبير » ومجموعة اخرى بعنـوان « مدينة العبيد » ورواية طويلة بعنوان « الجرح العميـق » .

❋ توفى في بيروت الراماد احمد نامـي رئيـس الدولة السـورية سابقا ، وكان الفقيد اديبا وشاعـرا باللغتين العربية والفرنسية وله عدة قصائد مخطوطة لم تنشـر .

❋ قام الاستاذ نبيه صقر بترجمـة كتـــاب « الوضع البشـري » لاندريـه مالرو الى العربية .

❋ صـدرت عن دار « مجلة شعـر » ببيـروت المجموعة القصصية الاولى للقاص السوري وليد اخلاص بعنـوان : « بعد الظهر الميت » .

❋ قررت رابطة آل زيادة في لبنان نقل رفـات الفقيدة « مي » من القاهرة الى مسقط راسها في قرية شمتول بكسـروان ، وستنقل الى مدفن خاص وسيقام معرض يضم آثارها على غرار متحف جبران بشرى .

❋ صودر في لبنان كتاب « روسيـا وامريكـا امكانيات وتحذير » من تأليف هنري روبرتس وترجمة شكري علاوي وسيحال الطابع والمؤلف على المحاكمة .

❋ صدرت لليلى عسيران رواية « لن نموت غدا »

❋ « في ساحة الملوك » كتاب يعده فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية ببيروت يتناول بالنقد والتحليل بعض الادباء والشعـراء المعاصرين .

❋ اعلن الشاعر سعيد عقل عن شروط « جائزة لبنان الكبرى » وقيمتها خمسة آلاف ليرة لبنانية وتمنح هذه الجائزة في باريس مرة كل ستة اشهر لافضـل اديب او فنـان اوربي يقدم انتاجا رائعا يزيد في تمجيد لبنــــان .

❋ قام الاستاذ نبيه صقر والاب انطون الشمالي بترجمة « الادب الفرنسي الجديد » الى اللغة العربيـة والكتاب من تأليف غايتان بيكون .

❋ نال الاديب المصري عادل الغضبان وسام الارز الادبـي مـن لبنـان .

❋ صدرت عن منشورات المؤسسة الاصليـة ببيروت رواية « حدود الالهة » مـن تأليف البيـر نجيب غطاس وتقديم سعيد عقل .

❋ « ابن الافندي » قصة طويلة اعدهـا للطبـع الشاعر سعيـد فيـاض .

❋ « من الربيع الى الصيف » قصـة طويلــة صدرت في بيروت باللغة الانجليزية من تأليف الانسـة ريما نجيب .

* توفي في بروكسل الكاتب المهجري عبد المسيح حداد احد اعضاء « الرابطة القلمية » ولد الفقيد في حمص سنة 1880 وتلقى دروسه الابتدائية في المدرسة الروسية هناك ، درس سنة في دار المعلمين الروسية بالناصرة ثم في مدرسة حنا النجار في حمص ، هاجر الى الولايات المتحدة حيث استقر في نيويورك ولم يلبث وهو في العشرين من عمره ان اسس جريدة « السائح » سنة 1912 كان الفقيد من مؤسسي « الرابطة القلمية » وهو شقيق الشاعر ندرة حداد. خلف كتابين مطبوعين هما « انطباعات مغترب » و « حكايات المهجر » . وبوفاة عبد المسيح حداد لم يبق من اعضاء « الرابطة القلمية » على قيد الحياة سوى ميخائيل نعيمة حفظه الله .

* صدر عن دار العلم للملايين ببيروت « فن بعد الف عام » لمؤلفه الشاعر ابراهيم العريض من البحرين .

* اصدر جورج غريب كتابا درس فيه شاعرية الشاعر اللبناني سعيد عقل .

* قدم للطبع الاستاذ جبران مسعود قاموسا عربيا ، وقد مضى على اشتغاله بهذا القاموس نحو 13 سنة .

* صدر في بيروت « اليوم الاخير » للمفكر اللبناني ميخائيل نعيمة ، وتدور فكرة الكتاب حول رجل اسمه موسى العسكري يهتف به هاتف من الغيب يعلمه ان يحيا اليوم الاخير فيشعر بقلق واضطراب بالغين .

* ملحمة « عين الرياض » للشاعر الكبير بولس سلامة صدرت في طبعة ثانية في الشهر الماضي .

* تصدر عن منشورات اتحاد الكتاب العراقيين المؤلفات الآتية : « اسرار » مجموعة شعرية للدكتور باقر سماكة ، و « الطغرائي » الدكتور علي جواد الطاهر ، وقد صدر حديثا عن الاتحاد « عودة الربيع » وهي مجموعة شعرية .

* « البيان في اخبار صاحب الزمان » اسم الكتاب الذي يصدر في كربلاء لصاحبه الحافظ ابي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد النوخلي القرشي الكنجي الشافعي المتوفى سنة 658 .

* صدر في بغداد الجزء الاول من معجم اللغة العامية البغدادية للشيخ جلال الحنفي يقع في 240 صفحة .

* صدر في هذه الايام كتاب جديد بعنوان « شعراء بغداد » وهو موسوعة جديدة من تأليف وجمع الاستاذ علي الخاقاني .

* صدر عن منشورات عويدات ببيروت كتاب « من ذكرياتي » لعبد العزيز القصاب رئيس المجلس النيابي العراقي سابقا يعرض فيه تاريخ العراق السياسي من العهد العثماني الى عهد الاستقلال .

* ستحتفل جمعية الابحاث العلمية بحلب بذكرى الفيلسوف الكندي تكملة للمهرجان الذي اقيم في بغداد لان الجمعية المذكورة متوفرة على وثائق عن عبقرية الكندي لم يحصل عليها المجمع العلمي العراقي ولا الذين حاضروا في المهرجان .

* ستصدر في السعودية مجلة « رابطة العالم الاسلامي » سيتولى رئاسة تحريرها محمد حسين زيدان .

* اوشك الاستاذ محمد سعيد العامودي على الانتهاء من تأليف كتاب يضم تراجم لكبار الشخصيات المكية منذ فجر الاسلام حتى اليوم .

* تنظم الجمعية الاندونيسية للصحافيين مؤتمرا يضم صحافيين من افريقيا وآسيا ، وينعقد في باندونغ من 24 الى 30 ابريل المقبل ، وقد اتخذ قرار انعقاد هذا المؤتمر من طرف 27 صحفيا افريقيا اسيويا خلال مؤتمر المنظمة الدولية للصحفيين المنعقد في شهر غشت 1962 ، وسينعقد المؤتمر من 10 الى 15 من فبراير الحالي بجاكارطا .

❊ اكتشفت فى افغانستان مدينة اثرية هامة كانت تنظمها قديما شعوب من العصر الحجري القديم والعصر الحجري الجديد .

❊ سيعقد فى العاصمة اليوغوسلافية ابتداء من 31 يوليو الى 8 غشت مؤتمر دولي للتراجمة بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس العصبة الدولية للتراجمة .

❊ سيتم فى ميامي انشاء عدد من المكتبات الجامعية عما قريب وذلك على غرار المكتبات التي انشأت منذ ثلاث سنوات فى ابيدجان .

❊ بدا العمل فى موسكو فى انشاء مكتبة ضخمة للانتاج الادبي فى الدول الاجنبية وستضم 4 ملايين مجلة مكتوبة باكثر من مائة لغة ، ستزود بأجهزة اوتوماتيكية تيسر للقاريء الحصول على النسخة المطلوبة فى 5 دقائق .

❊ صدر اخيرا فى كل من بارس وجنيف مؤلف فريد من نوعه يتناول تاريخ الفلسفة ويتضمن اكثر من الف سنة .

❊ احتفل بباريس بذكرى ليون دوبيه واشترك فى الحفلة فرانسوا مورياك وجورج دوهاميل وشارل فليدراك .

❊ نعت الاخبار اخيرا الشاعر الامريكي الشهير روبرت فروست عن ثمانية وثمانين عاما .

❊ « فجاة فى الصيف الماضي » آخر رواية صدرت للكاتب الامريكي تنسيس وليامز .

❊ « كيف انتحر همنجواي » عنوان كتاب يتناول حياة همنجواي الكاتب الامريكي الشهير الذي انتحر .

❊ صدر فى بريطانيا كتاب « اسود مثلي » لمؤلفه جوى هوارد غريفين ، قال عنه النقاد انه من احسن ما كتب عن السود منذ زمن طويل .

❊ احدث كتاب صدر فى امريكا هو « ارض الهمسات » للكاتب جيرالد داريل شقيق الكاتب المعروف لورانس داريل الذي الف « رباعيات الاسكندرية » .

❊ اصدر الناقد الامريكي ابكيرا دموند ولسوت كتابا جديدا بعنوان « أرض البطولة » وهو دراسة واسعة لادب الحرب الاهلية الامريكية ، وهو الادب الذي ظهر اثناء الحرب او ظهر بعدها وتاثر بها .

❊ عهد ونستون تشرشل الى ابنه راندولف بكتابة قصة حياته ، وسيضم هذا المؤلف الفخم خمس مجلدات لن تنشر ما دام تشرشل على قيد الحياة ، وقد ناشد المؤلف جميع الناس بأن يبعثوا اليه بجميع الرسائل والوثائق التي قد تساعد على اداء مهمته .

❊ يقوم سومرست موم بكتابة مذكراته فى جريدة « صنداي اكسبريس » ويقول المؤلف بأن حياته قد خضعت فى كثير من اطوارها لبطل واحد هو المصادفة ، كتب سومرست موم فصلين بروي فيهما الايام الشقية التي قضاها فى اليتم والفقر بين الطفولة والشباب .

❊ أصدر الناقد الانجليزي جون كروكشانك كتابا بعنوان « الروائيون الفلاسفة » تحدث فيه عن الروائيين المعاصرين المهتمين بالفلسفة والذين يستخدمون الفلسفة فى رواياتهم وعلى راسهم سارتر وكامي وسيمون دوبوفوار ، اهتم الكتاب بالكشف عن المواقف السياسية لهؤلاء الروائيين .

❊ اصدرت الكاتبة الايطالية لويس راتسر كتابا جديدا بعنوان « الفرحة الكاملة » يشتمل على مذكرات رجل مقعد ساكن فى مقعده المتحرك .

❊ افتتح بجزيرة سان جورجيو الايطالية بفينيسا معرض للمخطوطات الاسلامية التي تتناول التاريخ والغزل والاساطير .

فهرس العدد الخامس - السنة السادسة

صفحة

